

كتاب يجيب عن أهم الشبهات التي أثارتها الفرقة الوهابية على أصول المذهب الشيعي الاثني عشري عن طريق عرض سلسلم من الحوارات والمناظرات على بعض القنوات الفضائيم

ट्यील्लाड (स्टिड्ट) प्रध्वारिक (स्ट्रीलरिक्सुड

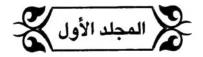
الجزء الأول

च्हित्राक्षा द्वास्ट्री

الهنتي ويتحس الونييس البهني حام حموه المناطق जिलान्स इंग्लिट प्याप्त हैं स्था

لبسيولهاديمناديب





تأليف: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

الأجوبة الوافية في رد شبهات الوهابية

الجسلا الأول

تأليف: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

لجنة التحقيق: الشيخ قيصر التميمى، الشيخ على حمود العبادى، الشيخ شاكر عطية الساعدى والشيخ أمير كاظم حسون مراجعة و تقويم: السيد حاتم البخاتى و السيد ميثم الخطيب الناشر: دهكده جهانى آل محمد (ص) الطبعة الاول: / ١٣٢٨ هجرى قمرى الطبعة الاول: / ١٣٢٨ هجرى قمرى التنضيد و الإخراج الفنى: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية / محسن الجابرى الطبع: اميران – قم المقدسة معر الدوره: ١٠٠٠ تومان العدر ٢٠٠٠ ومان

جميع حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤسسة الكوثر للمعارف الاسلامية هاتف: ۸۹۰-۷۷۳۰۹۴۴ سايت: www.Annajat.org العنوان: قـم/الشارع سمية/ زقاق ۱۸/ رقم الدار ۱۵



مقدمتالكتاب

الحوار والمناظرة من الفنون العريقة وذات الجذور المتأصّلة في التاريخ، وقد يصعب على الباحث ـ بحسب ما بحوزته من التراث ـ أن يعطى صورة واضحة عن انطلاقة هذا الفن وبداياته.

ولكن القرآن الكريم أطلعنا على حوار جرى بين الله تعالى وبين ملائكته، حينما أراد أن يخلق الإنسان ويجعله خليفة في الأرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ حَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ لُسَيِّحُ بِحَمْدِكُ وَثَقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِي أَغْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ لُسَيِّحُ بِحَمْدِكُ وَثَقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِي أَغْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) فالله تعالى قد فسح المجال أمام الملائكة للإدلاء برأيهم في خلافة الإنسان، وقد افترضوا أن خليفة الله عز وجل لا يمكن أن يكون مفسداً ولا سفّاكاً للدماء، فأقرّهم الله تعالى على ذلك ولم يبطل حجّتهم، إلاّ أنّه أجابهم من جهة أخرى، وهي أنّهم لم يطلعوا على الحقيقة كاملة، وأنّ أجابهم من جهة أخرى، وهي أنّهم لم يطلعوا على الحقيقة كاملة، وأنّ هناك أهدافاً وغايات سامية تترتب على خلافة الإنسان في الأرض قد خفيت عليهم، ولا يحق لهم أن يدخلوا الحوار والمناظرة إلاّ عن علم خفيت عليهم، ولا يحق لهم أن يدخلوا الحوار والمناظرة إلاّ عن علم واطلاع، وقد أذعنوا بذلك عندما قالوا: ﴿ سُبْحَانك لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاً مَا عَلَمْتَنَا إِنْك

ونفهم من ذلك أنّ الحوار من الأبواب التي فتحها الله تعالى أمام كل

⁽١) البقرة: ٣٠.

⁽٢) البقرة: ٣١.

مفكر عاقل قادر على إدراك الحقائق والاطلاع على مجريات الأحداث، ومن هذا المنطلق أيضاً نجد أن الله تعالى قد أعطى إبليس حرية الرأي وإبداء الملاحظات في المسألة ذاتها مع سابق علمه تعالى ببطلان حجته، وقد حكى لنا القرآن الكريم حواراً ومناظرة استدلالية قد دارت في ذلك الحين بين الله تعالى وبين إبليس عندما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم البيلة هنستون من المستجدين الله المستجدين أن الكريم عنها المستجدين أن المستجدين أن المنافئة من صلعال من عندما أمر الله على الملائكة من صلعال المستجدين الله المنافئة من عندما أمر الله على الملائكة من عندما أمر الله على الملائكة المستجدين أنها أن الله الله المنافئة من عند المستجدين الله المنافئة من عند المستحدين الله المنافئة المنافئة من عند الساميدين الله عند المنافئة المنافئة

هذه الحرية في الحوار وإبداء الرأي تعطينا صورة واضحة عن أهمية هذا المبدأ الذي تقوم عليه ركائز العلاقة بين الله تعالى وبين مخلوقاته.

ثم إننا عندما نتابع سيرة الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى لهداية الخلق، نجدها قائمة على التمسك بمبدأ الحوار والحرص على إيصال الرأي الآخر إلى الطرف المخالف، من قبيل ما جرى بين إبراهيم عليه وبين النمرود، قال تعالى: ﴿أَلُمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجٌ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ النمرود، قال تعالى: ﴿أَلُمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجٌ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي اللَّهِ عَنْ الْمَعْرِبِ فَيُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢).

وهذا ما أمر الله تعالى به نبيه الأكرم محمد عَلِيْلَةً، كما في قوله تعالى: ﴿ الْحُ اللهِ مَيلِ رَبُّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبُّكَ هُــوَ

⁽١) الحجر: ٣٠ ع٣.

⁽٢) البقرة: ٢٥٨.

أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَلِينَ ﴾ (١).

إذن فالنتيجة التي نخلص إليها أنّ الحوار ومبدأ المناظرة مقدّس ديني وإلهى قبل أن يكون من مقدّسات البشر.

ولكن المؤسف هو أنّ بعض القنوات الفضائية قد أساءت إلى هذا المقدّس الديني والبشري، عندما استضافت للحوار أشخاصاً لا يؤمنون به، بل يرفعون شعار التكفير والقتل والإرهاب بوجه كل من يخالفهم الرأي.

وقناة المستقلة الفضائية ـ سيئة الصيت ـ من تلك القنوات التي كانت ولازالت تستدعي للحوار المتعجرفين من أتباع الفرقة الوهابيّة الضالّة، من أمثال عثمان الخميس والدمشقية والبلوشي، وغيرهم من التكفيريين، الذين ما فتئوا يكفّرون المسلمين بكافة طوائفهم، مستندين في ذلك إلى حجج واهية أملتها عليهم نفوسهم الضعيفة.

وبهذا أصبحت قناة المستقلة الفضائية من القنوات المشبوهة؛ إذ ابتعدت عن عنوانها الذي تسمّت به، محاولة بواسطة أولئك الضالين - أن تزرع الحقد والكراهية في نفوس المسلمين، وهدفها من وراء ذلك إثارة النعرات الطائفية، وإحداث الفرقة بين أبناء أمتنا الإسلاميّة الواحدة، مع أن المسلمين في وقتنا الحاضر بأمس الحاجة إلى التماسك والوحدة، ورص الصفوف؛ للوقوف أمام التحديّات التي يواجهونها.

ومن منطلق الشعور بالمسؤولية كانت مؤسسة الكوثر للمعارف

⁽١) النحل: ١٢٥.

الإسلامية تتابع ما يجري على تلك القناة عن كثب وحرص شديدين، وكانت تسعى جادّة أيضاً لدراسة هذه الظاهرة الخطيرة والهدّامة، وقد ساهمت في ذلك الحين للعمل على إزاحة الشبهات التي قد تستحدثها أبواق الضلال في نفوس المسلمين.

ولكي تكون هذه المؤسسة المباركة فاعلة في هذا الميدان، ومؤثرة في أداء ما تشعر به من المسؤولية تجاه ما يجري في العالم الإسلامي، بادرت من خلال قسم البحوث والدراسات - إلى دراسة أهم الشبهات العقائدية التي أثارها التكفيريون من الفرقة الضالة، ثم تصدّت وبكل جدارة للإجابة عن هذه الشبهات بأجوبة محكمة ورصينة، كشفت القناع عن زيف ما يزعمه المبطلون.

وقد استجاب لإنجاز هذه المبادرة الطيبة كل من فضيلة الشيخ علي حمود الشطري العبادي، وفضيلة الشيخ قيصر التميمي، وفضيلة الشيخ شاكر عطية الساعدي، فجزاهم الله عن الإسلام خيراً، وجعل عملهم هذا خالصاً لوجهه الكريم، ونافعاً في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وحاولوا في أجوبتهم هذه جاهدين أن يبتعدوا عن لغة السب والتكفير والتجاوز على آراء وعقيدة المذاهب الإسلامية الأخرى، ومعتمدين في كل ذلك على الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة، مستنيرين بهدي الكتاب الكريم والسنة النبوية المباركة، التي وردت في الكتب المعتمدة عند أبناء الطائفة السنية.

المقدمة

منهج البحث

لقد التزمنا في الإجابة عن الشبهات في فصول هذا الكتاب منهجاً واضحاً يستند إلى الأساليب العلمية والمعتمدة في مجال البحث والتحقيق، ويمكن تلخيص تلك الأساليب بالنقاط التالية:

١-اعتماد التحليل والوصف في عرض الأجوبة، ثـم الحكـم عليهـا مـن
 خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة.

٢-اعتماد المصادر الحديثية والروائية المعتمدة والمعتبرة عند علماء
 الطائفة السنية.

٣- اعتماد الكتب الرجالية والدرائية في تصحيح طرق الروايات والأحاديث الواردة عن النبي الأكرم عَنْ الله والاستناد في توثيق أو تضعيف الرواة على أصح المباني المعتمدة لدى كبار علماء الطائفة السنية.

٤- اعتماد أقوال علماء الطائفة السنية من خلال الرجوع إلى أهم
 المصادر والكتب المعتبرة.

٥-الابتعاد عن لغة السب والتكفير والتجاوز على آراء وعقيدة المذاهب الإسلامية الأخرى، معتمدين في ذلك كلّه على الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في سبيل الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن التعصب المذهبي والجدال بالباطل.

خطتالبحث

جاء البحث على النحو التالي:

تقسيم البحث إلى جزئين، وكل جزء يتضمن على عدّة فصول.

وقد تضمن الجزء الأول الفصول التالية:

الفصل الأول: وقد تناول الإجابة عن شبهة عدم الجعل الإلهي للإمامة.

أمّا الفصل الثاني: فقد اختصت الإجابة فيه عن الشبهة القائلة بأن حديث الاثنى عشر فكرة يهودية.

وأمّا الفصل الثالث: فقد تضمن الإجابة عن الشبهات الواردة حول الإمام المهدي المينال والفائدة من وجوده وغيبته لليناه.

وأمّا الفصل الرابع: فأجبنا فيه عن شبهة استبعاد عصيان الصحابة لما أوصى به الرسول عَلَيْلَةً.

أما الفصل الخامس: فقد اعتنى بالإجابة عن الشبهة القائلة بوجود النص على خلافة أبي بكر.

وأمّا الفصل السادس: فقد خصصناه للإجابة عن شبهة الغلو في مسألة إمامة أهل البيت المَهَ اللهِ المُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُ اللهِ المُلْمُ المُلْم

أمّا الجزء الثاني فتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: وقد كرس للإجابة عن الشبهة القائلة بأن الشعائر الحسينية بدعة.

أمّا الفصل الثاني: فتضمن الإجابة عن الشبهة القائلة بأن التوسل بأهل البيت المهمل شرك.

وأمّا الفصل الثالث: فهو يجيب عن شبهة عدم مشروعية اللعن في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

المقدمة

أمّا الفصل الرابع: فقد تصدى للإجابة عن شبهة تحريف القرآن المنسوبة إلى الشيعة.

وأمّا الفصل الخامس: فقد أجاب عن شبهة عدم مشروعية التقية.

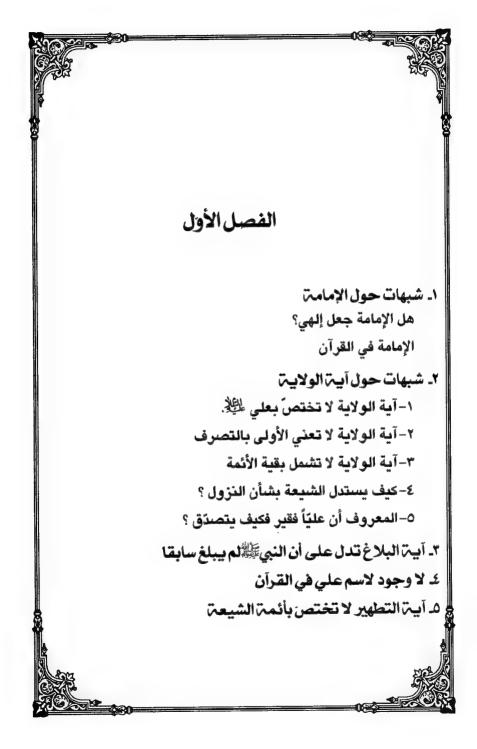
وأمّا الفصل السادس: فقد اعتنى بالإجابة عن شبهة عدم مشروعية الـزواج المؤقت (المتعة).

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب، لاسيما الأخ السيد حاتم الموسوي والشيخ فلاح عبد الحسن الدوخي لما بذلاه من جهد ومتابعة.

وأخيراً نرجوا الله تعالى أن نكون قد وفقنا فيما قصدناه من الدفاع عن العقيدة والحرص على وحدة الأمة الإسلامية، والله من وراء القصد.

لجنة التأثيف في قسم الدراسات والبحوث مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية

٢٥ / ذي القعدة / ١٤٢٨هـ



هل الإمامة جعل إلهى؟

الشبهة:

إن الإمامة غير مجعولة من الله تعالى؛ لأنها لو كانت كذلك فإما أن يكون المراد منها الحكومة أو الهداية، مع أننا نعلم أن الأئمة لم يحكموا، إلا الإمام على والحسن، وإن كانت الإمامة هي إمامة هداية فأين آثارهم وأقوالهم ؟

الجواب:

ينبغي لكل إنسان أن يؤسس عقيدته على قواعد معرفية صحيحة؛ لأن العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا يزيده سرعة السير إلا بعداً (١).

وكما قال الله عزَّ وجلِّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالَحُ يَرْفَعُهُ ﴿ ٢ ﴾.

وعلى ضوء ذلك يجب علينا أن نعي ونتفهم بيانات القرآن الكريم جيداً، الذي هو تبيان لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَوْلُنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لّكُـلً شَيْء وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى للْمُسْلمينَ﴾ (٣).

ومن أبرز المفاهيم التي أولاها القرآن الكريم عناية خاصة، هي مسألة الإمامة، وقد طفحت النصوص القرآنية بذكرها والتأكيد عليها، والمهمة ذاتها تنهض بها النصوص النبوية الشريفة.

فالقول بأن الإمامة لا ذكر لها في القرآن، أو أنها لا فائدة منها، أو لا

⁽١) انظر: أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني: ج١ ص٤٣.

⁽۲) فاطر: ۱۰.

⁽٣) النحل: ٨٩.

معنى لها، أو غير ذلك، لا يستبطن إلا الجهل بالقرآن الكريم.

وقبل الدخول في البحث -الذي نستهدف فيه إعطاء لمحة تصورية عامة عن الإمامة في القرآن الكريم -نبدأ بتقديم نقطة منهجية تساهم في إيضاح المطلوب، ضمن العناوين التالية:

الإمامة جعل وعهد إلهي

عندما نقف على نص قرآني واحد يلتقي في الدلالة على المطلوب مع عدة نصوص قرآنية أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَسَى إِبْسرَاهِيمَ رَبُّهُ مِكَلَمَاتَ فَأَتُمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِيَّتِي قَسالَ لاَ يَنَسالُ عَهْدِي بِكَلَمَاتَ فَأَتُمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِيَّتِي قَسالَ لاَ يَنَسالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿(١)، نجد أنه يكشف وبكل وضوح عن كون الإمامة عهداً وجعلاً واصطفاءً واختياراً من الله تعالى لذلك الإنسان الذي يرى الله عز وجل فيه القابلية والاستعداد لتسنمه هذا المنصب الإلهي.

من ذلك يتضح أن الرؤية القرآنية للإمام الهادي أن يكون بجعل وعهد من الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرَيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينِ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنهُمْ أَتُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتُنَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَتُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعْلَ الْمُتَقِينَا يُوقِنُونَ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَتُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعْلَ الْمُتَقِينَ إِمْامَا ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿وَاجَعْلَنَا للمُتَقِينَ إِمْامَا ﴾ (٥)، وقوله تعالى:

⁽١) البقرة: ١٢٤.

⁽٢) البقرة: ١٢٤.

⁽٣) السجدة: ٢٤.

⁽٤) الأنبياء: ٧٣.

⁽٥) الفرقان: ٧٤.

﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ ﴾ (١).

الإمامة غير النبوة:

وكذلك تكشف الآية المباركة ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ ﴾ عن أن الإمامة غير النبوة، ومما يؤكِّد هذا المعنى:

أولاً: أن نبي الله إبراهيم المناخ هذا المقام بعد تعرّضه لسلسلة من الابتلاءات والاختبارات، وكان ذلك في أواخر عمره الشريف؛ لأنه طلبها لذريته، وهو لا يتناسب إلا مع حصول الذرية له، وتجاوزه مرحلة الشباب والفتوة خصوصاً وأنه المناخ لم يُرزق الذرية إلا بعد فترة مديدة من الزمن تجاوز فيها تلك المرحلة، في حين أنه المناخ عندما أعلن دعوته كان شاباً يافعاً، كما هو مفاد قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿ (٢).

ثانياً: إن اسم الفاعل في -الآية المباركة - «جاعل» لا يعمل في المفعول «إماماً» إلا إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، ولا يعمل في الماضي، وحيث إن النبوة كانت ثابتة مسبقا لإبراهيم عليه فلابد أن يكون إعطاء الإمامة لإبراهيم عليه في الحال أو الاستقبال، أي بعد نبوته (٣).

وبالتأمل في حصيلة ما ذكرناه يحصل الاطمئنان بأن منصب الإمامة أعطي لإبراهيم بعد أن كان رسولاً نبياً، ولم يكن إماماً.

⁽١) القصص: ٥.

⁽٢) الأنبياء: ٦٠

⁽٣) شرح الرضى على الكافية، رضى الدين الاسترابادي: ج٣ ص٤١٥.

أهميت الإمامت واستمرارها

إنّ الإمامة والهداية الإلهية استمرار وامتداد لمهام الرسالات السماوية، المتمثلة بذكر تفاصيلها وبيان مبهماتها ومحكمها ومتشابهها وتفعيلها في الأمة وغير ذلك؛ وذلك لأن عُمر الرسول عادة يكون أقصر من عمر الرسالة، ومن هنا فقد تستمر الرسالة من خلال الأنبياء التابعين للرسل من أولي العزم، أو من خلال الأئمة والأوصياء عندما تنقطع النبوة ويرتفع الوحي، كما في الرسالة الخاتمة، فلابد من بقاء الهداية واستمرارها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١)، وذلك هو مفاد آيات البلاغ والولاية وحديث الثقلين وحديث الاثني عشر وحديث لا تخلو الأرض من حجة وغيرها، فيكون الإمام هو الهادي للأمة بعد الرسول على ولا تقتصر إمامته على عصر دون آخر، وإنما هي دائمة مستمرة، وهذا ما يمليه عليه موقعه من الدين الإسلامي، وكونه هادياً للأمة بجعل رباني دائم؛ لا أنه أمر مؤقت يتعلق بمقطع خاص من الزمان والمكان، وإنما هو دائمة أبهية ثابتة، وحجة لله في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قوم هَادِ﴾ (١).

قال الآلوسي في تفسيره: «ولم تزل تلك الخلافة في الإنسان الكامل إلى قيام الساعة وساعة القيام، بل متى فارق هذا الإنسان العالم مات العالم؛ لأنه الروح الذي به قوامه، فهو العماد المعنوي للسماء، والدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه، ولما كان هذا الاسم الجامع قابل الحضرتين بذاته، صحّت له الخلافة وتدبير العالم، والله

⁽١) الزخرف: ٢٨.

⁽٢) الرعد: ٧.

سبحانه الفعّال لما يريد ولا فاعل على الحقيقة سواه»(١) ويلتقي هذا المعنى مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَنهُمْ أَنِمَةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَأَنُواْ بِآيَاتَنَا المعنى مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَنِمَةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَهُمْ فِعْلَا اللهُ عَلَيْرَاتٍ ﴿ آَ وَقُوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَنِمَةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَهُمْ فِعْلَا النّخَيْرَاتِ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَنِمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأُوحَيْنَا إِلَهُمْ فِعْلَا النّخَيْرَاتِ ﴾ (١) ويؤكد ذلك أيضاً ما ذكره السيوطي في تفسيره، قال: (أخرج ابن مردويه عن برزة الأسلمي، قال: سمعت رسول الله على صدر علي الله ويقول: ﴿ولكُلّ قومٍ هاد﴾) (١) ، وفي موضع آخر عن ابن جرير وابن مردويه و... أنه قال: ﴿ولكُلّ قومٍ هاد﴾) (١) ، وفي موضع آخر عن ابن جرير وابن مردويه بيده إلى منكب علي ﴿فقال: أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي (١٠) ، وأخرج الحاكم في المستدرك: (عن علي: ﴿إِمَا أنت مندر ولكل قوم هاد﴾، قال علي: رسول الله المنذر، وأنا الهادي، ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)(١).

إذن تبيّن من جميع ما تقدم ضرورة وجود الإمام الهادي في كل زمان، وهذا ما أجمع عليه المسلمون كافة إلا أنهم اختلفوا في أن الإمام

⁽١) روح المعاني، الآلوسي: ج١ ص ٢٢٠-٢٢١.

⁽٢) السجدة: ٢٤.

⁽٣) الأنبياء: ٧٣.

⁽٤) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي: ج٤ ص٢٠٨؛ وكذا ما في شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٢٤٨؛ وقال الشوكاني في فتح القدير: ج٣ ص٧٠، (وصححه ابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب).

⁽٥) الدر المنثور، جلال الدين السيوطى: ج٤ ص٦٠٨.

⁽٦) لاحظ: جامع البيان، محمد بن جرير الطبري: ج١٣ ص١٤٢؛ الدر المنثور، جلال الدين السيوطي: ج٤ ص٢٠٨؛ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٣٠.

الذي يخلف الرسول عَلَيْهُ هل هو بجعل ونص إلهي أم لا ؟ وقد صرح بذلك ابن حجر المكي في (صواعقه)، حيث قال: «اعلم أيضاً أن الصحابة (رضوان الله عليهم) اجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب... واختلافهم في التعيين لا يقدح في الإجماع المذكور»(١).

عصمتالإمام

كذلك كشفت الآية المباركة: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين﴾ (٢) النقاب عن قاعدة أساسية وسنة إلهية مُحكمة، وهي أن العهد والجعل لا ينال الظالمين، ومن الواضح أنّ إطلاق (الظالمين) شامل لكل ظلم، سواء كان على الغير أم على النفس، وشامل أيضاً لكل معصية صغيرة أو كبيرة ارتكبها الإنسان في بعض مراحل حياته، ومن أظهر مصاديق الظلم هو الشرك بالله تعالى وعبادة غيره، قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿ (٣)، فإذا انطبق عليه عنوان الظلم يكون غير صالح لهذا المقام الإلهي.

وبذلك اتضح أن الإمام - بعد كون إمامته مجعولة من الله عز جل - لابد أن يكون معصوماً، وهذا الشرط وهو العصمة قد أكدته آية التطهير، وحديث الثقلين وغيرهما، حيث دلت على عصمة الأئمة الاثني عشر الملك بعد الرسول الأكرم الملكالية.

⁽١) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص١٥.

⁽٢) البقرة: ١٢٤.

⁽٣) لقمان: ١٣.

دور الإمام في الأمت

وانطلاقاً من تسالم المسلمين على أن رسول الله على كان يشغل جميع مناصب القيادة والإمامة من الحكومة السياسية، والمرجعية الدينية والفكرية والقضائية والإجرائية وغيرها، فالولاية الثابتة لرسول على شاملة لجميع تلك المناصب، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والذي ينهض بأعباء هذه المهمة بعد الرسول على المسلمين بالتمسك بهديهم، كما نص على وجعلهم هداة من بعده، وأمر المسلمين بالتمسك بهديهم، كما نص على ذلك حديث الغدير، الذي جاء فيه قول الرسول الأكرم على المؤلى: «من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه»(۱)، وكذا ما جاء في حديث الثقلين، عن رسول الله على النه قال: «أنا تارك فيكم الثقلين: وأولاهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فاخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»(۱)، ليكملوا مسيرته على أو ترشيد وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»(۱)، ليكملوا مسيرته على الله في أهل بيتي» (۱)، ليكملوا مسيرته على الله في أهل بيتي» (۱) الكركم الله في أهل بيتي» (۱) الكركم الله في أهل بيتي» (۱) الميرة الميرة الميرة الله في أهل بيتي» (۱) الكركم الله في أهل بيتي» (۱) الله واستمسكوا به وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» (۱) الميرة الميرة

⁽٢) صحيح مسلم: ج٤ ص١٨٧٣ ح ٢٤٠٨؛ مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١ ص ١٧٠، قال الهيثمي: روياه الطبري في الكبير ورجاله ثقات؛ ج٩ ص ١٦٢ – ١٦٣؛ الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص ٣٤١ – ٣٤١؛ الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص ٣٤١ – ٣٤١ وقال: (وفي رواية صحيحة: كأني قد دعيت...)؛ تفسير ابن كثير: ج٤ ص ١٢٢، قال فيه: (وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله على قال في خطبته بغدير خم (الحديث)؛ صحيح قال فيه: (وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله على قال: (صحيح)؛ وصححه أيضاً في صحيح الجامع الصغير: ج١ ص ٢٤٨، ح ٢٤٥٧؛ والمصادر في ذلك كثيرة جداً، وبطرق تبلغ حد التواتر، فراجع.

وكيف يجوز أن يُقدَّم أحد على إنسان طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله، قال رسول الله عَلَيْ الله على فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني»، قال الحاكم النيسابوري في المستدرك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١).

وعلى هذا الأساس تكون هداية الإمام المعصوم الله شاملة لكل المناصب القيادية التي ترتبط بهداية الناس، من المرجعية الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية والقضائية، ولا ينحصر دور الإمام في الحكومة السياسية فقط، وهذه نقطة مهمة كانت ومازالت محل التباس في الوعي الإسلامي عند أهل السنة؛ ظناً منهم أن الشيعة تقول بانحصار دور الإمام في الحكم السياسي فحسب، فإذا لم يكن حاكماً لم يكن إماماً، مع أن الأمر ليس كذلك، بل الإمامة قيادة وهداية للأمة في كل مجالات الحياة وعلى جميع الأصعدة، فأهل البيت المله الذين ثبتت عصمتهم وشرافة علمهم هم الأجدر والأحق في تسنم تلك المناصب، ولذلك نصب علمهم هم الأحدر والأحق في تسنم تلك المناصب، ولذلك نصب الرسول الأكرم علياً المله من بعده للإمامة بكافة أبعادها.

ومن ذلك كلّه يتضح أن إقصاء أهل البيت المِيَّاثُ عن موقعهم، وهو (١) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٣ص ١٢١، ص١٢٨؛ تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢ ص٣٠٧.

القيادة والحكومة السياسية -التي تعتبر أحد أبعاد الإمامة - لا يعني زوال إمامتهم التي ثبتت بجعل إلهي وتنصيب نبوي، بل على الأمة تقديمهم واتباعهم والإقتداء بهم.

ومن هنا نعلم أن الإمامة من المسائل الأساسية في الإسلام وذات مناصب متعددة، ولكن مع ذلك قد يُعتدى على بعض تلك المناصب فيقع التجاوز على حق الإمام المعصوم، كما في الجانب الحكومي والجانب العلمي والقضائي في الأمة، وذلك باستحداث مرجعيات حكومية مزيفة في قبال مرجعية المعصوم الإلهية الحقّة، وقد تحوّل بسبب ذلك نظام القيادة والخلافة في الإسلام إلى قشور لا لباب فيها، لا سيما في العصر الأموي، الذي أصبح الحكم الإسلامي فيه ملكاً عضوضاً لا يحمل من الإسلام إلا اسمه، ولكن هذا لا يعنى سقوط ذلك الحق وإيقاف مسيرة الهداية، التي تسير بقيادة أهل البيت الملال كما هو الحال في الأنبياء الملالا، فهم هداة للبشرية جمعاء، وإعراض أكثر الناس عنهم لأ يسقطهم عن كونهم هداة للبشرية، فالإمامة هداية في كل تلك الجوانب، والإمام يهدي من أراد الهداية والرشاد، وأما الإعراض عن الاستهداء بالإمام المعصوم التلا فلا يعني ذلك إسقاط الإمام عن إمامته وهدايته، ولا يخفى دور أهل البيت المالي في هداية الأمة والمحافظة على رسالة الإسلام، فضلاً عمّا خلّفوه من تراث ثررِفي مختلف العلوم رغم قساوة الظروف وشدتها عليهم الهَيْلِثُا.

وهذا التراث الشيعي زاخر بأحاديثهم وأقوالهم الشاملة لجميع مجالات

الحياة المختلفة، وهذا ما لا يكاد يخفى أيضاً على كبار أعلام أهل السنة، الذين استفادوا من هذا التراث، وقد ورد في حق أئمة أهل البيت شهادات كثيرة من قبل أهل السنة تكشف وتبين فضلهم وعلو منزلتهم وصلاحيتهم للخلافة والإمامة، وكذا تبين دورهم المحوري والفاعل في الأمة، نكتفى بذكر بعضها:

أقوال علماء السنة في حق أهل البيت المهلا

الإمام علي بن أبي طالب عليالا

إنّ الروايات في فضل الإمام علي بن أبي طالب المليلا وفضائله في الإسلام كثيرة جداً، تجاوزت حدّ الإحصاء، وقد ألفت الكتب وسطرت الروايات في ذلك، وقد قال أحمد بن حنبل: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله المليلة أله من الفضائل ما جاء لعلي المليلاء (۱)، وقال أبن حجر في صواعقه: (وهي كثيرة عظيمة شهيرة حتى قال أحمد ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي، وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة في الأسانيد الحسان أكثر ما النسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة في الأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي) (۱)، ولا يخفى دور الإمام علي بن أبي طالب المليلة في زمن رسول الله المنطقة وبعده.

الإمام الحسن والإمام الحسين علي التالك

لا يخفى فضل الإمام الحسن والإمام الحسين التَّلِيُّ ودورهما في

⁽١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٠٧.

⁽٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص١٨٦.

الإسلام، ودفاعهما عن شريعة جديهما الله المحاولات التي تستهدف الأمة الإسلامية، ووقوفهما سداً منيعاً أمام كل المحاولات التي تستهدف النيل من الرسالة الإسلامية، لما يحملانه من خصائص، ومميزات، وقد تواترت الروايات في علو شأنهما وسمو مقامهما، كل ذلك جعل لهما الدور الفاعل في التأثير البالغ في المسلمين، سواء على الصعيد الفكري أم الاجتماعي أم غيرهما، كل ذلك في زمن أصبحت الحياة الإسلامية فيه مسرحاً للخلافات، والجرائم والآثام، وأصبحت فيه الحكومة ملكاً عضوضاً يتوارثه بنو أمية فيما بينهم بالقهر والغلبة، وقد انبرى الإمام الحسن والإمام الحسن المعالمة أن رسول الله المعالمة الواقع المرير، وقد جاء في مجامع أحاديث السنة أن رسول الله المعالمة الواقع المرير، وقد جاء في مجامع أحاديث السنة أن رسول الله الله قال في حق ابنه الحسن المعالمين النه وقال الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين المعالمة وقال من الحسن والحسن سبطان من الأسباط» (٢).

ولذا قام الإمام الحسين عليه ثائراً على الظلم آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مضحياً بنفسه وأهل بيته في سبيل إعلاء كلمة الحق، طالباً

⁽١) صحيح البخاري: ج٢ ص١٧٩ ح٢٠٠٤؛ الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص٢٩١، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً من الفريقين.

⁽٢) التاريخ الكبير، البخاري: ج ٨ ص ٤١٥ ح ٣٥٣٠؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٨ ص ٢٢٤؛ المعجم الكبير، الطبراني: ج ٣ ص ٣٣ ح ٢٥٨٦، ج ٢٢ ص ٢٧٤؛ الجامع الصغير، السيوطي: ج ١ ص ٥٧٥ ح ٣٧٢٧؛ فيض القدير في شرح الجامع الصغير، المناوي: ج ٣ ص ١٥٠، وفي صحيح الجامع الصغير، الألباني: ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٦ ح ٣١٤٦، قال عن الحديث بأنه، (حسن)، وغيرها من المصادر الكثيرة.

الإصلاح في أمة جده عَيَّا عندما لاحظ الممارسات البعيدة عن روح الدين والأخلاق من قبل الحكومة آنذاك حينما اتخذت الإسلام ستاراً لتغطية جرائمها وممارساتها المتهتكة، ولذا قال علي عندما خرج متوجها إلى الكوفة: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد عَيَّا أن أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر» (١)، وقد قال الذهبي في مدحهما وبيان موقعهما القيادي في الأمة علي الأمة علي من الخلفاء الراشدين وابناه الحسن والحسين: فسبطا رسول الله عَيَّا وسيدا شباب أهل الجنة، لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك» (١)، ولا نطيل الحديث في ذلك بعد أن ثبت أنهما علي المان قاماً أو قعداً (٣).

الإمام زين العابدين عليه

قال في حقه محمد بن إدريس الشافعي: «هو أفقه أهل المدينة» (٤).

وقال محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨): «... كان له جلالة عجيبة، وحق له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه، وسؤدده وعلمه وتألّهه وكمال عقله» (٥). وقال أيضاً: «وزين العابدين: كبير القدر، من سادة

⁽١) مقتل الحسين: الخوارزمي: ص٣٧٣؛ الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ج٥ ص٣٤.

⁽٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٣ ص١٢٠.

⁽٣) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ج١٩ ص٢١٦؛ نقلاً عن أهل البيت، الأستاذ توفيق أبو علم: ص١٩٥، طبعة مطبعة السعادة _القاهرة.

⁽٤) نقله الجاحظ في رسائله: ص١٠٦.

⁽٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٤ ص٣٩٨.

العلماء العاملين يصلح للإمامة»(١).

وقال ابن حجر العسقلاني: «علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الله الهاشمي زين العابدين، ثقة، ثبت، عابد، فقيه، فاضل، مشهور، قال ابن عينة عن الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه» (١٠).

وقال ابن حجر في الصواعق: «وأخرج أبو نعيم والسلفي لما حج هشام بن عبد الملك في حياة أبيه أو الوليد لم يمكنه، أن يصل للحجر من الزحام، فنصب له منبر إلى جانب زمزم، وجلس ينظر إلى الناس، وحوله جماعة من أعيان أهل الشام، فبينا هو كذلك إذ أقبل زين العابدين، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال أهل الشام لهشام، مَنْ هذا ؟ قال: لا أعرفه، مخافة أن يرغب أهل الشام في زين العابدين، فقال الفرزدق: أنا أعرفه، ثم أنشد:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

هـذا ابن خيـر عباد الله كـــهم

هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها

إلى المكارم هذا ينتهي الكرم

⁽١) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٣ ص١٢٠.

⁽٢) تقريب التهذيب، ابن حجر: ج١ ص٢٩٢.

ينمي إلى ذروة العرز التي قبصرت

عن نيلها عرب الإسلام والعجم

وكذا من أبيات تلك القصيدة:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله

بجـــده أنبياء الله قد ختـموا

فليس قولك من هدذا بضائره

العرب تعرف من أنكرت والعجم

ثم قال:

من معشر حبهم دين وبغضهم

كفسر وقسربهم منجسي ومعتسصم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم

ولا يسدانيهم قسوم وإن كرمسوا

فلما سمع هشام غضب، وحبس الفرزدق بعسفان»(١).

الإمام الباقر عليُّكِّ:

قال في حقه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: «وهو سيد فقهاء الحجاز ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه، وهو الملقب بالباقر، باقر العلم، لقبّه به رسول الله عَلَيْظُ ولم يخلق بعد، وبشر به ووعد جابر بن عبد

⁽١) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص٣٠٣-٣٠٤.

الله برؤيته، وقال: ستراه طفلا، فإذا رأيته فبلغه عني السلام، فعاش جابر حتى رآه، وقال له ما وصى»(١).

وقال الحافظ أبو نعيم الإصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: «ومنهم الحاضر الذاكر الخاشع الصابر أبو جعفر محمد بن علي الباقر، كان من سلالة النبوة، وممن جمع حسب الدين والأبوة، تكلم في العوارض والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخصومات» (۱).

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: «قال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنه مغلوب، يعني بالحكم، الحكم بن عينة، وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه» (٣).

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: «سمي بذلك لأنه بقر العلم أي شقه وعرف أصله وعرف خفيه... وهو تابعي جليل، إمام بارع، مجمع على جلالته، معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم» (١٤).

وقال ابن خلكان: «كان الباقر عالماً، سيّداً، كبيراً، وإنما قيل له الباقر

⁽١) رسائل الجاحظ: ص١٠٨؛ جمعها ونشرها حسن السندوبي.

⁽٢) حلية الأولياء، أبو فرج الأصفهاني: ج٣ ص ١٨٠، وكذا بألفاظ مختلفة في البداية والنهاية، ابن كثير: ج٩ ص٣٣٩.

⁽٣) تذكرة الخواص، الذهبي: ص٣٠٢.

⁽٤) تهذيب الأسماء واللغات: ج١ ص١٠٣.

 $(1)^{(1)}$ لأنه تبقر في العلم

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «أبو جعفر الباقر: سيد، إمام، فقيه، يصلح للخلافة»(٢)، وفي هذا المضمون ما قاله صلاح الدين الصفدي (٣).

وقال محمد بن المنكدر: «ما رأيت أحداً يفضّل على على بن الحسين، حتى رأيت ابنه محمداً، أردت يوما أن أعظه فوعظني» (٤).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: «وهو تابعي جليل، كبير القدر كثيراً، أحد أعلام هذه الأمة، علماً وعملاً، وسيادة وشرفاً»

وقال الهيتمي في صواعقه بعد أن ذكر علي بن الحسين عليه الما نصه: «وارثه منهم، عبادة وعلماً وزهادة، أبو جعفر محمد الباقر سمي بذلك: من بقر الأرض، أي شقها... فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف، ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة، أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه: هو باقر العلم، وجامعه، وشاهر علمه، ورافعه صفا قلبه وزكى علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحملها هذه العجالة، وكفاه شرفاً، أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير: رسول الله عليه عليك، فقيل له وكيف

⁽١) وفيات الأعيان، ابن خلكان: ج٤ ص٣٠.

⁽٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٣٠ ص١٢٠.

⁽٣)الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي: ج٤ ص١٠٢.

⁽٤) نقلاً عن تهذيب التهذيب: ج٩ ص٣١٣

⁽٥) البداية والنهاية، ابن كثير: ج٩ ص٣٣٨.

ذاك ؟ قال: كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر، يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فأقرئه منى السلام»(١).

وقال أبو الحنبلي: «قال عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم علماً عنده، وله كلام نافع في الحكم والمواعظ» (٢).

وقال محمد بن علي الصبان في إسعاف الراغبين: «وأما محمد الباقر الله وقال محمد بن علي الصبان في إسعاف الراغبين: «وأما محمد الباقر فهو صاحب المعارف وأخو الدقائق واللطائف، ظهرت كراماته وكثرت في السلوك إشاراته، لقب بالباقر لأنه بقر العلم، أي شقه وعرف أصله وخفيه» (٣).

الإمام الصادق عليه:

نقل عن أبي حنيفة أنه قال: «ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد لما أقدمه المنصور الحيرة بعث إليّ، فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيئ له من مسائلك الصعاب، قال: فهيأت له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر فأتيته بالحيرة، فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لم يدخل لأبي جعفر، فسلمت وأذن لي، فجلست، ثم ألتفت إلى جعفر، فقال: يا أبا عبد

⁽١) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص٣٠٤ - ٣٠٥.

⁽٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ج١ ص٢٦٠.

⁽٣) إسعاف الراغبين: ص٢٥٠.

الله، تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا أبو حنيفة، ثم أتبعها: قد أتانا، ثم قال: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله، وابتدأت أسأله، وكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها: كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون: كذا وكذا، ونحن نقول: كذا وكذا، فربما تابعنا، وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على أربعين مسألة... ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس» (١١).

وقال في مختصر التحفة الاثني عشرية: «لولا السنتان لهلك النعمان» (٢)، يعني السنتين اللتين نهل فيهما أبو حنيفة من بحر علم الإمام الصادق التلا.

وقال الحافظ شمس الدين الجزري: «وثبت عندنا أن كلاً من الإمام مالك، وأبي حنيفة رحمهما الله تعالى صحب الإمام أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق الله حتى قال أبو حنيفة: ما رأيت أفقه منه، وقد دخلني منه من الهيبة ما لم يدخلني للمنصور» (٣).

وقال الجاحظ بعد مدح عشرة من أهل البيت الميلاً، ومن ضمنهم الإمام الصادق الله فقال: (ومن الذي يُعد من قريش، أو من غيرهم ما يعد الطالبيون عشرة في نَسَق، كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاك فمنهم خلفاء... وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا بيوت العجم)(٤).

⁽١) تهذيب الكمال، المزي: ج٥ ص٧٩؛ نشر مؤسسة الرسالة.

⁽٢) نقلاً عن أسنى المطالب عما في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب: ص٥٥.

⁽٣) المصدر نفسه: ص٥٥.

⁽٤) رسائل الجاحظ: ص١٠٦.

وقال الذهبي في ترجمة مطوّلة للإمام الصادق الله في كتابه تاريخ الإسلام، قال في آخرها: «مناقب جعفر كثيرة، وكان يصلح للخلافة، لسؤدده وفضله وعمله وشرفه (رضوان الله عليه)» (١).

وقال أبو عبد الله سلمان اليافعي في كتابه مرآة الجنان، في أحداث سنة (٤٨هم)، «الإمام السيد الجليل سلالة النبوة ومعدن الفتوة أبو عبد الله جعفر الصادق الله ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده زين العابدين وعم جده الحسن بن علي (رضوان الله عليهم أجمعين) وأكرم بذلك القبر وما جمع من الأشراف الكرام أولي المناقب، وإنما لقب بالصادق لصدقه في مقالته وله كلام نفيس في علوم التوحيد وغيرها، وقد ألف تلميذه جابر بن حيان الصوفي كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائله، وهي خمس مائة رسالة» (٢٠).

وقال ابن حجر العسقلاني: «جعفر بن محمد... المعروف بالصادق، صدوق، فقيه، إمام»(٣).

قال الملا أبو علي القاري في شرح الشفا: «جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بـن أبـي طالب الهاشـمي المـدني المعروف بالـصادق... متفق على إمامته وجلالته وسيادته (٤٠٠).

وقال محمد بن عبد الرؤوف المناوي القاهري في الكواكب الدريّة:

⁽١) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات سنة ١٤١-١٦٠)، الذهبي: ص٩٣.

⁽٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ج١ ص٢٣٨.

⁽٣) تقريب التهذيب، ابن حجر: ج١ ص١٦٣.

⁽٤) شرح الشفاء أبو علي القاري: ج١ ص٤٣-٤٤.

«جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب... إماماً... وله كرامات كبيرة ومكاشفات شهيرة منها أنه سُعي به عند المنصور، فلما حج أحضر الساعي، وقال للساعي أتحلف؟ قال: نعم، فحلف، فقال: جعفر المنصور حلّفه بما رآه، فقال: قل برئت من حول الله وقوته، والتجأ إلى حولي وقوتي، لقد فعل جعفر كذا وكذا، فامتنع الرجل، ثم حلف فمات مكانه، ومنها أن بعض الطغاة قتل مولاه فلم يزل يصلّي، ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الضجة بموته، ومنها أنه لمّا بلغه قول الحكم بن عباس الكلبي في عمه زيد:

صلبنا لكم زيداً عَلَى عِلَى الجذع يصلب اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، فافترسه الأسد»(١).

وقال ابن حجر الهيتمي في صواعقه: «ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان» (٢).

الإمام الكاظم عليَّانِ:

قال في حقه محمد بن إدريس المنذر، أبو حاتم (ت٢٧٧هـ): «ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين» (٣).

وقال الفخر الرازي في بيان معنى الكوثر: «والقول الثالث: الكوثر

⁽١) الكواكب الدريّة: ص٩٤.

⁽٢) الصواعق، ابن حجرالهيتمي: ص٥٠٥.

⁽٣) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء: ج٦ ص ٢٧٠.

أولاده.... الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا الميكالي (١١).

وقال ابن حجر الهيتمي قال: «موسى الكاظم: وهو وارثه [أي جعفر الصادق] علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً، سُمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم.

وسأله الرشيد كيف قلتم: إنا ذرية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنتم أبناء علي؟ فتلى: ﴿وَمِن ذُرِيَّتِه دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَانتم أبناء علي؟ فتلى: ﴿وَمِن ذُرِيَّتِه دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَالْيَاسَ كُلِّ مِّنَ الْعَلْمِ فَقُلْ تَعَالَى الله أب، وأيضاً قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَكَ فِيهِ مِن الْعَلْمِ فَقُلْ تَعَالَوا لَهُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسسَاءَكَمْ وَأَنفُسسَنَا وَلِسسَاءَكُمْ وَأَنفُسسَنَا وَلِسسَاءَكُمْ وَأَنفُسسَنَا وَلِسسَاءَكُمْ وَأَنفُسسَنَا وَلِسسَاءَكُمْ وَأَنفُسسَنَا وَالْعَلْمِ فَقُلْ تَعَالَوا لَهُ عَلَى الْكَاذِينَ الله عَلَى الْكَاذِينَ الله عَلَى الْكَاذِينَ الله عَلَى الْكَاذِينَ الله عنهم)، والحسن والحسن (رضى الله عنهم)، ماهلته النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسن (رضى الله عنهم)، فكان الحسن والحسن وال

وقال خير الدين الزركلي (ت١٣٩٦): «كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد» (٥).

⁽١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج١٦ ص١٢٥.

⁽٢) الأنعام: ٨٥-٥٨

⁽٣) آل عمران: ٦١.

⁽٤) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص٣٠٧-٣٠٨.

⁽٥) الأعلام، خير الدين الزركلي: ج٧ ص ٣٢١.

الإمام الرضا علي :

قال في حقه ابن حبان (ت٣٥٤هـ): «وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن، من سادات أهل البيت وعقلائهم وجلة الهاشميين ونبلائهم... وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار بجنب قبر الرشيد، قد زرته مراراً كثيرة، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا (صلوات الله على جده وعليه) ودعوت الله إزالتها عني إلا أستجيب لي وزالت عني تلك الشدة، وهذا شيء جربته مراراً فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبة تلك الشدة، وأهل بيته (صلى الله عليه وسلام الله عليه وعليهم أجمعين) (١٠)

وقال الذهبي (ت٧٤٨هـ) في سير أعلام النبلاء: «علي الرضا الإمام السيد، أبو الحسن، علي الرضا بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي، بن الحسين، الهاشمي العلوي المدني... وكان من العلم والدين والسؤدد بمكان، يقال: أفتى وهو شاب في أيام مالك... وقد كان علي الرضا كبير الشأن أهلاً للخلافة» (٢).

وقال أيضاً: «علي بن موسى الرضا كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيره المأمون ولي عهده لجلالته» (٣).

وقال الحاكم النيسابوري في تاريخه: «كان يفتي في مسجد رسول

⁽١) الثقات، الألباني: ج ٨ ص ٤٥٦ - ٤٥٧.

⁽٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٩ ص٣٩٧-٣٩٢.

⁽٣) المصدر نفسه: ج١٣ ص١٢١.

الله عَلَيْهُ مُ وهو ابن نيف وعشرين سنة» (١).

الإمام الجواد عليَّالْإ:

قال في حقه محمد بن طلحة الشافعي: «... عرف بأبي جعفر الثاني، وهو وإن كان صغير السن، فهو كبير القدر رفيع الذكر» (٢).

وقال ابن الجوزي: «كان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود» (٣).

وقال ابن تيمية: «كان من أعيان بني هاشم معروف بالسخاء والسؤدد، ولهذا سمى الجواد»(٤).

وقال الذهبي: «كان من سروات آل بيت النبي عَلَيْكُ »(٥)، وقد أشار إلى فضله وشرفه صلاح الدين الصفدي في مرآة الجنان (٢).

وقال الذهبي أيضاً:«محمد الجواد من سادة قومه» (٧٠).

وقال ابن الصباغ المالكي: «وإن كان صغير السن، فهو كبير القدر رفيع الذكر، القائم بالإمامة بعد علي بن موسى الرضا» (٨).

⁽١) نقل قوله ابن حجر في تهذيب التهذيب: ج٧ ص ٣٣٩.

⁽٢) مطالب السؤول في مناقب الرسول، كمال الدين الشافعي: ج٢ ص ١٤٠.

⁽٣) تذكرة الخواص، السبط ابن الجوزي: ص ٣٢١.

⁽٤) منهاج السنة، ابن تيمية: ج٤ ص٨٦.

⁽٥) تاريخ الإسلام: (حوادث ووفيات سنة ٢١١-٢٢٠)، الذهبي: ص ٣٨٥.

⁽٦) مرآة الجنان، عبد الله بن أسعد المكي: ج٢ ص ٦٠ - ٦١.

⁽٧) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٣ ص١٢١.

⁽٨) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، ابن الصباغ المالكي: ص٢٥٣.

وقال يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠هـ): «محمد الجواد بن علي الرضا أحد أكابر الأئمة ومصابيح الأمة من سادات أهل البيت... توفى وله من العمر (٢٥) سنة وشهر رضي الله عليه وعن آبائه الطيبين الطاهرين وأعقابهم أجمعين ونفعنا ببركتهم آمين» (١).

وقال محمود بن وهيب: «وهو الوارث لأبيه علماً وفضلاً وأجل أخوته قدراً وكمالاً» (٢).

وقال السيد محمد عبد الغفار الهاشمي الأفغاني: «خاف الملك المعتصم على ذهاب ملكه إلى الإمام محمد الجواد الله إذ كان له قدر عظيم علماً وعملاً» (٣).

الإمام الهادي عليَّالْإِ:

قال في حقه شمس الدين الذهبي في (العبر): «وفيها ـ أي سنة ٢٥٤ هجرية ـ توفي أبو الحسن علي بن الجواد محمد بن الرضا علي بن الكاظم موسى... العلوي الحسيني المعروف بالهادي، توفي بسامراء وله أربعون سنة، وكان فقيها إماماً متعبداً» (٤).

وفي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجده السلايستثمر الفرص لإبداء النصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... حيث قال

⁽١) جامع كرامات الأولياء: ج ١: ص١٦٨-١٦٩.

⁽٢) أئمتناً: محمد علي دخيل: ج٢ ص٢٠٦.

⁽٣) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي النجفي: ج١٢ ص٤١٧، نقلاً عن كتاب أئمة الهدى: ص١٣٥ ط١ القاهرة.

⁽٤) العبر في أخبار من غبر: ج١ ص٢٢٨؛ وكذا مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ج٢ ص١١٩.

ابن خلكان في وفيات الأعيان: «... وهو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان قد سُعي به إلى المتوكل، وقيل: إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه، فوّجه إليه بعدة من الأتراك ليلاً، فهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه وحده في بيت مغلق، وعليه مدرعة من شعر... يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، فأخذ على الصورة التي وجد عليها، وحُمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه، والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شيء مما قيل عنه... فناوله المتوكل الكأس الذي كان بيده، فقال: اعفني، ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني منه، فأعفاه وقال: أنشدني شعراً استحسنه، فقال: إني لقليل الرواية للشعر، قال: لابد أن تنشدني، فانشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فهما أغنتهم القلل واستنزلوا بعد عز من معاقلهم فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرة والتيجان والحلل أين الوجوه التي كانت منعمة

فأف صح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوء عليها الدود يقت تل قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا(١)

وبنفس هذا المضمون قال ابن الوردي في كتابه أخبار من غبر (٢)، وكذا أبو صلاح الصفدي (٣).

وقال ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: «قال بعض أهل العلم: فضل أبي الحسن علي بن محمد الهادي قد ضرب على الحرة بابه ومد على نجوم السماء أطنابه فما تعد منقبة إلا وإليه نحلتها، ولا تذكر كريمة إلا وله فضيلتها، ولا تورد محمدة إلا وله تفضلها وجملتها... فكانت نفسه مهذبة وأخلاقه مستعذبة وسيرته عادلة وخلاله فاضلة... جرى على الوقار والسكون والطمأنينة والعفة والنزاهة، والخمول في النباهة على وتيرة نبوية وشنشنة علوية ونفس زكية وهمة علية...» (3).

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: «توفى [الجواد]... وعمره خمس وعشرون سنة... عن ذكرين وبنتين أجلهم علي العسكري... وكان وارث أبيه علماً وسخاءً» (٥).

⁽١) وفيات الأعيان، ابن خلكان: ج٣ ص٢٣٨؛ دار الكتب العلمية.

⁽٢) العبر في أخبار من غبر: ج١ ص٣٦٤.

⁽٣) الوافي بالوفيات، الصفدي: ج٢٢ ص٧٧ - ٧٣.

⁽٤) الفصول المهمة: ص ٢٧٠.

⁽٥) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص٣١٢.

وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب: «... أبو الحسن... المعروف بالهادي كان فقيها إماماً متعبداً» (١)

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «وكذا ولده الملقب بالهادي شريف جليل» (٢).

الإمام العسكري عليَّكِ:

قال في حقه محمد بن طلحة الشافعي: «اعلم أن المنقبة العليا والمزية الكبرى التي خصه الله عزّوجل بها وقلده فريدها ومنحه تقليدها وجعلها صفة دائمة لا يبلي الدهر جديدها، ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها، أن المهدي محمد من نسله المخلوق منه وولده المنتسب إليه، وبضعته المنفصلة عنه» (۳).

وقال ابن الجوزي: «...كان عالماً ثقة» (١٠٠٠)

وقال ابن الصباغ المالكي: «مناقب سيدنا أبي محمد العسكري دالة على أنه السري ابن السري فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري... واحد زمانه من غير مدافع، ويسبح وحده من غير منازع، وسيد أهل عصره وإمام أهل دهره، أقواله سديدة وأفعاله حميدة... كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحديّث في سره بالأمور الخفيات، الكريم

⁽١) شذرات الذهب، عماد الحنبلي: ج٢ ص٢٧٢.

⁽٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٣ ص١٢١.

⁽٣) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ج٢ ص١٤٨.

⁽٤) تذكرة الخواص: ص٣٢٤.

الأصل والنفس والذات تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه بمحمد الله آمين (١٠).

وقال العباس بن نور الدين المكي (ت١١٨٠هـ): «أبو محمد الإمام الحسن العسكري: نسبه أشهر من القمر ليلة أربعة عشر يعرف هو وأبوه بالعسكري، وأما فضائله فلا يحصرها السن» (٢).

وعن الشريف علي بن الدكتور محمد عبد الله فكري الحسيني القاهري: «قال نسبه... ولما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأى وقامت صيحة واحدة، وعطلت الأسواق، وأغلقت الدكاكين، وركب بنو هاشم والقواد والكتاب والقضاة وسائر الناس إلى جنازته، وكانت سر من رأى يومئذ شبيه بالقيامة» (۳).

وقال الحضرمي الشافعي: «أبو محمد الحسن الخالص بن علي العسكري، كان عظيم الشأن جليل المقدار... ووقع له مع المعتمد لما حبسه كرامة ظاهرة مشهورة»(٤).

وقد جمع مدحهم المنظم الذهبي في عبارة جامعة حيث قال: «إن بني هاشم أفضل القريش، وقريشاً أفضل العرب، والعرب أفضل بني آدم، كما صحح عن النبي مَنْ وله في الحديث الصحيح: إن الله اصطفى بني

⁽١) الفصول المهمة: ص٢٧٩؛ وقال بمضمونه نور الدين السمهودي في كتابه الإتحاف بحب الأشراف.

⁽٢) حياة الإمام العسكري، القرشي: ص٦٩.

⁽٣) شرح إحقاق الحق: ج٢٩ ص ٦٠- ٦١، نقلاً عن أحسن القصص: ج٤ ص ٣٠٤.

⁽٤) قادتنا كيف نعرفهم، السيد الميلاني: ج٧ ص١١٥، عن وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل: ص٤٢٦.

إسماعيل واصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش»(١).

وقال الذهبي في ترجمته للإمام المهدي المنتظر الثيلان (ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة، وأنه صاحب الزمان، وأنه حي لا يموت، حتى يخرج، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فوددنا ذلك، والله.

فمولانا الإمام علي: من الخلفاء الراشدين، وابناه الحسن والحسين: فسبطا رسول الله عَلَيْ وسيدا شباب أهل الجنة، لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك.

وزين العابدين: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة. وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سيد، إمام، فقيه، يصلح للخلافة.

وكذلك ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبى جعفر المنصور.

وكان ولده موسى: كبير القدر، جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون.

وابنه علي بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيره المأمون ولي عهده لجلالته.

وابنه محمد الجواد: من سادة قومه.

وكذا ولده الملقب بالهادي: شريف جليل.

وكذلك ابنه الحسن بن علي العسكري. رحمهم الله تعالى»(٢).

⁽١) رأس الحسين، ابن تيمية: ص٢٠٠–٢٠١.

⁽٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٣٠ ص١٢٠ - ١٢١.

ومن جميع ما تقدم يتضح ـ لمن له أذن واعية ـ بطلان المقولة القائلة بأن الإمامة لا فائدة منها، وأن الأئمة الاثني عشر من آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) لم يمارسوا دورهم القيادي في الحكومة وهداية الأمة؛ وذلك لقيام الأئمة بمسؤوليتهم وأداء دورهم في حياة الأمة في الحفاظ على الرسالة وتحصينها ضد التردي والسقوط في الهاوية.

وإن إقصاءهم عن تسلم الحكم لا يعني تخلّيهم عن مسؤوليتهم في تحمل أعباء الإمامة بما لها من أبعاد أخرى.

تراثزاخر

وأما قول المستشكل: أين هي أقوال أئمة الاثنى عشرية ؟

فنقول: ما عليك إلا بمراجعة يسيرة للتراث الشيعي حتى تجده زاخراً بروايات وتوصيات وتوجيهات أهل البيت المسلط في كل المجالات، ولم تقتصر الاستفادة منها على شيعتهم وأتباعهم فقط، وإنما عمت الفائدة لكل الطوائف الأخرى، كما تقدم.

الخلاصت

١- لا ريب أن الإمامة جعل إلهي كما نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلَمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١).
 قَالَ وَمِن ذُرِيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾

٢- من خلال الآية السابقة يتضح أن منصب الإمامة غير منصب النبوة،
 وذلك من خلال دعاء إبراهيم الشيخ الذي طلب هذا المنصب لذريته وهو
 في أواخر عمره الشريف مع أنه كان نبياً في بداية حياته.

٣- استمرار الإمامة في ذرية إبراهيم كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيةً فِي عَقِبِهِ ﴿ (٢) م وقوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (١) م وممن ذهب إلى هذا القول من أهل السنة القندوزي في ينابيع المودة (٤).

وقد أكَّد رسول الله ﷺ على أن الهادي من بعده هو على التَّهُ إِنَّهُ

3- بمقتضى قوله تعالى ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٥) يتضح أن الإمام المنصوب من قبل الله تعالى لابد أن يكون معصوماً، لأن الظالم لا ينال هذا العهد الإلهي، ومن المعلوم أن المذنب والعاصي ولو مرة في حياته فهو ظالم لنفسه، فلا يشمله العهد الإلهي.

٥- إنّ منصب الإمامة شامل لكل المناصب القيادية التي ترتبط بهداية

⁽١) البقرة:١٢٤.

⁽٢) الزخرف: ٢٨.

⁽٣) الرعد: ٧

⁽٤) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٣٥٣ – ٣٥٤، ج٢ ص ٢٤٨ – ٢٤٩.

⁽٥) البقرة: ١٢٤.

الناس من المرجعية الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية والقضائية ونحوها كما هو الحال في رسول الله على المناصب القيادية، وعلى هذا الضوء فليس من الصحيح اختزال دور الإمام في القيادة السياسية فحسب، وهذه نقطة مهمة جداً في معرفة الإمام.

7- ممّا تقدم يتضح أن إقصاء أهل البيت الملك عن موقعهم وقيادتهم للجانب السياسي لا يعني تخليهم عن دور الإمامة؛ لأن الإمامة لا يمكن أن تزول لكونها جعلاً إلهياً، فهي ذات أدوار ومناصب متعددة في كل المجالات القيادية في الأمة، كالجانب العلمي وجانب الهداية ونحوها، ومما يشهد لذلك ما خلفوه الملكي من تراث ضخم جداً في مختلف العلوم على الرغم من شدة وقساوة الظروف التي عاشوها.

٧- وردت شهادات كثيرة جداً من أعلام السنة في حق أهل البيت المَيِّاتين أفضليتهم وأعلميتهم بين الأمة، وأن لهم دوراً كبيراً في هداية وتوعية الأمة.

الإمامة في القرآن

الشبهت:

عدم وجود الإمامة في القرآن الكريم دعا الشيعة إلى القول بتحريفه.

الجواب:

تمهيد:

إن تهمة التحريف التي حاول البعض مراراً وتكراراً إلصاقها بمذهب أهل البيت المنظي، تهمة لا أساس لها من الصحة؛ إذ أن من الحقائق الأساسية الثابتة عند الشيعة أنها لا تقول بالتحريف، وهذا ما نراه واضحاً وجلياً عند مراجعة ما كتبه علماء الشيعة في هذا المجال.

وحاصله: إنّ القرآن الذي بين أيدينا اليوم هو القرآن ذاته الذي نزل على نبينا محمد عَلَيْكُاللهُ.

وكيف يمكن أن يدعي أحد من المسلمين التحريف وهو يتلو قوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنسزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١).

وكيف يدعي أحد من المسلمين التحريف وهو يقرأ ما تواتر عن الرسول عَمَا الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»؟ !!.

وكيف تقول الشيعة بالتحريف وقد أمرهم أئمتهم اللجي بترك ما خالف

⁽١) فصلت: ٤٢.

كتاب الله من الروايات، كما ورد ذلك صحيحاً في كتبهم المعتبرة، وعلى سبيل المثال ما ورد: «عن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله الله الله على يقول: كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»(۱).

فالحكم والفيصل في قبول رواية أو ردها هو كتاب الله تعالى، لحقانيته وعصمته عن الخطأ والتحريف.

ولذا أطبق مشهور علماء الشيعة على أن القرآن جاءنا متواتراً عن رسول الله ﷺ منزهاً عن كل نقص وتحريف.

فالسيد الخوئي مثلاً في تفسيره (البيان في تفسير القرآن) يقول: «ومما ذكرناه: قد تبين للقارئ أن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل» (٢).

هذه إطلالة سريعة تمهد لنا الدخول في البحث، أمّا البحث المفصّل عن عدم تحريف القرآن الكريم فسيأتي في محلّه الخاص به (عندما نجيب عن شبهة تحريف القرآن).

إذن رمي الشيعة بتهمة القول بتحريف القرآن ينبثق من أصحاب النفوس المريضة والمغرضة، الذين لا يجدون غير الاتهامات والافتراءات ملجاً.

بعد هذا التمهيد المختصر نجيب بما يلي:

⁽١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٧: ص١١١.

⁽٢) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: ص٢٥٩.

أولا: القرآن ينص على الإمامة

إنّ القرآن لم يفقد هدايته للإمامة لكي نلتجئ إلى القول بتحريفه، بل القرآن يهدي إليها بالصراحة والنص، وقبل أن نطلعك على الآيات التي صرّحت بالإمامة لابد من التنبيه على مفهوم الإمام، وما هو المراد منه في القرآن الكريم ؟، وإليك إيجازاً في ذلك:

عُرِّف الإمام في اللغة: بالإنسان الذي يؤتم به ويقتدى بقوله أو فعله محقّاً كان أو مبطلاً (١) وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنساسٍ مِحقّاً كان أو مبطلاً (١) وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنساسٍ إِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِي كَتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولُلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كَتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَبِيلاً (٢)، وقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرَ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿(٣).

أما الإمام الحق في الإسلام فهو الهادي إلى سبيل الله بأمر منه عز وجل، سواء كان إنساناً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتَ فَاتَمَّهُنَّ سواء كان إنساناً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتَ فَاتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرَيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿ أَنَّ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَبُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (٥).

أَم كَانَ كَتَاباً، كَمَا في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إَمَامًا وَرَحْمَةُ ﴾ (٦).

⁽١) انظر: لسان العرب، ابن منظور: ج١٢ ص ٢٤ - ٢٥.

⁽٢) الإسراء: ٧١.

⁽٣) التوبة: ١٢.

⁽٤) البقرة: ١٧٤.

⁽٥) الأنبياء: ٣٠.

⁽٦) هود: ١٧.

ومن حصيلة هذه النصوص القرآنية يتضح أن من شروط الإمام الحق في القرآن الكريم؛ إن كان كتاباً فلابد أن يكون منزلاً من قبل الله تعالى على رسله لهداية الناس، كما كان ذلك شأن كتاب خاتم الأنبياء محمد على ومن قبله كتاب موسى الله وذلك أيضاً شأن سائر كتب الأنبياء الله ومن قبله كتاب موسى الله وذلك أيضاً شأن سائر كتب الأنبياء الله وإن كان إنساناً فلابد أن تكون إمامته مجعولة من قبل الله تبارك وتعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (ا) وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾ (ا) وكذلك لابد أن يكون هذا الإنسان غير ظالم لنفسه ولا لغيره، أي منزه عن عصيان الله تعالى كما هو مقتضى قوله تعالى: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّلْمِينَ﴾ (ا) وإطلاق الظالمين شامل لكل ظلم سواء كان على الغير، أو على النفس، وكل معصية صغيرة أو كبيرة تُعد ظلماً لا يصلح مرتكبه لهذا المقام الشامخ، ومن أبرز مصاديق الظلم هو الشرك بالله وعبادة غيره حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (أ).

وبذلك يتضح أن الإمام في الاصطلاح القرآني هو:

الإنسان المعصوم من الذنوب والمجعول من قبل الله تعالى لهداية الناس.

الكتاب المنزل من قبل الله تعالى على رسله لهداية الناس.

هذا إيجاز، وتفصيله قد ذكر في الجواب عن الشبهة السابقة فراجع.

⁽١) البقرة: ١٢٤.

⁽٢) الأنبياء: ٧٣.

⁽٣) البقرة: ١٢٤.

⁽٤) لقمان: ١٣.

وإذا اتضح ذلك، نذكر لك جدولة سريعة على سبيل الاختصار لبعض الآيات القرآنية التي هدت وأرشدت إلى الإمام والإمامة، وصرّحت بهما، والتي ترسم وتحدد معالم أطروحة الإمامة في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكُلَمَاتَ فَأَتُمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن دُرِّيْتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١) ومن الواضح من لحن الآية وسياقها أن الله تعالى جعل إبراهيم إماماً في أواخر عمره الشريف، بعد أن كان نبياً ورسولاً وخليلاً، فكيف يقال إن القرآن لا يهدي إلى الإمامة ؟ !!.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِئَا لَمَّا صَـبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿ (٢) مَا هَذَه الآية تدلُّ على أَن الإمامة جعل و تنصيب من قبل الله تعالى.

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴿ (٣). ٤- قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٤).

٥- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي وَأُولِي الأَمْرِ (٥) وهذه الآية تشرح مفهوم الإمامة وتشبعه إشباعا رائعاً، حيث قرنت طاعة أولي الأمر بطاعة الله تعالى، مما يكشف عن أن هذه الولاية

⁽١) البقرة: ١٢٤.

⁽٢) السجدة: ٢٤.

⁽٣) الأنساء: ٧٣.

⁽٤) القصص: ٥.

⁽٥) نساء: ٥٩.

متفرعة عن ولاية الله وولاية الرسول على أن الولاية والإمامة، وقيادة الناس ليس من صلاحيتهم ولا بتنصيبهم؛ لأن ما هو اللازم عليهم المتابعة والانقياد في ذلك وحسب، وعلى هذا الأساس نقول أيضاً: كيف أن القرآن لا يهدي إلى الإمامة؟!!.

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُ وَا الصَّلاَةُ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿()، وتحتشد في هذه الآية الكريمة دلالات كثيرة لإثبات الإمامة، وبشكل خاص إمامة علي بن أبي طالب عليه وهذا ما نجده واضحاً عندما نرجع إلى مصادر الفريقين في هذا المجال، وملاحظة الروايات الواردة في شأن نزول الآية المباركة (٢).

٧- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّعْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَعْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ... ﴾ (٣) حيث تكشف هذه الآية بشكل صريح وواضح النقاب عن أهمية وجود الإمام بعد الرسول عَلَيْنَ فَهَا بَلَعْتَ وَجود الإمام بعد الرسول عَلَيْنَ فَهَا بَلَعْتَ وَكُولا الإمامة يغدو كل شيء وكأنه لم يكن، رسالته والله يقوي ويتمزق، وأروع ما يرشدنا أي لا يبقى نسيج متماسك للإسلام، بل يهوي ويتمزق، وأروع ما يرشدنا

⁽١) المائدة: ٥٥.

⁽۲) انظر: الدر المنثور، السيوطي: ج٣ ص١٠٥ - ١٠٦؛ تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ج٦ ص ٤٦٠؛ تنزيل الآيات: ص٤٥؛ التهذيب في التفسير: ج٣ ص ١٠٦ توضيح الدلائل: ص ١٥٨ مودة القربى: ص٥٥؛ ينابيع المودة: ج١ ص ١١ - ١٦، ص ٣٤٧ - ٣٤٨، الفصول المهمة: ص ١١٧ - القربى: ص ١٥٠ تفسير الثعلبي: ج٤: ص ٨٠ - ٨١ أسباب النزول، الواحدي: ص ١٥٣؛ أرجح المطالب: ص ٢٠٠، مناقب المغازلي: ص ١٨؛ تفسير القرطبي: ج٢ ص ٧٣ - ٧٤، وغيرها من المصادر.

⁽٣) المائدة: ٧٧.

إلى اهتمام القرآن بالإمامة هو التعبير الذي ورد في الآية المباركة بإكمال المدين ورسالة الله تعالى، ورضاه عز وجل بالإسلام ديناً بعد تنصيب الرسول عَيْنِ للله لله تعلى عليه خلفاً وإماماً بعده، حيث قال تعالى: ﴿الْيَـوْمُ أَكْمَلْتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ (١).

فهذه لمحة عامة تكشف عن اهتمام القرآن بالإمامة، فهل بعد هذا كله يمكن أن يقال: إن القرآن الكريم لا يهدي إلى الإمامة؟!!.

ثانيا: السنة النبوية تنص على الإمامة

إنّ القرآن الكريم أمرنا وبكل صراحة أن نأخذ بما يأمرنا به رسوله الأكرم عَنَالُهُ، قال عز وجل وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَحُدُوهُ وَمَا لَهَاكُمْ عَنْهُ الأكرم عَنَالُهُ، قال عز وجل النبي الأعظم عَنَالُهُ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا فانتهُوا... وذلك لأن النبي الأعظم عَنَالُهُ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وعلى هذا الأساس فإن هناك الكثير من النصوص الواردة عن الرسول عَنَالُهُ التي نلمس منها عمق اهتمامه بالإمامة والخلافة من بعده، وقد طفحت بها كتب الفريقين، كحديث الغدير والثقلين وحديث المنزلة والدار، وغيرها من الأحاديث الكثيرة المتواترة من طرق الفريقين، فراجع.

⁽١) المائدة: ٣.

⁽٢) الحشر: ٧.

الخلاصة

أولاً: إن شبهة القول بتحريف القرآن لا أساس لها من الصحة عند مشهور الطائفة الشيعية الإمامية، وسيوافيك الكلام عنها مفصلاً مشفوعاً بالأدلة القطعية عند الجواب عنها في محلّه.

ثانياً: تبين مما تقدم أن القرآن الكريم يهدي بصراحة للإمامة، وبيان معالمها ويحدد أطروحتها بشكل واضح لا غبار عليه.

ثالثاً: إنّ السنة النبوية قد هدى إليها القرآن وأمر بوجوب التمسك بها، وهي بدورها تهدي أيضاً إلى الإمامة بنحو صريح ومفصل ومتواتر.

آية الولاية لا تختص بعلي النالخ

الشبهة:

إِنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلَيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُ وَا السَّلاَةَ وَيُؤثُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١) لا تدل على ولاية وإمامة علي بن أبي طالب النَّهِ الأن الآية جاءت بصيغة الجمع (الذين) مع أن أقبل الجمع ثلاثة، فكيف تدعي الشيعة أن المراد من الآية هو علي النَّهِ ؟

الجواب:

أولا: كثرة استعمال الجمع وإرادة المفرد في القرآن

إنّ استعمال لفظ الجمع وإرادة الواحد المفرد ورد في القرآن الكريم في موارد متعددة: منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ فَي موارد متعددة: منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴿ '' ، ذكر المفسرون أن المراد به في الآية شخص واحد، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي '' ، قال النسفي في تفسيره: «هو جمع أريد به الواحد... » ' ، وقال القرطبي في تفسيره: «واللفظ عام ومعناه خاص كقوله: (أم يحسدون الناس) يعني محمداً عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ المَا القائل به هو لئن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَرُّ مِنْهَا الأَذَلُ ﴿ '' ، وقد صح أنّ القائل به هو

⁽١) المائدة: ٥٥.

⁽٢) آل عمرن: ١٧٣.

⁽٣) انظر: تفسير القرطبي: ج٤ ص ٢٧٩؛ تفسير الجلالين، السيوطي: ص ٩١.

⁽٤) تفسير النسفي، النسفي: ج١ ص١٩٢.

⁽٥) تفسير القرطبي: ج٤: ص٢٧٩.

⁽٦)المنافقون: ٨.

عبد الله ابن أبي بن سلول (۱)، وهكذا جاء في آية المباهلة، قوله تعالى: ﴿ فَقُلُ تَعَالَواْ نَدْعُ الْبَاءِ نَا وَاسَاءَ الْ وَاسَاءَ عُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ الْبَيْهِ فَيَجْعَل وَقَقُلُ تَعَالَواْ نَدْعُ الْكَاذِينَ (۱) محيث جاء لفظ (أنفسنا) بصيغة الجمع مع إن المراد به واحد، وهو علي بن أبي طالب الميلاء وكذا (نساءنا) جاء بلفظ الجمع مع أن المراد منه امرأة واحدة، وهي فاطمة الزهراء عليه وكذا (أبناءنا) مع أنهما اثنان، وهما الحسن والحسين الميلاه (۱) وكذا قوله تعالى: ﴿ وَلَنْ قَلُواْ إِنَّ اللَّهُ فَقَيرٌ وَنَحْنُ أَغْيَاء ﴾ (٤)، فقد ذكر الحسن: (أن قائل هذه المقالة هو يحيى بن أخطب، وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن المقالة هو يحيى بن أخطب، وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق: هو فنحاص بن عازوراء (١٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْهُمُ الّذِينَ يُؤَدُّونَ النّبِيّ اللّهُ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياء في رجل من المنافقين: ﴿ إما في الجلاس بن سويد، أو في نبتل بن الحرث، أو عتاب بن قشير (٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَالّذِينَ يَنْغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَ النّكُمْ فَكَ اتُبوهُمْ إِنْ عَلِمْ تُمْ فِيهِمْ اللّذِينَ يَنْغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَ النّكُمْ فَكَ اتبُوهُمْ إِنْ عَلِمْ مَنْ في صبيح مولى حويطب بن عبد العزى (١)، وغيرها من خَيْرًا ﴾ (٨)، نزلت في صبيح مولى حويطب بن عبد العزى (١)، وغيرها من

⁽١) جامع البيان: الطبري: ج٢٨ ص١٣٨ ح٢٦٤٦٣؛ تفسير القرطبي: ج٨ ص٢٠٦؛ وغيرها من كتب التفسير الأخرى الكثيرة.

⁽٢) آل عمران: ٦١.

⁽٣) صحيح مسلم: ج٤ ص ١٨٧١ ح ٢٤٠٤؛ تفسير الطبري: ج٣ ص ٤٠٤ - ٤١٠؛ تفسير الكشاف، الزمخشري: ج١ ص ٣٠١ - ٣٠١؛ تفسير القرطبي: ج٤ ص ١٠٤؛ سنن الترمذي: ج٥ ص ٣٠١ - ٣٠٠: ح٣٠٠؛ أحكام القرآن، للجصاص: ج٢ ص ١١٥؛ فرائد السمطين: ج١ ص ٣٠١: ح٢٠٧؛ الإصابة، ابن حجر العسقلاني: ج٢ ص ٥٠٩؛ وغيرها من كتب الفريقين.

⁽٤) آل عمران: ١٨١.

⁽٥) انظر تفسير القرطبي: ج٤ ص٢٩٤.

⁽٦) التوبة: آية ٦١.

⁽٧) انظر تفسير القرطبي: ج٨ ص١٩٢؛ تفسير الخازن: ج٢ ص٢٥٣؛ الإصابة: ج٣ ص٥٤٩.

⁽٨) النور: ٣٣.

الاستعمالات القرآنية الكثيرة في ذلك، وعلى هذا الأساس لا مجال للإشكال والاعتراض على التعبير عن الواحد بلفظ الجمع.

ثانيا: استعمال الجمع وإرادة المفرد سائغ في لغمّ العرب

إن استعمال لفظ الجمع وإرادة الواحد استعمال سائغ في لغة العرب، وليس استعمالاً مستهجناً، لا سيما إذا كان الواحد معظماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئنَا لاَتَيْنَا تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئنَا لاَتَيْنَا كُلُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئنَا لاَتَيْنَا كُلُ نَفْسِ هُدَاهَا﴾ (٣).

ثالثا: الاعتراض المذكور يتنافى مع الروايات المتواترة

إن نفس الاعتراض على التعبير عن الواحد بلفظ الجمع، يتضمن أن لا تكون الآية المباركة ـ آية الولاية ـ نازلة بحق علي بن أبي طالب الله بالخصوص، وهذا تكذيب ورفض لما تضافر من الروايات من طرق الفريقين في كونها نزلت في حق علي الله فقد روى الثعلبي في تفسيره: «بينما عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم إذ أقبل رجل متعمم بالعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله، إلا قال الرجل: قال رسول الله؟ فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا

⁽١) انظر تفسير القرطبي: ج١٢ ص٢٤٤؛ أسد الغابة، ابن الأثير: ج٣ ص١١؛ الإصابة تمييز الصحابة، ابن حجر: ج٢ ص١٧٦.

⁽٢) الحجر: ٩.

⁽٣) السجدة: ١٣.

جندب بن جنادة البدري، أبو ذر الغفاري: سمعت رسول الله عَيَّالله بهاتين وإلا ضمتا، ورأيته بهاتين وإلا فعميتا، يقول: علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أما إني صليت مع رسول الله عَيَّالله يوماً من الأيام صلاة الظهر، فدخل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد، إني سألت في مسجد رسول الله، فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي راكعاً فأومى إليه بخنصره اليمنى، وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي عَيَّالله فلما فرغ النبي من الصلاة، فرفع رأسه إلى السماء وقال: «ربّ اشرح لي صَدْري * ويَسّر لي وقال: «اللهم إن أخي موسى سألك، فقال: «ربّ اشرح لي صَدْري * ويَسّر لي وقال: «اللهم إن أخي وزيرًا مِن أهلي وزيرًا مِن أهلي * هَارُون أخي * اشدد به أزري * (الآية.

فأنزلت عليه قرآنا ناطقاً ﴿ سَنَشُدُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَ اسُلْطَانًا ﴾ (٢) اللّهم وأنا محمداً نبيك وصفيك، اللّهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري ».

قال أبو ذر: فو الله ما استتم رسول الله الكلمة حتى أنزل عليه جبرئيل من عند الله، فقال: يا محمد، إقرأ، فقال: وما أقرأ ؟ قال: إقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلَـيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ رَاكَعُونَ ﴾ (٣)(٤).

وفي الدرّ المنثور أخرج عن الطبري في الأوسط وابن مردويه عن

⁽۱) طه: ۲۵ - ۳۱.

⁽٢) القصص: ٣٥.

⁽٣) المائدة: ٥٥.

⁽٤) تفسير الثعلبي: ج٤ ص٨٠ - ٨١

عمار بن ياسر قال: «وقف بعلي سائل وهو راكع في صلاة تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله عَلَيْ فأعلمه ذلك فنزلت على النبي عَلَيْ هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُوثُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾، فقرأ رسول الله عَلَيْ أَصحابه، ثم قال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من ولاه، وعاد من عاداه» (١).

وأخرج أيضاً عن ابن مردويه عن علي بن أبي طالب عليه النائد والناس الته الله ورَسُولُهُ وَالَّذِينَ... الله الله على رسول الله عَلَيْهُ في بيته وإنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله ورَسُولُهُ وَالَّذِينَ... الله الله الله عَلَيْهُ في بيته وإنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله ورَسُولُهُ وَالناس يصلون آخر الآية، فخرج رسول الله عَلَيْهُ فدخل المسجد، جاء والناس يصلون بين راكع وساجد وقائم يصلي، فإذا سائل فقال: يا سائل، هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: لا، إلا ذاك الراكع لعلي بن أبي طالب أعطاني خاتمه.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن سلمة بن كهيل، قال تصدق علي بخاتمه وهو راكع، فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اللَّهَ نزلت في علي جرير عن مجاهد في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الآية نزلت في علي بن أبي طالب، تصدق وهو راكع وأخرج ابن جرير عن السدي وعتبة بن حكيم مثله.

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: إذ نزلت هذه الآية على رسول الله عَلَيْ ﴿ إِلَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّلَهِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّلَّهِ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا لَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ

⁽١) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي: ج٣ ص١٠٥.

قال: ذاك الرجل القائم، قال: على أي حال أعطاكه؟ قال: وهو راكع. قال: وذلك علي بن أبي طالب، فكبر رسول الله عَلَيْكُ عند ذلك وهو يقول: ﴿وَمَن يَتُولُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.

وأخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم عن أبي رافع قال: دخلت على رسول الله عَلَيْ الله وهو يقول: ﴿إِلّمَ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله وهو يقول: ﴿إِلّمَ الله وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤثُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُ ونَ ﴾ وَلَيْكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤثُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُ ونَ السَّالَةُ وَيُؤثُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُ ونَ الصَّلاَةِ وَيُؤثُونَ الله إياه (۱) وأخرج هذه الحمد لله الذي أتم لعلي نعمه، وهيّأ لعلي بفضل الله إياه (۱)، وأخرج هذه الأحاديث أيضاً آخرون (۱).

⁽١) ألدر المنثور، السيوطي: ج٣ ص١٠٥ وما بعد.

⁽٢) أخرج بعض تلك الروايات الطبري في تفسيره: ص٣٨٩ - ٣٩٠ من طريق ابن عباس وعتبة بـن حكيم ومجاهد.

وهكذا أخرجها الإسكافي في كتابه المعيار والموازنة: ص ٢٢٨.

والزمخشري في الكشاف": ج"١ ص٦٤٩، ولم يضعف الحافظ ابن حجر العسقلاتي هـذه الروايـات في حاشيته على الكشاف مع أنه ضعف غيرها.

والو إحدي في أسباب النزول: ص١٣٣ من طريقين؛ والرازي في تفسيره: مج٦ ج١٢ ص٢٨ عن عطاء عن عبد الله بن سلام وابن عباس وأبي ذر؛ وابن المصباغ المالكي في الفصول المهمة: ص١١٧ - ١١٨.

وسبط ابن الجوزي في التذكرة: ص ٢٤ - ٢٥؛ والخوارزمي في مناقبه: ص ٢٦٤ - ٢٦٥ بطريقين؛ والقاضي عضد الدين الإيجي في المواقف ج٣ ص ٢١٤؛ وفي الذخائر ص ١٠٢ من طريق الواقدي وابن الجوزي.

وابن كثير في تفسيره ج٢ ص٧٤ بطريق عن أمير المؤمنين (ع) ومن طريق ابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل عن ابن جرير الطبري بإسناده عن مجاهد والسدي، وعن الحافظ عبد الرزاق بإسناده عن ابن عباس وبطريق الحافظ ابن مردويه بالإسناد عن سفيان الثوري عن ابن عباس، ومن طريق الكلبي عن ابن عباس.

وحديث أبن سعيد الأشج الذي ذكره ابن كثير رواته كلهم ثقات، فالحديث صحيح على المباني الرجالية.

رابعا: الاعتراض غريب لم يعهد من الصحابة ولا من التابعين

بعد أن ثبت أن الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه فإن الكثير من الناقلين لهذه الأخبار هم من صحابة رسول الله على والتابعين المتصلين بهم زماناً، وهؤلاء من العرب ولم تفسد لغتهم ولم تختلط بغيرها من اللغات بحيث أصبحوا لا يميزون بين الصحيح والسقيم من الاستعمالات اللغوية، ولو كان هذا الاستعمال لا تبيحه اللغة، ولا يعهده أهلها ولم تقبله طباعهم لكانوا أحق بالاعتراض عليه، ولم يؤثر ولم ينقل عن أحد منهم ذلك.

وأخرجه ابن كثير أيضا في البداية والنهاية: ج٧ ص٣٩٤ – ٣٩٥ عن الطبراني بإستاده عن أمير المؤمنين ومن طريق ابن عساكر عن سلمة بن كهيل؛ والصواعق، ابن حجر: ص ٣٦٠؛ وأحكام القران، لجصاص: ج٢ ص ٥٥٨ وقد ذكرها في باب العمل اليسير في الصلاة، وقال: «وقوله تعالى: (ويؤتون الزكاة وهم راكعون) يدل على أن صدقة التطوع تسمى زكاة؛ لأن علياً تصدق بخاتمه تطوعاً»، فأرسل ذلك إرسال المسلمات؛ والآلوسي في روح المعاني: ج٦ ص ١٦٧ وقال: (وغالب الأخباريين على أنها نزلت في على عليه الله وجهه)؛ وقال في: ج٦ ص ١٨٦: (والآية عند معظم المحدثين نزلت في علي كرم الله وجهه)؛ والحاكم النيسابوري في معرفة علوم الحديث: ص ١٠٠؟ والقرطبي في تفسيره: ج٦ ص ٢٢١؛ والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج١ ص ٢٣٥ – ٢٣٣ والزرندي الحنفي في نظم درر السمطين: ص ٨٨٠ والسيوطي في كتابه لباب النقول في أسباب النول ص ٨١٠ وقال بعد نقل عدة كثيرة من الروايات: «فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً»؛ و في النزول ص ٨١٠ وقال المناوي: «أخرج الخطيب في المتفق والمفترق عن ابن عباس».

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً فدتك نفوس القوم يا خير راكع بخاتمك الميمون يا خير سد ويا خير شار ثم يا خير بايع فيأنز فيك الله خير ولاية فينها في محكمات الشرائع

ذكرها الخوارزمي في المناقب: ص٣٩٦؛ وسبط ابن الجوزي في تذكرته: ص٢٥؛ ونظم درر السمطين، الزرندي الحنفي: ص٨٨.

خامسا: جواب الزمخشري

إنّ هـذا التـساؤل مطـروح قـديماً، وقـد رده مفـسرو أهـل الـسنة كالزمخشري، حيث يقول في معرض جوابه عنه: «فإن قلت: كيف صح أن يكون لعلي واللفظ لفظ جماعة ؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها»(١).

⁽۱) الكشاف، الزمخشري: ج ١ ص ٦٤٩.

الخلاصت

١- إن استعمال لفظ الجمع وإرادة الواحد استعمال سائغ في القرآن في موارد كثيرة.

٢- استعمال لفظ الجمع وإرادة الواحد استعمال سائغ في لغة العرب،
 لاسيما إذا كان الواحد معظماً، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لاَتُيْنَا كُلَّ نَفْسِ هُدَاهَا ﴾.

٣- إنّ الاعتراض على تعبير الآية بلفظ الجمع وإرادة الواحد، يعني إنكاراً لما تسالمت وأجمعت عليه الأمة من نزول الآية بحق علي الله.

3- إنّ الناقلين للأخبار الواردة في نزول الآية في حق على الله هم من الصحابة والتابعين والمتصلين بهم، وهؤلاء من العرب الفصحاء، فلو كان هذا الاستعمال غير سائغ في اللغة لاعترضوا عليه، مع أنه لم ينقل عن أحد منهم ذلك.

0- أجاب الزمخشري عن هذا السؤال بأن هذا الاستعمال لأجل ترغيب الناس في مثل هذا الفعل من البر والإحسان والحرص عليه والمسارعة إليه وعدم تأخيره بحيث إن الصلاة أيضاً لا تحول دون فعل الخير إن لزم أمر لا يقبل التأخير.

آية الولاية لا تعني الأولى بالتصرف

الشبهم:

إِنَّ كَلَمَةُ الْمُولَى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١) لا تعني الأولى بالتصرف، فلا تدل على الإمامة؟

الجواب:

في مقام الإجابة على ذلك، ولإثبات أن معنى الولي هو الأولى التصرف لدينا مديات واسعة للاستدلال وعلى كل المستويات، سواء على المستوى اللغوي أم على مستوى الاستدلال القرآني أم الروائي.

الاستدلال على المستوى اللغوي:

عند التدبر فيما ذكره اللغويون من المعاني المتعددة لكلمة المولى، يتجلّى لنا أن هذا اللفظ ليس له إلا معنى واحد فقط، وهو الأولى بالشيء، وتختلف هذه الأولوية بحسب الاستعمال في كل مورد من موارده، كذلك كلمة الولي لها معنى واحد فقط، وهو الأولى، وهذا المعنى الواحد جامع لكل المعاني الأخرى، من الناصر والمحب و...، ولم يطلق لفظ المولى على شيء منها إلا بمناسبة لهذا المعنى، فالعبد مثلاً أولى بالانقياد لمولاه من غيره، والجار أولى بالقيام بحفظ حقوق الجوار من البعداء، وهكذا.

⁽١) المائدة: ٥٥.

وهذه النظرية اختارها ابن البطريق (ت ٥٣٣ – ٦٠٠ هـ)^(۱)، ووافقه عليها غيره.

وإذا ثبت أن معنى المولى هو الأولى بالشيء، يكون ذلك هو المراد من آية الولاية؛ لأنه المعنى الوحداني والأصل للفظ الولي، وتختلف الموارد بحسبها، فيكون مفاد آية الولاية مفاد قوله تعالى: ﴿النّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٢) الأولى بالتصرف، ويشهد لذلك ما نقله ابن منظور في لسان العرب، عن ابن الأثير قوله: «وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي» (٣)، وقريب من هذا المعنى ما ذكره بعض اللغويين في معاجمهم اللغوية.

الاستدلال على المستوى القرآني:

إِنَّ الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ تضمنت دلالات وافرة لإثبات المطلوب، ومراعاة للاختصار نكتفي بالإشارة المفهمة لبعض منها:

1- إن صيغة التعبير في الآية الشريفة جعلت الولاية بمعنى واحد، حيث قالت: ﴿إِنَّا وليكم الله و...﴾ فلو كانت ولاية الله تعالى تختلف عن ولاية ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤثُونَ الزَّكَاةَ وَهُمَمُ رَاكِعُمونَ لكان الأنسب في التعبير أن تفرد بالذكر ولاية أخرى للمؤمنين؛ لكي تحول

⁽١) عمدة عيون الأخبار، ابن البطريق: ص١١٤ - ١١٥.

⁽٢) الأحزاب: ٦.

⁽٣) لسان العرب: ابن منظور: ج١٥ ص٤٠٧؛ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ج٥ ص٢٢٧.

دون وقوع الالتباس، نظير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذُنُ حَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُسؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ اللهِ اللهُ وَلَا اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

إذن لابد أن تكون الولاية في الآية المباركة بمعنى واحد في جميع الموارد التي ذكرت فيها، وهي بالأصالة لله تعالى، وبالتبع لرسوله عَلَيْهِ الله الله الله الله وللذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

وولاية الله تعالى في الآية المباركة ولاية عامّة وشاملة لولاية التصرف، والتدبير، والنصرة وغيرها، قال تعالى حكاية عن نبيه يوسف عليه: ﴿أَنَّتُ وَاللَّهُ مِن وَلِيّ مِّن بَعْدِهِ ﴿أَنْتَ وَلِيّ مِّن وَلِيّ مِّن وَلِي مِّن بَعْدِهِ ﴿أَنْتَ الدَالة على ذلك.

٢- إن الولاية التي هي بالأصل لله عز وجل جعلها لنبيه عَلَيْ بالتبع، فلرسول الله عَلَيْ الولاية العامّة على الأمّة، من الحكم فيهم، والقضاء في جميع شؤونهم، وعلى الأمة التسليم والطاعة المطلقة بلا ضيق أو حرج، كما في قوله تعالى: ﴿أَطِعُوا اللّهَ وَأَطِعُوا الرّسُولَ》(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلا مُؤْمِنَة إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْحَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿ (٥).

خصوصاً وإننا لا نجد القرآن يعد النبي ناصراً للمؤمنين ولا في آية

⁽١) التوبة: ٦١.

⁽۲) يوسف: ١٠١.

⁽٣) الشورى: ٤٤.

⁽٤) النساء: ٥٩.

⁽٥) الأحزاب: ٣٦.

واحدة.

وهذا المعنى من الولاية الثابتة لله تعالى ورسوله، عُطفت عليه ولاية: (الذين آمنوا..)، وهذا يعني أن الولاية في الجميع واحدة؛ لوحدة السياق وهي ثابتة لله عز وجل بالأصالة، ولرسوله وللذين آمنوا بالتبع والتفضل والامتنان.

إذن الولاية الثابتة في الآية لعلي الله هي ولاية التصرف، وإن معنى الولي في الآية تعني الأولى بالتصرف، ومما يؤكد ذلك مجيء لفظ ولتكم مفرداً ونسب إلى الجميع بمعنى واحد، والوجه الذي ذكره المفسرون لذلك هو أن الولاية ذات معنى واحد، لله تعالى أصالة ولغيره بالتبع.

الاستدلال على المستوى الروائي:

هناك عدة من القرائن والشواهد الروائية لإثبات المطلوب:

أولاً: لو كانت الولاية الثابتة لعلي بن أبي طالب الملل بمعنى النصرة، لما وجد فيها مزيد عناية ومزيّة ومدح لعلي الله الموجودة بين جميع المؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولِيَاء بَعْضِهُ الله وعلي الله كان متصفاً بهذه المحبّة والنصرة للمؤمنين منذ أن رضع ثدي الإيمان مع صنوه المصطفى عَمَالًا الله الله المؤمنين منذ أن رضع ثدي الإيمان مع صنوه المصطفى عَمَالًا الله الله والنصرة المؤمنين منذ أن رضع ثدي الإيمان مع صنوه المصطفى عَمَالًا الله الله والنصرة المؤمنين منذ أن رضع ثدي الإيمان مع صنوه المصطفى عَمَالًا الله الله والنصرة المؤمنين منذ أن رضع ثدي الإيمان مع صنوه المصطفى عَمَالًا الله والنصرة المؤمنين منذ أن رضع ثدي الإيمان مع صنوه المصطفى عَمَالًا الله والله والله

ولكن لو أمعنّا النظر في الروايات الواردة عن رسول الله عَيْنَالله عقيب

⁽١) التوبة: ٧١.

نزول آية الولاية، لوجدنا أنها تثبت مزيّة ومنقبة عظيمة لعلي النِّخ، ففي الرواية أنّ الرسول عَلَيْ قال بعد نزول الآية: «الحمد لله الذي أتم لعلي نعمه، وهيأ لعلي بفضل الله إياه»(١).

وقوله على مولاه، اللهم وال الآية أيضاً: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (٢)، إذاً في الآية الكريمة مزيد عناية تفترق عن تولي المؤمنين بعضهم لبعض، وليس تلك المزية العظيمة إلا ولاية التصرف والإمرة.

ثانياً: إنّ الولاية التي خصّها رسول الله عَلَيْ الله عَلَيْ العلي النّا يوم غدير خم، هي ولاية تدبير وتصرّف؛ لأنها نفس ولاية النبي عَلَيْ أَنْ وهذا ما نلمسه من كيفية إعلان الولاية من قبله عَلَيْ أَنْها نفس ولاية النبي عَلَيْ أَنْها الولاية من أنفسكم..»، وهذه الولاية من قبله عَلَيْ ولاية تصرف - هي نفسها الولاية التي تثبتها الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ. ﴾ لعلى علي علي الله.

من هنا نجد أنّ النبي عَلَيْكُ عقب ـ بعد نزول آية الولاية في حقّ علي النَّلِا ـ بقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»،

⁽١) الدر المنثور، السيوطي: ج٣ ص١٠٦.

⁽۲) مسسند أحمسد: ج١ ص ٨٤ ص ١١٨، ص ١١٩، ص ١٥٢، ص ١٣٦، ج٤ ص ٢٨١، ص ١٣٠٠ م ٢٣٠ م ٢٣٠ م ١٣٠٠ م ١٣٠٠ م ٢٣٠ م ١٣٠٠ م ٢٣٠ م ١٣٠٠ م ٢٣٠٠ م ٢٣٠٠ م ٢٣٠٠ م ١٣٠٠ الزوائد، الهيثمي: ج٧ ص ١٠١ ج٩ ص ١٠٠ – ص ١٠٠ ص ١٣٠٤ وقال فيه: «عن سعيد بن وهب... راوه أحمد ورجاله رجال الصحيح »؛ فتح الباري: ج٧ ص ٢١٠ وقال فيه: «فقد أخرجه الترمذي والنسائي وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان »؛ صحيح ابن حبان: ج١٥ ص ٣٧٦ وما بعد، وغير ذلك من المصادر الكثيرة جداً، فراجع.

وهذا يكشف عن كون الولاية ولاية تصرّف، لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار ذلك الحشد المتنوع من الروايات الذي يؤكّد على على بن أبي طالب اليلاء ويقرن طاعته بطاعة الله ورسوله، كل ذلك يكشف عن أن ولايته الله هي ولاية التصرف، وأنه الأولى بالتصرف؛ لذا قال رسول الله يَكِيلاً في حق على اليلاء (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني»، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١).

وعنه عَلَيْكُ قال: «من يريد أن يحيا حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة»، قال الحاكم أيضاً: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢).

وعن عبد الرحمن بن عثمان قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله على الله على بن أبي طالب، وهو يقول: «هذا أمير البررة، قاتل الفجرة، منصور من نصره مخذول من خذله، ثم مد بها صوته»، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٣).

وغيرها الكثير من الروايات التي تشاركها بالمضمون ذاته.

ثالشاً: إن رسول الله عَلَيْكُ طلب من الله تعالى أن يشد عضده بأخيه

⁽۱) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٢٨ ، تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: ٤٢: ص٣٠٧

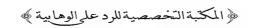
⁽٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٢٨ - ١٢٩.

⁽٣) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٢٩.

على النّهِ ، كما شدّ الله تعالى عضد موسى النّهِ بأخيه هارون النّهِ ، فنزلت الآية : ﴿إِنَّمَا وَلَيْكُمُ .. ﴾ بشرى لرسول الله عَلَيْ الله على النّه وليّاً وخليفة من بعده ، وهذا يدلل على أن الولاية لعلي النّه الله على الله على مجرد نصرة ومحبة ، بل كانت ولاية أولوية بالأمر بعد رسول الله عَلَيْ ، كما هو الحال في هارون النّه المعتبار أولويته بالأمر والإمرة بعد موسى النّه ، عندما خلفه في قومه .

وبذلك يتحصّل أن معنى الولي هو الأولى بالتصرف، وأنّ الآيـة بـصدد جعل الولاية لعلي الله بعد الرسول عَلَيْكُ.

⁽١) المناقب، ابن المغازلي الشافعي: ص٢٢٢، فرائد السمطين: ج ١ ص٣١٢، ينابيع المودة للقندوزي: ج١ ص٣١٦، شواهد التنزيل، الحسكاني: ج٢ص ٢٩٥، فرائد السمطين: ج١ ص٣١٢.



كيف تستدل الشبعة بشأن النزول؟

الشبهت:

الشيعة يستدلون بشأن نزول آية الولاية على الإمامة ؟

الجواب:

بعد أن أطبقت الأمّة وأجمع المحدثون والمفسرون على نزول الآية المباركة في الإمام على النبي المباركة في الإمام على النبي علي النبي المباركة في الإمام على النبي المباركة النبي المباركة الله الذي أتم لعلى النعمة»، لا يبقى أي مجال لمثل هذه التشكيكات والشبهات، سواء كان الاستدلال بالآية استدلالاً مباشراً، أم كان عن طريق شأن النزول، الذي هو عبارة عن الأحاديث المتواترة والصحيحة والصريحة عن رسول الله المناه التي أمرنا الله تعالى بالتمسك بها بقوله: ﴿وَمَا آنَاكُمُ الرَّسُولُ فَحُنُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (١١)، وعليه فلا ينبغي التهاون والتقليل من شأن هذه الأحاديث القطعية، كما يظهر ذلك من كلام صاحب الشبهة.

ويمكن أن نحقق استيعاباً جيداً لمسألة ولاية علي بن أبي طالب عليه وذلك من خلال الآيات القرآنية والنصوص النبوية التي تعرضت لبيان هذا المعنى، فضلاً عما أشاعته آية الولاية من مناخ سائد حيال هذه المسألة، من تقديم التهاني والتبريكات من قبل الصحابة إلى علي عليه الصحابة وإنشاد الشعر والمديح بهذه المناسبة العظيمة، وهذا يكفي لسد كل منافذ الريب والتشكيك، ومعالجة ما يطرأ على الأذهان من التباسات.

⁽١) الحشر: ٧.

الخلاصة

لا مجال لمثل هذه التشكيكات بعد أن أجمعت الأمة على نزول الآية في شأن علي الله وسواء كان الاستدلال بالآية ذاتها أم من طريق شأن النزول الثابت قطعاً كونه بخصوص علي الله فهو يثبت المطلوب، ولا معنى للإصغاء لمثل هذه الأوهام.

المعروف أن عليا فقير فكيف يتصدق؟

الشبهت:

إنَّ علياً كان فقيراً فكيف يتصدق بالخاتم إيتاءً للزكاة ؟

الجواب:

ما أكثر المدعيات التي ترفع من دون أي دليل ولا برهان يدعمها، ومن أغرب المدعيات التي تثار للتشكيك في صحة نزول آية الولاية في الإمام على الله هذا الإشكال الآنف الذكر، إلا أننا توخياً لدرء مثل هذه التشكيكات التي تطرأ على بعض الأذهان نقول:

أولاً: إن لفظ الزكاة لغة شامل لكل إنفاق لوجه الله تعالى، ونلمس هذا المعنى في عدة من الآيات المباركة، كقوله تعالى: ﴿وَأَرْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيَّا ﴾ (١)، وكذا ما قاله القرآن بحق إبراهيم وإسحاق ويعقوب المَيَّا: ﴿وَأُوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعْلَ الْحَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ ﴾ (١)، وغيرها من الآيات التي تشاركها في المضمون، ومن المعلوم أنه ليس في شرائعهم المَيَّا الزكاة المالية المصطلحة في الإسلام.

ومن هنا فقد استعمل القرآن لفظ الزكاة في الآية الشريفة بمعناها اللغوي الشامل لكل إنفاق لوجه الله تعالى أي الزكاة المستحبة « زكاة تطوع »؛ ولذا نرى أن الجصاص - في أحكام القران - فهم أن المراد بالزكاة في الآية، هي زكاة التطوع، حيث قال: «قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

⁽۱) مريم: ٣١.

⁽٢) الأنبياء: ٧٣

وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾، يدل على أن صدقة التطوع تسمى زكاة؛ لأن علياً تصدق بخاتمه تطوعاً، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجُهُ اللَّهِ فَأُولَئكَ هُمُ الْمُضْعَفُونَ ﴾»(١).

ثانياً: لو فرضنا أن المراد من الزكاة في الآية هي الزكاة الواجبة، فليس من الغريب أن يمتلك الإمام علي الله أوّل نصاب من مال الزكاة وهو مقدار «٢٠٠ درهم»، ومن ملك ذلك لا يعد غنياً، ولا يُطلق عليه اسم الغني شرعاً.

ثالثاً: بعد أن ثبت نزول الآية في الإمام على الله بإجماع الأمة واتفاق المفسرين والمحدثين، ولم ينكر أحد على الإمام على اله تصدقه بالخاتم، وإنما الكل فهم المزية والكرامة له الله لا يبقى أي مجال للإنكار والتشكيك.

ومن هنا نلاحظ أن الرسول الأكرم عَلَيْ الله المباركة للإمام على اليلا عقيب نزول الآية الكريمة، وقام الشعراء بإنشاء القصائد الطافحة بالمديح والثناء على الإمام على اليلا، كل ذلك نتيجة طبيعية للمناخ الذي أشاعته الآية في أوساط المسلمين، من إثبات الولاية للإمام على اليلا، فإذا ثبت نزول الآية في الإمام على اليلا بالدلائل والبينات القاطعة لا معنى للاستنكار والتشكيك، خصوصاً وأن رسول الله على هذه النعمة التي أتمها لعلى اليلا، وبارك الصحابة بأقوالهم وأشعارهم للإمام على المنقبة.

⁽١) أحكام القرآن، الجصاص: ج٢ ص٥٥٨.

الخلاصة

١- إن لفظ الزكاة شامل لكل إنفاق لوجه الله تعالى واستعملها القرآن بذلك.

٢- لو سلمنا أن لفظ الزكاة في الآية استعمل في الزكاة الواجبة التي
 هي أقل نصابها ٢٠٠ درهم، فإن من يملك هذا المبلغ لا يعد غنياً شرعاً.

٣- قام الإجماع على نزول آية الولاية في حق الإمام على علي الله ولم ينكر أحد آنذاك ما استنكره صاحب الشبهة، بل أنشد الشعر والمديح والثناء على الإمام على عليه الله مع مباركة الصحابة.

4

آية البلاغ تدل على أنه عَلَيُّ لم يبلغ سابقاً

الشبهت:

إنّ استدلال الشيعة بآية البلاغ على الإمامة يبطل كل الاستدلالات السسابقة الستي يستدلون بها؛ لأنّ آية البلاغ مدنية، فتدل على أنّه عَلَيْ الله عَلَيْ الل

الجواب:

أولاً: لابد أن نفهم كيفية تعاطي الرسول الأكرم الله مع المفاهيم والمبادئ الإسلامية المهمة التي تمثل الأساس في منظومة الدين الإسلامي، والتي ينبغي التأكيد عليها من قبله المساس غاية الانسجام ومنتهى جملة المفاهيم الأساسية هي الإمامة، حيث نلمس غاية الانسجام ومنتهى الملائمة بين جميع البيانات السابقة لإثبات الإمامة والتنصيص عليها، فكل تلك المواقف والبيانات كانت تتناسب مع خطورة وأهمية مبدأ كمبدأ الإمامة والولاية بعد رسول الله المناه فلابد من تأسيسه وتشييد أركانه وجعله وعياً إسلاميا عاماً، وآية البلاغ جاءت ضمن ذلك السياق وتلك الخلفية، فهي نزلت في ذلك الظرف لتحمل في طياتها العديد من الأمور المهمة التي تتعلق بحقيقة الإمامة منها:

١- أنها جاءت لتصرح بقضية مهمة جداً، وهي أن ترك تنصيب علي ابن أبي طالب على للولاية مساوق لترك تبليغ الرسالة بأكملها، وهذا ما يتجلّى واضحاً عند التأمل في الآية ﴿وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ

يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ. (١) وعلى ضوء ذلك تعرف السر في نزول هذه الآية المباركة في أواخر حياة الرسول الأكرم الله حيث تكشف عن أهمية الإمامة والولاية في المنظومة الدينية، ومن هذا المنطلق يظهر لك سبب ذلك الحشد المتنوع من النصوص القرآنية والروائية التي تؤكد على ضرورة وأهمية موقع الإمامة في الإسلام بأجمعه، ذلك لكي ينطلق الإسلام في قيادة جديدة تكون في جميع مجالاتها وآفاقها امتداداً للقيادة النبوية، لتبقى المسيرة مستمرة والرسالة محفوظة.

ومما يؤكد أهمية الإمامة والولاية هو ما نجده واضحاً في أقوال الرسول الأكرم عَلَيْ أَلَيْهُ بعد تبليغ مقام الولاية وتعيين الولي للناس، حيث قال عَلَيْكُ الشاهد الغائب» (٢)، فإن اهتمامه عَلَيْ أَلَهُ الشديد في إيصال خطابه الشريف إلى جميع المسلمين يكشف عن خطورة الأمر، وأنه مما تتوقف عليه ديمومة الإسلام.

بالإضافة إلى ما يكتنف الآية المباركة من القرائن الحالية الكثيرة والواضحة الدالة على أهمية هذا الأمر وتأثيره المباشر على مسيرة الإسلام، كنزوله على أهمية هذا الأمر والسماء صافية، والمسلمون واقفون على الحصباء والرمضاء التي كادت تتوقد من حرارة الشمس، حتى أنه نقل الرواة من حفاظ الحديث وأئمة التاريخ أنه لشدة الحر وضع بعض الناس ثوبه على رأسه، وبعضهم استظل بمركبه، وبعضهم استظل بالصخور ونحو

⁽١) المائدة: ٦٧.

⁽٢) كما جاء ذلك في أكثر المصادر الروائية والتفسيرية التي نقلت حديث الغدير، وقد ذكر ابن حجر أنها «قد بلغت التواتر»، لسان الميزان، ابن حجر العسقلاتي: ج١ ص٣.

ذلك.

وكذلك أمره عَيَالِهُ برجوع مَن تقدم وتقدم مَن تأخر.

مضافاً إلى حضور ذلك الجمّ الغفير من الصحابة والمسلمين الذين حضروا لأداء مناسك الحج من سائر أطراف البلاد الإسلامية، وغير ذلك من الأمور التي تدل على خطورة الأمر وأهميته.

7- إنّ آية البلاغ التي بلّغها الرسول الأكرم على أواخر حياته، جاءت تحمل في طياتها الإشارة إلى قضية مهمة جداً في الدين الإسلامي، وهي تحديد معالم أطروحة الإمامة في الإسلام، مؤكدة على أن الإمامة شاملة لكل الأبعاد القيادية السياسية منها والحكومية والمرجعية وغيرها، وأن منصب الخلافة والحكومة يمثل أحد أبعاد الإمامة، وهذا هو موضع النزاع مع أتباع مدرسة الخلفاء، حيث أنهم يختزلون دور الإمام في الحاكمية فقط، فإذا لم يستلم الحكومة لا يكون إماماً، على خلاف معتقد الشيعة الإمامية الاثني عشرية، التي تعتقد إن منصب الحاكمية يمثل أحد أبعاد الإمامة لا جميعها.

٣- إن آية البلاغ جاء تبليغها بصيغة الإعلان الرسمي للولاية والإمامة والتتويج العام للإمام على علي عليه أمام المسلمين، ويشهد لذلك كيفية التبليغ، حيث جمّع رسول الله عليه الناس وأمر أن يردَّ مَن تقدم منهم ومَن تأخر عنهم في ذلك المكان، وجمعت له عليه أقتاب الإبل وارتقاها آخذاً بيد أخيه علي عليه معمماً له أمام الملأ صادعاً بإبلاغ الولاية، ثم إنه عليه المها عليه بإمرة بنفسه البيعة من الناس لعلي عليه وبادر الناس لبيعته عليه وسلموا عليه بإمرة

المؤمنين، وهنأوا النبي عَلَيْكُ وعليّاً عليّاً عليّاً، وأول من تقدم بالتهنئة والبخبخة، أبو بكر ثم عمر بن الخطاب وعثمان و.....(۱)، وقد روى الطبري في كتابه الولاية بإسناده عن زيد بن أرقم إن النبي عَلَيْكُ قال: «قولوا أعطيناك على ذلك عهداً من أنفسنا، وميثاقاً بألسنتنا، وصفقة بأيدينا، نؤديه إلى أولادنا وأهلنا لا نبتغي بذلك بدلا»(١).

ثم استئذان حسان بن ثابت من الرسول عَلَيْكُ لنظم أبيات في الواقعة تـدل على أنه لم يفهم من الحديث غير معنى الخلافة والولاية.

وكذلك يؤكد كل ما قلناه احتجاج أمير المؤمنين علي الله بحديث الغدير في مواضع عديدة، حيث كان يحتج على أولئك الذين تركوا وصية رسول الله على أبقوله الله الله الله المنكم مَن نصبه رسول الله يوم غدير خُم للولاية غيري؟ قالوا: اللهم، لا»، وفي موضع آخر «قال أنشدكم بالله: هل فيكم أحد قال له رسول الله من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، ليبلغ الشاهد الغائب، غيري ؟ قالوا: اللهم، لا».

⁽۱) مسند أحمد: ج٤ ص ٢٨١؛ المعيار والموازنة، الأسكافي: ص ٢١٢؛ المعجم الكبير، الطبراني: ج٥ ص ٢٠٣٠؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج٦ ص ٢٨٢ ح ١٦٠؛ تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ص ٣٦٠؛ فظم درر السمطين: ص ١٠٩؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٣ ص ١٣٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٥ ص ٥٠٠؛ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج٧ ص ٥٠٠٠؛ شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني: ج١ ص ٢٠٠؛ ثمار القلوب: ص ٣٦٠؛ وغيرها.

⁽٢) كتاب الولأية: محمد بن جرير الطبري: ص ٢١٤- ٢١٦.

⁽٣) انظر: مسند أحمد: ج ١ ص ١٨٤ ج ٤ ص ٢٣٠؛ ج ٥؛ ص ٣٦٦، ص ٢٣٠؛ مجمع الزوائد، الهيثمي: ج ٩ ص ١٠٤، ص ٢٠٠؛ المسنف، أبي شيبة الكوفي: ج ٧ ص ٤٩٩؛ كتاب السنة: عمرو بن أبي عاصم: ص ٥٩١، ص ٥٩٦؛ كتاب السنة: ج ١ ص ٤٢٨ عاصم: ص ٥٩١، ص ٥٩١؛ حصائص أمير المؤمنين، النسائي: ص ٩٦؛ مسند أبي يعلى: ج ١ ص ٤٢ – ٢٥؛ المعجم

3- لم يكتف الله تبارك وتعالى بكل البيانات السابقة من النبي الأكرم النبي حتى أنزل في ولاية على الله تلك الآيات الكريمة تتلى على مرّ الأجيال بكرة وعشيّاً، ليكون المسلمون على ذكر من هذه القضية في كل حين، وليعرفوا رشدهم والمرجع الذي يجب عليهم أن يأخذوا عنه معالم دينهم ويتبعوه في قيادته.

٥- لو اقتصر في تبليغ الإمامة على تلك البيانات الخاصة للرسول الأكرم المنطقة والمقتصرة على حضور بعض الصحابة، لضاعت وأصبحت روايات ضعافاً، ولما وصلت إلينا بشكل واضح ومتواتر كما جاءتنا آيات وروايات البلاغ وذلك بسبب منع تدوين حديث رسول الله الله الله عليه في عهد الخلفاء ولتولي بني أمية وأعداء أهل البيت المنا تدوين الحديث فيما بعد.

الخلاصة

أولاً: إنّ تعاطي القرآن الكريم والرسول الأكرم على مع المفاهيم الأساسية في الإسلام - كالإمامة - يختلف عن غيرها من المفاهيم الأخرى، ولذا نجد أن النبي عَلَيْ أكد عليها مراراً وشيد أركانها، مستثمراً كل مناسبة يمكن استثمارها في ذلك، ومن هنا نلتمس أسباب كثرة البيانات والتصريحات المتكررة من الرسول الأكرم عَلَيْ أنه وذلك لكي يكون الاهتمام والتبليغ متناسباً مع أهمية ذلك الأمر، ولذا نرى الانسجام

والملائمة بين التبليغات النبوية والآيات القرآنية الواردة في هذا الصدد وبالخصوص آية البلاغ التي جاءت ضمن الاهتمامات القرآنية بمسألة الإمامة، وقد حملت آية البلاغ العديد من المعطيات المهمة في مسألة الإمامة منها:

1- إن الآية المباركة جاءت لتبين أن ترك تنصيب الإمام على الله للولاية مساوق لترك تبليغ الرسالة بأجمعها، كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ ومما يؤكد أهمية هذا التبليغ للإمامة ملاحظة الظروف التي رافقت عملية التبليغ من شدة الحر وأمر الرسول عَلَيْكُ برجوع المتقدم ولحوق المتأخر والجمع الغفير الذي حضرها، كل ذلك يدل على أهمية الأمر وخطورته.

7- إنّ تبليغ الرسول عَلَيْ للآية في أواخر حياته جاء مؤكّداً على بيان أطروحة الإمامة في الإسلام وأنها شاملة لكل الأبعاد القيادية السياسية والدينية والحقوقية والقضائية، وأن منصب الخلافة والحكومة يمثل أحد أبعاد الإمامة، وهذا هو محل النزاع بين السنة والشيعة، حيث أن السنة يختزلون دور الإمام في الحاكمية فقط.

٣- إنّ آية البلاغ جاءت بصيغة الإعلان الرسمي لولاية الإمام على الله كما هو واضح من خلال عملية التنصيب وطريقته ومباركة الصحابة له بالولاية وإنشاء الشعر ونحوها، وكذلك احتجاجه عليه بحديث الغدير في مناسبات عديدة على أحقيته الله في الخلافة.

ثانياً: إنَّ الله تعالى لم يقتصر على أمر الرسول عَلَيْ الله بالتبليغ لولاية الإمام

على الناب الله عدة من الآيات جاءت مؤكّدة لتلك الولاية لتتلى بكرة وعشياً على مرّ الأجيال وتكون شاهدة وحجة عليهم.

ثالثاً: لو اقتصر في تبليغ الولاية على البيانات الخاصة المقتصرة على حضور بعض الصحابة، سوف يُعرّضها ذلك للضياع، لا سيما مع ملاحظة منع تدوين السنة، أو تكون من الأخبار الضعاف، ولذا كان تبليغها في واقعة الغدير كفيلاً بأن يجعلها تصل إلى حدّ التواتر وإجماع المسلمين، الذي لا يمكن تجاوزه.

لا وجود لاسم علي في القرآن

الشبهت:

إن القرآن الكريم لم ينص على إمامة على اللِّكِ اللَّهُ وإلاَّ لذكر اسمه فيه.

تمهيد:

لكي تكون الإجابة واضحة لابد من الالتفات إلى نقطتين أساسيتين، هما:

الأولى: القرآن تبيان لكل شيء

لا ريب أن القرآن هو الكتاب المنزل لهداية الناس فيه تبيان كل شيء، والسنة النبوية مُفصّلة ومبينة له، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ اللّهُ مُ لِتَهَكّرُونَ ﴾ (١)، فأحدهما مكمل للآخر، والإسلام كله، من عقائل وأحكام وسائر علومه وأصوله موجود في القرآن الكريم، كله، من عقائل وأحكام وسائر علومه وأصوله موجود في القرآن الكريم، أما شرحه وتفسيره وتجسيده، فنجده في سنة النبي عَيَيْ من خلال حديثه وسيرته المباركة، ولذا نجد أن الله تعالى قرن طاعته بطاعة رسوله عَيَيْ كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرّسُولَ وَأُولِكِي الأَمْسِو مَنكُمْ ﴾ (١)، وقوله عز وجل ﴿ إِنَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلُواْ عَنْسهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (٢)، وكذلك قرن معصية الرسول عَيَيْنِ بمعصيته تعالى، حيث وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (٢)، وكذلك قرن معصية الرسول عَيَيْنِ بمعصيته تعالى، حيث

⁽١) النحل: ٤٤.

⁽٢) النساء: ٥٩.

⁽٣) الأنفال: ٢٠.

قال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (١) ، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) ، وقالَ تعالى أيضاً: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَصَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) ، وغيرها من الآيات الكريمة.

الثانية: يجب اتباع ما أمر به الله ورسوله عَلَيْكُ

إِنَّ الله تعالى لم يجعل الخيرة للمؤمنين فيما يقضي الله ورسوله به، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنة إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ (٤) وبين الله تعالى النجيرة مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلّ ضَلالاً مُبِينًا ﴾ (٤) وبين الله تعالى أن الرسول عَيْنَا الله جعله إماماً يقتدى أن الرسول عَيْنَا أَن الله جعله إماماً يقتدى به، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (٥) وقال به، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (٥) وقال أيضاً: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴿ (٢) وهذه مفردة مهمة جداً يجب الالتفات إليها جيداً.

وهناك روايات كثيرة متضافرة تؤكد وتحث على الأخذ بسنة الرسول على الأخذ بسنة الرسول عن سنته على الإعراض عن سنته على الاكتفاء بالقرآن وحده، وكان ذلك رائجاً ومعرفاً في أقال الصحابة وتعاملهم، من ذلك ما ورد في صحيح البخاري عن علقمة، عن عبد الله قال: «لعن الله الواشمات

⁽١) الجن: ٢٣.

⁽٢) الشعراء: ٢١٦.

⁽٣) النساء: ٥٥.

⁽٤) الأحزاب: ٣٦.

⁽٥) الحشر: ٧.

⁽٦) النجم: ٣-٤.

الموتشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله على ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَا آنَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا قَالَ: فَإنه قد نهى عنه» (١)، وكذا وردت هذه الرواية بنصها في صحيح مسلم (٣).

ومن الروايات التي وردت عن رسول الله عَيَالَيْهُ في هذا المجال، ما جاء في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه، ومسند أحمد عن أبي عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه أن رسول الله عَيَالَيْهُ قال: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه» (عنه وفي مسند أحمد بلفظ «ما أجد هذا في كتاب الله) (٥).

ومنها ما ورد في مسند أحمد أيضاً، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ أحداً منكم أتاه عني حديث وهو متكئ في أريكته،

⁽١) الحشر: ٧.

⁽٢) صحيح البخاري: ج٣ ص ٢٨٤ ح ٤٨٨٦.

⁽٣) صحيح مسلم: ج٣ ص١٦٧٨ ح٢١٢٥ باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة.

⁽٤) انظر: سنن أبي داود السجستاني، باب لزوم السنة: ج٤ ص٢٠٥ ح٢٠٥؛ سنن الترمذي: ج٤ ص١٠٥ ح٢٠٥ باب تعظيم ص١٤٤ ح ١٠٨٠ كتاب العلم؛ باب ما نهى عنه؛ سنن ابن ماجه، المقدمة: ج١ ص٦ - ٧، باب تعظيم حديث رسول الله على أله المقليظ على من عارضه.

⁽٥) مسند أحمد: ج٦ ص٨.

فيقول: أتلُوا علي به قرآناً (۱) وقال حسان بن ثابت، كما في مقدمة الدارمي: كنا جبريل ينزل عليه النبي النبي السنة كما ينزل عليه بالقرآن (۲) إلى غير ذلك من الروايات والأقوال، وإنّما هذه نبذة عمّا ورد في الحث على الأخذ بسنة الرسول الله والنهي عن مخالفته والتشديد على من يهمل السنة بحجة الاكتفاء بكتاب الله.

وعلى هذا الأساس يتضح أن جميع أحكام الإسلام موجودة في القرآن الكريم، إلا أنه لا يمكن معرفة تفاصيلها والوقوف على حقائقها من دون الرجوع إلى سنة الرسول الأكرم على أن فإننا في إقامة الصلاة - مثلاً - لا نعرف كيف نصلي من دون أن نأخذ من حديث الرسول على كفيتها وشروطها وعدد ركعاتها وسجداتها وأذكارها ومبطلاتها، وكذلك في الحج، حيث لا يمكن أداء مناسكه من دون الرجوع إلى سنته على السيضاح شروطه وواجباته ومواقيته وأشواط الطواف وصلاته، وتفاصيل السعي والتقصير وسائر مناسك الحج الأخرى.

إذن لابك من الرجوع إلى القرآن والسنة النبوية معاً لأخذ تعاليم الإسلام منهما، أما من أراد الاكتفاء بالقرآن وحده دون السنة، فأدنى ما نقول بحقه: إنه جاهل بما ورد في القرآن نفسه، الذي يدعو لإطاعة الرسول عَنَاهُ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَحُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (٣)، وقد قال الرسول عَنَاهُ في هذا المجال: «فحذار أيها المسلم أن تحاول فهم القرآن مستقلاً

⁽١) مسند أحمد: ج٢ ص٢٦٧؛ سنن ابن ماجه، المقدمة: ج١ ص٩ – ١٠ ح٢١، باب تعظيم حديث رسول الله تَلَاقُ والتغليظ على من عارضه.

⁽٢) سنن الدارمي، المقدمة: ج ١ ص ١٤٥، باب السنة قاضية على كتاب الله:.

⁽٣) الحشر: ٧.

عن السنة، فإنك لن تستطيع ذلك ولو كنت في اللغة سيبويه زمانك $^{(1)}$ ، فمقولة حسبنا كتاب الله مقولة مخالفة لصريح القرآن الكريم.

الجواب:

بعد تلك الإطلالة السريعة نقول لصاحب الشبهة بأن عدم ذكر اسم علي الله على القرآن يرجع إلى الأسباب التالية:

أولا: عدم ذكر الاسم لحكمت إلهيت

إن عدم ذكر اسم علي في القرآن لعله لحكمة إلهية خفيت علينا، إذ ما قيمة عقولنا كي تحيط بكل جوانب الحكم والمصالح الإلهية، فكم من الأمور التي قد خفيت أو أخفيت علينا مصالحها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ

ثانيا: الرسول الأكرم نص على إمامة على عليَّا إ

إن رسول الله على أله على إمامة على أمير المؤمنين المنه باسمه الصريح كما في حديث الغدير المتواتر، وحديث الدار، وحديث المنزلة، وغيرها في مواطن كثيرة جداً، فإذا ثبت هذا بشكل قاطع عنه على المنزلة، وغيرها في مواطن كثيرة عداً، فإذا ثبت هذا بشكل قاطع عنه على المنزلة، وأن الناطق الذي لا ينطق عن الهوى، وقد أقام الحجة علينا بأن الإمام بعده على المنه تثبت إمامته بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن اسم على الإمام بعده على المنه المنه بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن اسم على المناه على المناه المنه بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن اسم على المنه بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن اسم على المنه بلا ريب، وإذا الم يذكر القرآن اسم على المنه بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن اسم على المنه بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن المنه على المنه بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن المنه على المنه بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن المنه على المنه بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن المنه بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن المنه بلا ريب، وإذا لم يذكر القرآن المنه بلا ريب، وإذا لم ينه كل المنه بلا ريب، وإذا لم ينه كل المنه بلا ريب المنه المنه بلا ريب المنه المنه بل

⁽١) صفة صلاة النبي، الألباني: ص ١٧١.

⁽٢) المائدة: ١٠١.

فإن ذلك لا يضر ولا يؤثر في قيمة الحجة التي أقامها الرسول عَلَيْهُ على الإمامة؛ لأن تبليغه وبيانه وقوله عَلَيْهُ هو قول الله تعالى.

وممّا يؤكد هذا الوجه ما أجاب به الإمام الصادق الله بسند معتبر صحيح عندنا، حينما سأله أبو بصير عن السبب في عدم ذكر اسم على الله صريحاً، عن أبي بصير حيث قال: «سألت أبا عبد الله الله عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِعُواْ اللَّهَ وَأَطِعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ.. ﴾، فقال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين المتلاه، فقلت له: إن الناس يقولون: فما له لم يسم علياً وأهل بيته المتلاه في كتاب الله عزّوجل ؟ قال: فقال: فقولوا لهم: إن رسول الله عَنَالُهُ نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله عَنَالُهُ هو الذي فسر ذلك لهم..» (١).

ثالثًا: ذكر الوصف أبلغ في التأثير من ذكر الاسم

من الواضح أن ذكر الوصف أوقع تأثيراً في تحديد المصداق من ذكر الاسم، لذا ذكر علماء اللغة أن اسم العَلَم ليس أعرف المعارف، بل الكثير منهم جعل اسم العَلَم أدنى درجة من أسماء المعرفة، والسر في ذلك، كما ينص عليه أهل اللغة والبلاغة، أن اسم العَلَم قد يتوخى منه معنى الصفة، فإذا جاء اسم علي الله في القرآن فقد يحصل إيهام بأن المراد منه الصفة أي العالي، وعلى هذا الأساس بين القرآن الكريم المصداق بشكل مريح، وأن الولي هو المتصف بكونه يؤدي الزكاة وهو راكع ﴿إِنَّمَا وَلَيُكُمُ صريح، وأن الولي هو المتصف بكونه يؤدي الزكاة وهو راكع ﴿إِنَّمَا وَلَيُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاة وَهُمْ رَاكِعُونَ الْمَا وَلَيْكُمُ

⁽١) أصول الكافي، الكليني: ج١ ص٢٨٦ -٢٨٧.

⁽٢) المائدة: ٥٥

الذي تواترت الروايات من طرق الشيعة والسنة على أن المراد به هـ و علي بن أبي طالب المياليات.

رابعا: ذكر على في القرآن يدعو البعض لانتحال اسمه

لو فرضنا أن القرآن ذكر الاسم صريحاً فلا يعني حسم الخلاف في ذلك، بل قد يكون أدعى للخلاف؛ لأنه يكون وسيلة وداعية لاستعارة الأسماء والألقاب لذوي النفوس المريضة، لكي يجعل الاسم منطبقاً عليه، كما نلمس ذلك واضحاً من انتحال لقب أمير المؤمنين الخاص بعلي عليه والذي هنّاه به عمر بن الخطاب، كما جاء ذلك في حديث الغدير الذي جاء متضافراً في كتب أهل السنة (۲)، حتى وصل الأمر بمعاوية ويزيد أن يلقبوا أنفسهم بهذا اللقب حتى صار تقليداً معمولاً به فسمي كل من يتولى الحكم ولو ظلماً وعدواناً بـ(أمير المؤمنين).

خامسا: لو ذكر اسم عليَ لحذفه المنافقون

لو فرضنا أن القرآن ذكر اسم علي علي علي الله صريحاً لبادر المنافقون لرفعه وحذفه من الكتاب الكريم فيقع التصرف والتحريف في القرآن الكريم، وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يحفظ القرآن الكريم، حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ

⁽۱) جامع البيان، الطبري: ح7 ص ٣٨٩ - ٣٩٠ من طريسق ابن عباس وعتبة بن حكيم ومجاهد، الكشاف، الزمخشري: ج١ ص ٦٤٩.

⁽٢) انظر: مسند أحمد: ج٤ ص ٢٨١؛ المعجم الكبير: ج٥ ص ٢٠٣ – ٢٠٤؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج٦ ص ٢٨٢؛ ثمار القلوب: ص ٦٣٧ ح ١٠٦٨؛ المعيار والموازنة: ص ٢١٢؛ وما بعدها؛ المصنف لأبي شيبة الكوفي: ج٧ ص ٥٠٣٠؛ نظم درر السمطين: ص ١٠٩؛ كنز العمال، المتقى الهندي: ج٣ ص ٢٠٠؛ وغيرها.

سادسا: ذكر الاسم لا يعني حسم النزاع

إِنَّ ذكر الاسم صريحاً في القرآن لا يعني حسم الخلاف في ذلك من جهة أخرى؛ لأننا نجد أن كثيراً من الأمور التي ذكرت في القرآن بصراحة تامة وقع الخلاف فيها بعد ذلك، كما في المتعة التي ورد ذكرها في القرآن بكل صراحة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعُتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَٱتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تُرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَة إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا وَحَكِيمًا ﴿ أَنُ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا وقع فيها فيما بعد، حيث حَكِيمًا ﴿ أَنُ ومع ذلك نجد أن الخلاف والنزاع وقع فيها فيما بعد، حيث ادّعى نسخها بقول عمر بن الخطاب.

سابعا: ذكر الاسم في القرآن داعية لاتهام الشيعة

لو افترضنا أن اسم علي الله ذكر في القرآن، فليس من البعيد أن يُقال أن ذلك من وضع الرافضة، كما نجد هذا الافتراء واضحاً في الروايات الصريحة الواردة في فضائل أهل البيت الله ولا غرابة في ذلك على الذين ختم الله على قلوبهم، فإن الرسول الأكرم المنافق صرح باسمه الله على مرأى ومسمع (١٢٠) ألف صحابي، بشكل لا يشوبه ريب، ومع ذلك بادر المنافقون إلى إنكاره ورفضه، وزعم بعضهم أن ذلك من الموضوعات.

⁽١) الحجر: ٩.

⁽٢) النساء: ٢٤.

ثامنا: لا ينبغي التشكيك في إمامة على عليه إ

على ضوء ما سلف نود أن نلفت نظر المستشكل في إمامة على الله بعدم ذكر اسمه في القرآن، إلى أنه بعد قيام الحجج والبراهين والأدلة القاطعة على الإمامة لا ينبغي التشكيك والترديد وإثارة الشبهات في ذلك استناداً إلى شبهات واهية كهذه، وأن لا نكون كقوم بني إسرائيل، الذين أخذوا يطلبون من نبي الله موسى الله المزيد من الحجج بعد أن أظهر لهم الأدلة والبراهين على وجود الله تعالى، حتى أنهم طلبوا من موسى أن يريهم الله تعالى جهرة، حيث قالوا: ﴿ لَن تُؤمِنَ لَكَ حَتّى نَرَى اللّه جَهْرَةً ﴾ (١).

الخلاصة

في المقدمة ينبغي الالتفات إلى نقطتين أساسيتين:

الأولى: إنّ القرآن الكريم تبيان لكل شيء، لكن ليس باستطاعة أحد معرفة واستخراج هذه المعارف منه، لذا كانت السنّة النبوية مبينة ومفصلة له، ومن هنا قرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله عَيَّا الله كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴿ ")، وقوله عز وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلّواْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (")، إلى غير ذلك من الآيات.

الثانية: إنَّ الله تعالى أمرنا بالأخذ بما بينه رسول الله عَلَيْنِ ولا يجوز

⁽١) البقرة: ٥٥.

⁽٢) النساء: ٥٩.

⁽٣) الأنفال: ٢٠.

الاعتراض على حكم الله أو أي قضاء قضاه الله ورسوله عَلَيْظُهُ.

وبعد هذا نقول: إن السبب في عدم ذكر اسم على الله في القرآن يرجع إلى ما يلي:-

أولاً: إنّ الرسول الأكرم عَلَيْ قد نص على إمامة على على باسمه الصريح، ولا فرق في الحجية بين القرآن وقول رسول الله عَلَيْ في مواطن متعددة كما في حديث الغدير وحديث الدار والمنزلة ونحوها، سيما أن القرآن الكريم لم ترد فيه كثير من الأحكام الأساسية في الإسلام كتفاصيل الصلاة والصيام ونجوها.

ثانياً: نقول: إن عدم ذكر اسم علي الله صريحاً في القرآن يعود لحكمة إلهية اقتضت ذلك، وما أكثر الأشياء التي يفعلها الله تعالى ويأمر بها من دون إطلاعنا على حكمته في ذلك.

رابعاً: لو فرض ذكر اسم علي علي في القرآن، لبادر المنافقون لرفعه والتجاوز على القرآن الكريم، فمن منطلق الحكمة الإلهية في الحفاظ على سلامة القرآن من التحريف لم يذكر اسمه علي فيه.

⁽١) المائدة: ٥٥.

خامساً: لو افترضنا أن اسم على الله ذكر في القرآن الكريم، فإن ذلك لا يعني حسم الخلاف، كما هو الحال في آية المتعة الصريحة في مشروعيتها، والتي جُسدت وطُبقت تطبيقاً عملياً من قبل الصحابة، إلا أن عمر جاء وألغى هذا الحكم القرآني وهدد كل مَن يمارسه.

سادساً: لو فرض وجود اسم علي عليه في القرآن لقال البعض إنه من وضع الرافضة.

سابعاً: بعد أن قامت الحجج والبراهين على ولاية على التي التي المتكل لا يشوبه ريب، فلا معنى لمثل هذه المبررات الواهية التي لا أساس لها.

ثامناً: إن وجود اسم علي النافي القرآن سيكون داعياً لاستعارته وجعله منطبقاً على بعض القيادات الحكومية، كما هو الحال في كثير من الألقاب التي خصها رسول الله علي النافي النا

آية التطهير لاتختص بأئمة الشيعة

الشبهت:

إن أهل البيت في آية التطهير تعني كل من يلتقي بالنبي في هاشم.

الجواب:

لقد شدّد القرآن الكريم والسنة النبوية، على تعيين المراد من مفهوم أهل البيت الميل المراد من الروايات الميل البيت الميل في موارد متعددة، وحسبك ما ورد من الروايات الصحيحة التي تصرح بأسمائهم على طريقة الحصر واحداً بعد الآخر، وهم الرسول الأكرم عَلَيْنَ وعلي وفاطمة والحسن والحسين الميكل.

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا بأن النبي عَلَيْكُ كان شديد الحرص على تشخيص وحصر أهل البيت الله درءاً للتشكيكات التي قد تشار من ذوي النفوس المريضة.

وبالتأمل في تفاصيل الواقعة نلمس اكتنازها الكثير من الدلائل الواضحة، التي تثبت حصر أهل البيت في الآية المباركة بالخمسة أصحاب الكساء، وإليك بعض تلك الشواهد والقرائن الصريحة:

تشخيص النبي عَلَيْ لأهل البيت بأسمائهم، كما في رواية عبد الله بن جعفر، حيث قال: «لما نظر رسول الله عَلَيْ إلى الرحمة هابطة قال: ادعوا لي، ادعوا لي، فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال عَلَيْ أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين، فجيء بهم فألقى عليهم النبي كساءه، ثم رفع

يديه، ثم قال: اللّهم هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد، وأنزل الله عز وجل اللهم هؤلاء آلي فصل عنكُمُ السرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ السرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ السِرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ السِرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ السِرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ السِرِّجْسَ أَهْلِيرًا ﴾».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد صحت الرواية على شرط الشيخين، أنه علمهم الصلاة على أهل بيته كما علمهم الصلاة على آله (۱).

ولا يخفى ما في كلمة: «اللهم هؤلاء آلي» من الدلالة على حصر أهل البيت في على وفاطمة والحسن والحسين الميلي ونفي ذلك العنوان عن غيرهم، كما لا يخفى على كل من عرف أساليب العرب في الكلام.

٢- من أجل التأكيد على الحصر وتحديد أهل البيت الملك بأفراد معينين نلاحظ أن الرسول الملك الله يحصرهم تحت كساء واحد في مواقف متعددة وروايات متضافرة:

منها: ما جاء في رواية أبي سلمة، حيث قال: فدعا حسناً وحسيناً، وفاطمة، فأجلسهم بين يديه، ودعا علياً فأجلسه خلفه فتجلل هو وهم بالكساء، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»(٢).

ومنها: ما رواه ابن كثير في تفسيره قال: «حدثنا شداد بن عمار قال:

⁽١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٤٨.

⁽٢) جامع البيان، الطبري: ج٢٢ ص١٢؛ المعجم الكبير، الطبراني: ج٩ ص٢٦؛ شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج٢ ص١٦٩؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج١٣ ص٢٠٣.

دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم، فذكروا علياً رضي الله عنه فشتموه، فشتمته معهم، فلما قاموا، قال لي: شتمت هذا الرجل ؟ قلت: شتموه فشتمته معهم، قال: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله على الله عنه، بلى، قال: أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها عن علي رضي الله عنه، فقالت: توجّه إلى رسول الله على أنتظره، حتى جاء رسول الله على فقالت: توجّه إلى رسول الله على أنتظره، حتى جاء رسول الله على ومعه على وحسن وحسين رضي الله عنهم، آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل، فأدنى علياً وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه، شم وأجلس حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه، شم عليهم ثوبه أو قال كساءه، ثم تلا على هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُسَاهُ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيسَاءُ وأَهَلَ بيتي وأهلَ بيتي وأهلَ بيتي وأهلَ بيتي أحق» (١٠).

ومنها: ما أخرجه أحمد وغيره عن أمّ سلمة، قالت: «فأخذ عَلَيْ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت – أم سلمة -: فأدخلت رأسي البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال عَلَيْ الله إلى خير، إنك إلى خير» (٢).

ومنها: ما عن أمّ سلمة أيضاً، قالت: «فلما رآهم مقبلين مدّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يده إلى كساء كان على المنامه، فمده وبسطه،

⁽١) تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٢؛ شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج٢ ص٦٧.

⁽٢) مسند أحمد: ج٦ ص٢٩٢، تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٢.

وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»(١).

ومنها: ما جاء كذلك عن أمّ سلمة، قالت: فاجتمعوا حول النبي عَلَيْ على بساط فجللهم نبي الله عَلَيْ الله عَله على الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط، قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا ؟ قالت: فو الله ما أنعم، وقال: إنك إلى خير (٢).

ومنها: ما ورد في رواية أخرى عن أم سلمة أيضاً قالت: «بينما رسول الله عَلَيْ في بيتي يوماً إذ قالت الخادم: إن فاطمة وعلياً بالسدّة، قالت: فقال لي رسول الله عَلَيْ في في بيتي عن أهل بيتي)» (٣).

ومنها: ما عن أمّ سلمة أيضاً، قالت: «إن هذه الآية نزلت في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت يا رسول الله: ألست من أهل البيت؟ فقال عَلَيْنَا الله عنير، أنت من أزواج النبي (٤).

ومنها: ما ورد عن عائشة، قالت: «لقد رأيت رسول الله على الله عنهم، فألقى عليهم ثوباً فقال: (أللهم

⁽١) تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٢ - ٤٩٣، مسند أحمد: ج٦ ص٢٩٨.

⁽٢) جامع البيان، الطبري: ج٢٢ ص١٢ - ١٣، تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٣.

⁽٣) تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٣.

⁽٤) جامع البيان: ج٢٢ ص ١١، تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٣.

هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)، قالت: فدنوت منهم، فقلت يا رسول الله: وأنا من أهل بيتك ؟ فقال على الله: على خير»(١).

ومنها: ما عن سعد، قال: قال رسول الله عَلَيْ الله عنه الوحي، فأخذ علياً وابنيه وفاطمة رضي الله عنهم، فأدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: «ربي هؤلاء أهلي وأهل بيتي» (١).

وهذا الأسلوب العملي من أبلغ أساليب الحصر، لسد كل منافذ الالتباس، حيث تخطى الرسول عَمَالَ الله دلالات الكلام بحصرهم تحت كساء واحد، ليكون أبلغ في الحصر وأقوى في الدلالة.

٣- لقد صرّح الرسول الأكرم عَلَيْكُ في نفس الآية التي هي محل البحث تصريحاً لا يبقى فيه مجال للشك والريب، حيث قال عَلَيْكُ (انزلت الآية في خمسة، في، وفي على وفاطمة وحسن وحسين» (٣).

ومن هنا نجد أن كل المذاهب الإسلامية أجمعت على كيفية واقعة الكساء، وأنه عَلَيْ لما نزل عليه الوحي «بآية التطهير» ضمّ الحسنين وأباهما وأمهما إليه، ثم غشّاهم ونفسه بذلك الكساء تمييزاً لهم عن سائر الأبناء والأنفس والنساء، ومن ثم بلّغ الأمة بالآية المباركة وهو على تلك الحال،

⁽١) تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٤.

⁽٢) تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٤.

⁽٣) الدر المنثور، السيوطي: ج٦ ص٢٠٤؛ خصائص الوحي المبين، الحافظ ابن البطريق: ص١٠٦؛ شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج٢ ص٤٠، ص٤٥، ص١٣٧؛ مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩ ص٢٠؛ ص٢٨؛ ترجمة الإمام الحسن، ابن عساكر: ص٦٩.

لكي يقطع الطريق عن كل من يطمع بمشاركتهم، سواء كان من أزواجه أم من الصحابة أم غيرهم، فقال عَنْ النَّهُ وهم في معزل عن الناس كافة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْيَنْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، فأزاح النبي عَنكُمُ الرِّجْسَ أهل المينت ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، فأزاح النبي عَنكَاهُ كل ما يطرأ على الأذهان من ريب وشك.

٤ وإمعاناً في التأكيد ولسد كل منافذ التشكيك والريب، أخذ رسول الله على يتلو هذه الآية الكريمة كل يوم على باب بيت فاطمة الزهراء الذي فيه علي والحسنان وأمهما المهليل، بمرأى ومسمع من المسلمين، وهناك عدد وافر من الروايات التي تثبت ذلك:

منها: ما ورد عن أبي الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله على الله عنه الله عنهما، فقال على الله إذا طلع الفجر جاء إلى باب على وفاطمة رضي الله عنهما، فقال على الله الله الله الله الله الله عنهما، فقال على الله الله عنهما، فقال على الله عنهما، وفي بعض الروايات تسعة عنكم الرّبيت ويُطهّر كُمْ تَطْهِيرًا ﴿ الله على الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافي الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافي الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافي الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافية الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافية الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافق الله على الله على الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافق الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافق الله على الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافق الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافق الله على الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافق الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافق الله على الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافق الله على وفاطمة والحسن والحسين المنافق الله على وفاطمة والحسن والمنافق الله على وفاطمة والحسن والمنافق المنافق الم

ومنها: عن ابن عباس قال: «شهدنا رسول الله عَلَيْلَ تسعة أشهر، يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول: (السلام عليكم

⁽۱) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤ ص ٢٩٠؛ تفسير ابن كثير: ج٣ ص ٤٩٦؛ التاريخ، البخاري: ج٩ ص ٢٥٠ - ٢٦؛ أسد الغابة، ابن الأثير: ج٥ ص ٢٠، أسد الغابة، ابن الأثير: ج٥ ص ٢٠؛ جامع البيان، الطبري: ج٢٢ ص ١٠؛ الدر المنثور: ج٦ ص ٢٠٦؛ فتح القدير، الشوكاني: ج٤ ص ٢٠٠؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج٢ ص ٧٤-٧٠.

⁽٢) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج٢ ص٧٤، نظم درر السمطين: ص٢٣٩.

ورحمة الله وبركاته أهل البيت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾) كل يوم خمس مرات»(١).

ومنها: ما ورد عن أبي بُرزة، قال: «صلّيت مع رسول الله عَلَيْ سبعة عشر شهراً، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة عليه فقال: (السلام عليكم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾) كل يوم خمس مرات»(٢).

ومنها: ما رواه ابن كثير في تفسيره عن أنس بن مالك، قال: «إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول: (الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾)، ثم قال ابن كثير: ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان»(٣).

٥- كذلك من القرائن التي تشهد على حصر أهل البيت بالنبي وعلي وفاطمة والحسنين المتلان ، دون غيرهم، وجود الحشد الكبير من الروايات الدالة على أن الرسول مَن الله حصرهم بالخمسة المتلان في مواقف أخرى غير حادثة الكساء:

⁽١) الدر المنثور السيوطي: ج٦ ص٦٠٦.

⁽٢) انظر مسند أحمد: ج٣ ص ٢٥٩؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج٢: ص ١٣٩؛ انظر مجمع الزوائد: ج٩ ص ١٦٩؛ انظر مجمع الزوائد: ج٩ ص ١٥٨، وقال: هذا حديث الصحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه؛ أسد الغابة، ابن كثير: ج٥ ص ٥٢١؛ مسند الطيالسي: ص ٢٧٤؛ وغيرها من المصادر.

⁽٣) تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٦؛ وكذا نقله مسند أحمد: ج٣ ص٢٥٩ ص٢٨٥.

منها ما ورد عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت الآية: ﴿قَلَ تَعَالُوا نَدُعُوا ... ﴾ دعا رسول الله عَلَيْ علياً وفاطمة والحسن والحسين فقال: «اللهم هؤلاء أهلى».

ولذا نجد الواحدي يقول بالحرف الواحد إنّ الآية «آية التطهير» نزلت في خمسة: «النبي وعلى وفاطمة والحسن والحسين» (١).

٣- مما يدل أيضاً على عدم شمول آية التطهير لكل بني هاشم، أن الآية جاءت بصدد إثبات العصمة للخمسة أصحاب الكساء المساسياتي، ونحن لم نجد أحداً من بني هاشم ادّعى العصمة لنفسه غير العترة الطاهرة، ولم تثبت العصمة بالأدلة والبراهين القاطعة إلاّ لهم المسلكاني غيرهم.

٧- كذلك من الشواهد الدالة على الحصر ما ورد من الروايات الدالة على أن التمسك بأهل البيت الملك يكون عاصماً عن الضلال، كما هو مفاد حديث الثقلين: «إنّي تارك...» الذي ورد فيه لفظ أهل البيت، فكيف يكون كل بني هاشم من أهل البيت الذين أمرنا الله بالاقتداء بهم والتمسك بهم؟ مع أن في بني هاشم من هو الجاهل والفاسق ومن لا يصلح أن يُتمسك به وبهديه، بل منهم من نزلت في ذمه وهلاكه سورة قرآنية، كأبي لهب: وبهديه، بل منهم من نزلت في ذمه وهلاكه سورة قرآنية، كأبي لهب: وأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَة الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدِ (١).

وعلى هذا الأساس يتضح أن العناية والاهتمام والتأكيد الذي أولاه

⁽١) أسباب النزول، الواحدى: ص٢٣٩.

⁽Y) Ilame: 1-0.

الرسول على البيان الله البيت المناهم، وحصرهم بهذه الأساليب المختلفة من البيان، مقرونة بأساليب متنوعة من العمل والتصدي المباشر بالفعل، فيسميهم حيناً بأسمائهم، ويميزهم حيناً آخر، فيقول «هؤلاء أهل بيتي» أو «اللهم هؤلاء آلي»، ويلفهم حيناً ثالثاً بكساء واحد يجللهم فيه جميعاً، لدرجة أن أم المؤمنين زوجته على أم سلمة تمنت، بل طلبت منه أن تكون معهم، إلا أنه على أردها بلطف ورأفة، قائلاً لها: إنك على خير، وكذا إعلانه بأسمائهم أمام الناس وأمام الملأ واحداً واحداً، والمواظبة على تكرار هذا الإعلان لستة أشهر أو سبعة أو ثمانية أو تسعة على اختلاف الروايات مام بيت الزهراء علي في كل يوم خمس مرات في أوقات الصلاة وفي غيرها.

مع أن رسول الله سَلَوْ لله يفعل ذلك إلا لحكمة وقصد، كل ذلك يكشف عن أمر جليل وكبير له آثاره وأبعاده في تاريخ المسلمين وحياتهم ودينهم فيما بعد.

٨-الملاحظة الجديرة بالذكر أيضاً أن الدليل الذي اعتمده القائل بدخول كل بني هاشم في أهل البيت الملك كان معتمده رأياً لزيد بن أرقم، ولم يكن ابن أرقم في صدد نقل رواية عن رسول عَلَيْ وإنما هو بصدد ذكر رأيه وتحليله الخاص، حيث أخرج أحمد في مسنده عن زيد ابن أرقم، قال: هام رسول الله عَلَيْ يوماً خطيباً فينا بماء يُدعى خما، بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا يا أيها الناس، إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيب،

وإنى تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، قال: وأهل بيتى أذكركم الله في أهل بيتى، أذكركم الله في أهل بيتى، أذكركم الله في أهل بيتى، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد أليس أذكركم الله في أهل بيته، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم» (۱).

ومن الواضح لا يمكن ترجيح تحليل ورأي زيد بن رقم على تلك النصوص المتضافرة عن رسول الله عَلَيْقَالُهُ، وما مارسه عَلَيْقَالُهُ من أساليب مختلفة للدلالة على أن أهل البيت المَلِيُّا هم الخمسة أصحاب الكساء.

⁽١) مسند أحمد: ج٤ ص٣٦٧.

الخلاصة

1- إنّ الرسول عَلَيْ شخص وحدد أسماء أهل البيت في آية التطهير، وهم على وفاطمة والحسن والحسين المين كما في رواية عبد الله بن جعفر المتقدمة، ثم دعاؤه بـ(اللهم هؤلاء آلي) الذي لا تخفى دلالته على الحصر في أهل البيت المين على كل من له أدنى معرفة بأساليب العرب في الكلام.

7- وجود عدد وافر من الروايات الصحيحة من طرق العامة تؤكد على أن رسول الله على جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين تحت كساء واحد وقال: «هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» وهذا أسلوب عملي من أبلغ أساليب الحصر، لسد كل المنافذ أمام المشككين، بحيث تجاوز عَمَا للهُ دلالات الكلام بهذا العمل ليكون أوقع وآكد في الدلالة.

٣- أجمعت المذاهب الإسلامية على كيفية الواقعة، وكيف أخذ النبي عَلَيْ الكساء ولف به الحسنين وأباهما وأمهما، ثم غشاهم ونفسه بذلك تمييزاً لهم عن سائر الأبناء والأنفس والنساء، وقد صرح عَلَيْ أُلهُ تصريحاً لا يبقى فيه مجال للشك والريب حين قال عَلَيْ أَنْ الآية في خمسة: (في وفي على وحسن وحسين وفاطمة)».

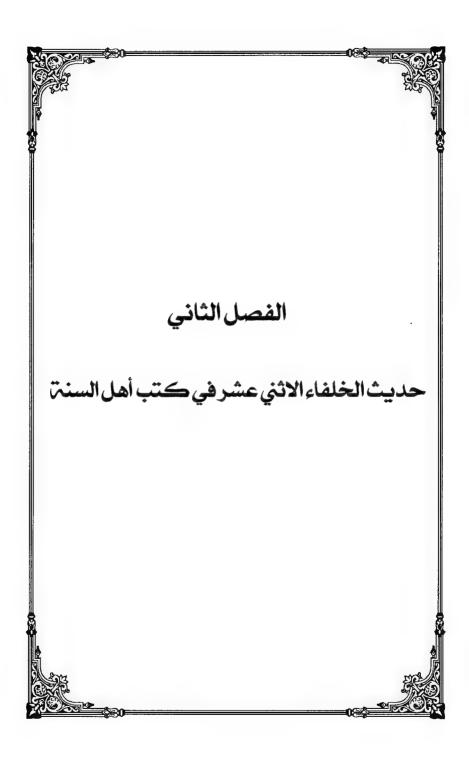
3- تأكيداً وإمعاناً في حصر نزول آية التطهير في علي وفاطمة والحسن والحسين الميكي أخذ النبي الله يأتي في كل يوم وفي كل وقت صلاة ولمدة سبعة أو ثمانية أو تسعة أشهر حسب اختلاف الروايات إلى باب

فاطمة عَلَى ويتلو الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وهذا الأسلوب يعتبر خطة إعلامية متقنة، لتأكيد اختصاص آية التطهير بأهل البيت المَيْكُ.

٥- من الشواهد الأخرى في المقام أيضاً أن آية التطهير جاءت بصدد إثبات العصمة لأهل البيت المنظم المذين قامت الأدلة والبراهين على عصمتهم المنظم وفي الوقت ذاته لم نجد أجداً سواء من بني هاشم أم من أزواج النبي ممن ادعى العصمة لنفسه، وهذا يُشكّل دليلاً قاطعاً على نزول آية التطهير في أهل البيت المنظم.

7- ما جاء في جملة من الروايات التي أمرنا فيها رسول الله عَيَالِلهُ بالتمسك بأهل البيت الميل كحديث الثقلين ونحوه، فلو كان عنوان أهل البيت يشمل بني هاشم وأزواج النبي عَيَالِلهُ فكيف يجوز التمسك بهم للنجاة والفوز في الدار الآخرة مع وجود بعض الفاسقين والكافرين من بني هاشم كأبي لهب وأمثاله.

٧- إن دليل القائل بشمول آية التطهير لبني هاشم إنما هو رأي لزيد ابن أرقم وليس رواية يرويها عن الرسول المنظم ورأي زيد بن أرقم ليس وحياً لكي يكون دليلاً على المقام.



مدخل

لقد احتلت مسألة تولي الخلافة والقيادة بعد رسول الله على مجالاً واسعاً وحيزاً كبيراً في الفكر والواقع الإسلامي، حيث كشفت سقيفة بني ساعدة عن الطموحات الواسعة لجملة من صحابة رسول الله على في تولي ذلك المنصب، كما كشفت أيضاً عن طبيعة الصراع الشديد الذي تجاذب أطرافه المجتمعون من الصحابة آنذاك.

وانبثق عن ذلك الاجتماع قيادات لحكومة سياسية مفاجئة، اعترض عليها زعماء الأنصار وأتباعهم، كما غاب عنها كبار الصحابة من المهاجرين، وفي مقدمتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المنافية.

واستطاعت تلك القيادات الحكومية بتدبير مسبق بينها أن تكسب الموقف، وتخلق رأياً عامّاً لصالحها، وتجبر الرافضين على السكوت عن إعلان المعارضة لها.

وأما النظرية الشيعية في مسألة الخلافة، فهي قائمة على مبدأ التخطيط الإلهي المسبق لقيادة الأمة بعد وفاة نبيّها، ورفض فكرة الإهمال في مسألة مصيرية في حياة الأمة، وهي الخلافة.

وإذا كانت النظرية الشيعية قائمة على فكرة التخطيط المسبق لمسألة

وفي مقام الجواب عن هذا التساؤل نقول:

إنَّ القرآن الكريم والسنة النبويّة حافلان بالبيانات التفصيليّة لرسم معالم الحكومة والخلافة الإلهية بعد النبي الأكرم عَلَيْلُلُى ولا نريد الخوض في كل ما ورد في هذا المجال لأنَّ هذا يجرّنا إلى مبحث الإمامة، ولكن نريد التوقف قليلاً عند أحد جوانب السنة النبوية المباركة، وهو ما تضمنته من تأكيد على فكرة الاثني عشر خليفة الذين يقومون بالأمر بعد النبي عَلَيْلُهُ وتكون عزة الإسلام باتباعهم والتمسك بهم.

وسنحاول في هذا الفصل استعراض أهم الروايات الشريفة التي تضمنت مبدأ خلافة الاثني عشر خليفة من المصادر السنية المعتبرة، والوقوف على أهم التفسيرات والتوجيهات التي أبداها أعلام أهل السنة حول تلك الأحاديث مع تقييم تلك التفسيرات.

ومن ثم ننتقل إلى بيان التفسير الواقعي لتلك الأحاديث، مدعوماً بالشواهد الواضحة والحقائق الناصعة.

حديث الخلفاء الاثني عشرفي كتب أهل السنت

الشبهة المطروحة حول الحديث

حاول البعض أن يشكك في فكرة الاثني عشر خليفة قائلاً: إن فكرة الاثني عشر التي يدعيها الشيعة الإمامية، فكرة يهودية تعود إلى زعيم يهودي قديم ورد في كتاب دانيال، وإن دعوى وجودها في صحيح البخارى، كذب!!

وإن حديث الخلفاء الاثني عشر الموجود في صحيح مسلم يتكلم عن أن الإسلام يبقى عزيزاً منيعاً في عهدهم، وأن هؤلاء الأئمة تجتمع عليهم الأمّة، كما في سنن أبي داود، وكل هذه الصفات لا تنطبق على أئمّة الشيعة !!(١).

وفي مقام الجواب عن هذه الشبهة نقول:

إنّ البعض قد يتنكر لمبادئه التي أسّسها، وصحّحها، واعتمد عليها إذا وجدها تصبّ في مصلحة من يخالفه الرأي.

وهذا ما نلمسه عند صاحب الشبهة، حيث أنكر حديث الاثني عشر خليفة الذي تثبته الصحاح المعتبرة، التي اعتمد عليها وجعلها أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وذلك عندما وجده يسجل رقماً إيجابياً في إثبات حقّانية المذهب الشيعى.

ولا يخفى على القارئ ما في تكذيبه للحديث من إنكار لحقيقة مهمة

⁽١) مقتبس من كلام عثمان الخميس على قناة المستقلة.

يسيراً للكتب الحديثية المعتبرة عند أهل السنة، لوجدناها مشحونة بالروايات الصحيحة والصريحة التي نصّت على الاثني عشر خليفة بعد رسول الله عَيْنِ أَلَهُ مواصفاتهم وخصوصياتهم.

حديث الاثني عشر في كتب أهل السنة:

وإليك جملة من المصادر التي نقلت هذه الحقيقة، المتسالم عليها عند أعلام السنة:

١- أخرج البخاري وأحمد والبيهقي وغيرهم بسندهم، عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت النبي على الله يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلّهم من قريش» (١).

قال البغوي: هذا حديث متفق على صحته (٢).

٣- وأخرج مسلم أيضاً، وأحمد ـ واللفظ للأول ـ عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت النبي عَنِينَ يقول: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً، ثم تكلّم النبي عَنِينَ بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول

⁽۱) صحيح البخاري، كتاب الأحكام: باب ٥١، ج٤ ص ٣٧٥ ح ٧٢٢٧ - ٧٢٢٣؛ مسند أحمد، ١ بن حنبل: ج٥ ص ٨٧ ص ٩٠ ص ٩٦؛ دلائل النبوة، البيهقي: ج٦ ص ٥١٩.

⁽٢) شرح السنة، البغوي: ج٧ ص٤٢٢ ح٤١٣٢.

⁽٣) صحيح مسلم، النيسابوري: ج٣ص ١٤٥٢؛ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش؛ وقد نقل مسلم هذا الحديث بتسعة طرق.

رجلاً، ثم تكلم النبي يَنَالَ بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله يَنْالُه؟ فقال: كلّهم من قريش» (١).

2- وأخرج مسلم أيضاً، وأحمد، والطيالسي، وابن حبان، والخطيب التبريزي، وغيرهم، عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله عَلَيْلُهُ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلّهم من قريش» (٢).

٥- وأخرج مسلم ـ واللفظ له ـ وأحمد، وابن حبان، عن جابر بن سمرة، قال: انطلقت إلى رسول الله على أبي فسمعته يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزا منيعاً إلى اثني عشر خليفة، فقال كلمة صمّنيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش» (٣).

7- وأخرج مسلم ـ واللفظ له أيضاً ـ وأحمد، عن جابر بن سمرة قال: «سمعت رسول الله عَلَيْلَةُ يوم جمعة، عشية رجم الأسلمي يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش» (٤).

⁽١) المصدر السابق نفسه: وكذا مسند أحمد، ابن حنبل: ج٥ ص ٩٨ ص ١٠١؛ قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١ ق٢ ص ٧١٩: «وهذا إسناد صحيح على شرطهما».

⁽۲) صحيح مسلم، النيسابوري: ج٣ ص١٤٥٣؛ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش؛ ومسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص ٩٠٠ مسكاة المصابيح، بن حنبل: ج٥ ص ٩٠٠ مسكاة المصابيح، الخطيب التبريزي: «متفق عليه»؛ صحيح ابن حبان: ج١٥ ص ٤٤.

⁽٣) صحيح مسلم، النيسابوري: ج٣ ص١٤٥٣؛ كتاب الإمارة؛ مسند أحمد، ابن حنبل: ج٥ ص ٩٨ صحيح مسلم، وفي ص٩٦ قال: «عزيزاً منبعاً ظاهراً على من ناواه ولا يضره من فارقه أو خالفه»؛ صحيح ابن حبان: ج١٥ ص ٤٤.

⁽٤) صحيح مسلم، النيسابوري: ج٣ ص١٤٥٣؛ كتاب الإمارة؛ مسند أحمد، ابن حنبل: ج٥ ص ٨٨ ص ٩٨؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: ج١ ق٢ ص ٧٢٠.

۸- وأخرج أبو داود حديث الخلفاء الاثني عشر بطريقين صحيحين (۲)، قال في أحدهما: «سمعت رسول الله على أله يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال: فكبر الناس وضجوا، ثم قال كلمة خفية، قلت لأبى، يا أبه ما قال؟ قال: كلّهم من قريش» (۳).

٩- وأخرج أحمد، وأبو نعيم، والبغوي عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت رسول الله عَيْنَالَهُ يقول: يكون بعدي اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش» (٤).

-١٠ وأخرج أحمد بن حنبل في المسند واللفظ له والحاكم النيسابوري في المستدرك، عن جابر بن سمرة، قال: «سمعت رسول الله على النيسابوري في حجة الوداع: لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه، لا يضره مخالف، ولا مفارق، حتى يمضي من أمتي اثنا عشر أميراً كلهم، ثم خفي من قول رسول الله عَلَيْهِ الله عنه قول: يقول: كلهم من قريش» (٥).

١١ – وأخرج أبو عوانة أيضاً في مسنده، عن جابر بن سمرة، قال: «قال رسول الله عَمَالُةُ: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيفاً لا يضره من ناوأه حتى تقوم الساعة

⁽۱) سنن الترمذي: ج٣ ص ٩٤٠ قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»؛ مسند أحمد، ابن حنبل: ج٥ ص ٩٢ ص ٩٤ ص ٩٩ ص ١٠٨.

⁽٢) صححهما الألباني في صحيح سنن أبي داود: ج٣ ص١٩ ح ٤٢٨٠.

⁽٣) سنن أبي داود: ج ٤ ص ٨٦٪ كتاب المهدي وفيه: «ثم لغط القوم وتكلّموا» وفي نفس الصفحة «فجعل الناس يقومون ويقعدون».

⁽٤) مسند أحمد، ابن حنبل: ج١٥ ص٩٢ ؛ حلية الأولياء: ج٤ ص٣٣٣؛ شرح السنة، البغوي: ج٧ ص٤٢٢ ح ١٣١٤؛ صحيح ابن حبان: ج١٥ ص٤٤؛ قال البغوي: «هذا حديث صحيح».

⁽٥) مسند أحمد، ابن حنبل: ج٥ ص٨٨-٨٨؛ المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص٦١٨.

رسول الله عَلَيْهِ لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيفاً لا يضره من ناوأه حتى تقوم الساعة إلى اثني عشر خليفة، كلهم من قريش» (١).

17- وأخرج ابن حجر والقسطلاني والخطيب البغدادي قول رسول الله عَلَيْهُ: «لا تهلك هذه الأمة حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق» (٢).

17- وأخرج أحمد، والحاكم في المستدرك، والهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني في المعجم الأوسط، والكبير، أن النبي الله قال: «الا يزال أمر أمتي صالحاً حتى يمضي اثنا عشر خليفة...» (٣).

12- وأخرج أحمد في مسنده، والهيثمي في مجمع الزوائد، وابن حجر في المطالب العالية، والبوصيري في مختصر الإتحاف، عن مسروق، قال: «أما سألت النبي عليه كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ قال: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك [ثم] قال: نعم ولقد سألناها، فقال: اثنى عشر كعدة نقباء بني السرائيل» (3).

⁽١) مسند أبي عوانة: ج ٤ ص ٣٦٩ - ٢٩٧٦.

⁽٢) فتح الباري: ج١٣ ص١٨٤؛ تاريخ بغداد: ج٤ ص٢٥٨.

⁽٣) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص ٦١٨؛ مسند أحمد، ابن حنبل: ج٥ ص ٩٧ ص ١٠٠٧ مجمع الزوائد: ج٥ ص ١٩٠٠ قال الهيثمي: «رجال الطبراني رجال الصحيح»، ورواه عن جابر في ص ١٩١ وقال: «رجاله ثقات».

⁽٤) مختصر الاتحاف، البوصيري: ج٦ ص٤٣٦ ح٤٩٣٣؛ وكذا انظر مسند أحمد، ابن حنبل ج١ ص٨٩٠؛ المستدرك، ج٤ ص ٥٠٠ المطالب العالية: ج٥ ص ٤٦٠ مجمع الزوائد: ج٥ ص ١٩٠، وهذا حديث حسنه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: ج١٣ ص٨٠ وابن حجر الهيتمي في تطهير الجنان واللسان (ضمن الصواعق المحرقة): ص١٩، ونقله السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص١٥.

الأكرم على الله من طرق أهل البيت الملك حول الخلفاء الاثني عشر، إلا أن ما تقدم يكفي لإثبات المطلوب.

وعلى ضوء ما سلف يتضح أن حديث الاثني عشر خليفة حقيقة إسلامية صادرة عن الرسول الأكرم عليها، فلا مجال لما يقال من أنها فكرة يهودية أخذها الشيعة من كتاب دانيال!.

ولعل المستشكل لم يكن مطلعاً على الشخص الذي رجع إلى كتب اليهود وأخذ منها، بعد عجزه عن تفسير حديث الاثني عشر، كما نقل ذلك ابن حجر العسقلاني، عن أبي الحسين ابن المنادي، حيث قال: «قال أبو الحسين ابن المنادي، في الجزء الذي جمعه في المهدي: (يحتمل في معنى حديث (يكون اثنا عشر خليفة) أن يكون هذا بعد المهدي، الذي يخرج في آخر الزمان، فقد وجدت في كتاب دانيال، إذا مات المهدي...» (1).

ومن هنا لا نجد مجالاً لإنكار هذه الروايات المتواترة، ولذا التجأ العلماء من الفريقين إلى تفسيرها دون تكذيبها.

من هم الخلفاء الاثنا عشر؟

بعد أن اتفق المسلمون على هذه الحقيقة التي كشف النقاب عنها رسول الله على أن الخلفاء من بعده اثنا عشر خليفة، نجد أن الكثير من محدثي ومفسري أهل السنة واجهوا إشكالية صعبة في تعيين الخلفاء الاثني عشر؛ لأنهم من جهة إن أخذوا بظواهر النصوص – الواردة في الخلفاء الاثني عشر – فإن ذلك يتناقض، ويتنافى مع ما تسالموا عليه في

⁽١) نقلاً عن فتح الباري: ج١٣ ص١٨٤.

الخلفاء الاثني عشر – فإن ذلك يتناقض، ويتنافى مع ما تسالموا عليه في المسألة الخلافة لديهم، ولما رووه صحيحاً عن رسول الله على أن الخلافة من بعده ثلاثون عاماً، ثم تكون ملكاً عضوضاً، ومن جهة أخرى إن رفض هذه النصوص لا تسمح به القوة السندية التي تملكها، وعلى هذا الأساس تباينت الآراء وتناقضت التفاسير حول هذه الحقيقة وتضاربت التصريحات والردود بعضها مع البعض الآخر، فتجدهم تارة يعبرون بروقع لي فيه شيء) أو (قيل) أو (الذي يغلب على الظن)، أو (والله أعلم بمراد نبيه)، وإكثارهم من قول (والله أعلم) بين الحين والآخر، مما يكشف عن تخبطهم، وحيرتهم في تفسير حديث الخلفاء تفسيراً واقعياً صحيحاً، وإليك أبرز تلك المحاولات التفسيرية:

محاولات أهل السنتافى تفسير حديث الخلفاء

المحاولة الأولى: لابن العربي

قال: «فعددنا بعد رسول الله عَلَيْلُهُ اثني عشر أميراً فوجدنا أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً والحسن ومعاوية ويزيد ومعاوية بن يزيد، ومروان وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك ومروان بن محمد بن مروان والسفاح...» إلى أن قال: «وإذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمان، وإذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة: الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز، ولم أعلم للحديث معنى!!» (١)

⁽١) شرح صحيح الترمذي، ابن العربي: ج٩ ص٦٨.

المحاولة الثانية: لابن المهلب

قال: «لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث _ يعني بشيء معين _ فقوم قالوا يكونون بتوالي إمرتهم، وقوم قالوا يكونون في زمن واحد كلهم يدعي الإمارة، قال: والذي يغلب على الظن أنه (عليه الصلاة والسلام) أخبر بأعاجيب تكون بعده من الفتن، حتى يفترق الناس في وقت واحد على اثني عشر أميراً، قال: ولو أراد غير هذا لقال يكون اثنا عشر أميراً يفعلون كذا، فلما أعراهم من الخبر عرفنا أنه أراد أنهم يكونون في زمن واحد»، وعلق ابن حجر على ذلك بقوله: «وهو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية التي وقعت في البخاري مكذا مختصرة» (أ).

المحاولة الثالثة: للسيوطي

وقد علّق عليه الأستاذ أبو ريّة بقوله: «ولم يبين المنتظر الشاني!! ورحم الله من قال في السيوطى: إنه حاطب ليل» (٣٠).

⁽١) فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٢.

⁽٢) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي: ص١٦.

⁽٣) أضواء على السنة المحمدية: ص٢٣٥.

المحاولة الرابعة: لأبي الحسين ابن المنادي

قال في الجزء الذي جمعه في المهدي: «يحتمل في معنى حديث (يكون اثنا عشر خليفة) أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، فقد وجدت في كتاب دانيال: إذا مات المهدي ملك بعده خمسة رجال من ولد سبط الأكبر، ثم خمسة من ولد السبط الأصغر، ثم يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الأكبر، ثم يملك بعده ولده، فيتم بذلك اثنا عشر ملكاً كل واحد منهم إمام مهدي» (۱)، وقد ردّه ابن حجر بقوله: «والوجه الذي ذكره ابن المنادي ليس بواضح» (۱).

المحاولة الخامسة: للقاضي عياض

قال النووي: «وقال القاضي عياض في جواب القول: أنه ولي أكثر من هذا العدد؟، قال: وهذا اعتراض باطل؛ لأنه (صلى الله عليه وسلم) لم يقل: لا يلي إلا اثنا عشر خليفة، وإنما قال: يلي، وقد ولي هذا العدد، ولا يضر كونه وجد بعدهم غيرهم...، ويحتمل أوجها أخر، والله أعلم بمراد نبيه» (٣).

المحاولة السادسة: لابن الجوزي

حيث قال في كشف المشكل: «قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلبت مظانه، وسألت عنه فلم أقع على المقصود به؛ لأن ألفاظه مختلفة، ولا أشك أن التخليط فيها من الرواة، ثم وقع لي فيه شيء...» (٤).

⁽١) نقلاً عن فتح الباري: ج١٣ ص١٨٤.

⁽٢) فتح الباري: ج١٣ ص١٨٥.

⁽٣) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٢ ص٢٠١ - ٢٠٣.

⁽٤) فتح الباري: ج١٣ ص١٨٣.

أمية قال: «وأوّل بني أميّة يزيد بن معاوية، وآخرهم مروان الحمار، وعدتهم ثلاثة عشر، ولا يعد عثمان ومعاوية، ولا ابن الزبير؛ لكونهم صحابة، فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم - للاختلاف في صحبته، أو لأنه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على عبد الله بن الزبير - صحّت العدّة» (١).

وقال ابن حجر في معرض تعليقه على كلام ابن الجوزي: «وأمّا محاولة ابن الجوزي... ظاهر التكلف»(٢).

المحاولة السابعة: للبيهقي

قال فيها: «وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة، ثم ظهر ملك العباسية، وإنما يزيدون على العدد المذكور، إذا تركت الصفة المذكورة فيه أو عد منهم من كان بعد الهرج المذكور فيه»(٣).

ورده ابن كثير بقوله: «فهذا الذي سلكه البيهقي وقد وافقه عليه جماعة، من أنّ المراد بالخلفاء الاثني عشر المذكورين في هذا الحديث هم المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، الذي قدّمنا الحديث فيه بالذم والوعيد فإنه مسلك فيه نظر... وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر، قبل عمر بن عبد العزيز، فهذا الذي سلكه على هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن معاوية، ويخرج منهم عمر بن عبد العزيز، الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه، وعدروه من

⁽١) فتح الباري، ابن حجر: ج١٣ ص١٨٣.

⁽٢) المصدر نفسه: ج١٣ ص١٨٥.

⁽٣) نقله عن البيهقي أبن كثير في البداية والنهاية: ج٦ ص ٢٧٩.

الخلفاء الراشدين» (١).

وفي نهاية المطاف يتضح تعثر المحاولات التي تحركت في إنجاز هدفها، وأنتجت تفسيرات تختزل في داخلها التكلّف والحيرة والارتباك.

التفسير الواقعي لحديث الاثني عشر

أمّا الشيعة الإمامية، فلم يحتاجوا إلى مزيد بحث، وعناء، في تفسير أحاديث الخلفاء الاثني عشر، وأنهم العترة الطاهرة، المتمثلة في أهل البيت المحلي بشكل واضح، لا سيما بملاحظة الروايات التي وردت عن رسول الله عليه وما تضمنته من روح استدلالية لا تقبل الترديد في إثبات المطلوب.

وقبل أن نلج في البحث، لابد من تقديم نقطة منهجية تساهم في بناء إطار واضح ومحدد للموضوع وتحول دون الوقوع في الاشتباه.

وهي أننا يتوجب علينا أن نلقي الضوء على تلك الروايات الواردة في الخلفاء الاثني عشر؛ لنبصر ما تضمنته تلك الروايات من خصائص ومواصفات ومميزات للخلفاء الاثني عشر، حيث نجد في بعضها التعبير بأن (عزة الإسلام ونصرته تكون بهم)، وأن (بقاء الدين إلى قيام الساعة بهم)، وأن (وجودهم مستمر إلى آخر الدهر)، وأن (قيام الدين إلى قيام الساعة بهم)، وأنهم (القيمين على الدين)، و (إذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها)، وأن (صلاح وأنهم (الأمة والناس بهم)، وأنهم (كلهم يعمل بالهدى ودين الحق)، وأنهم (كلهم من قريش)، وأنهم (لا يضرهم خذلان من خذلهم ولا عداوة من عاداهم)، وأنهم

⁽١) البداية والنهاية، ابن كثير: ج٦ ص٢٧٩ - ٢٨٠.

(كعدة نقباء بني إسرائيل)، والأهم من ذلك كله تحديدهم بعدد (اثني عـشر) بلا زيادة أو نقصان.

وبملاحظة هذه الامتيازات، والخصوصيات، التي يتصف بها الخلفاء الاثنا عشر، لا يتردد أحد في صدقها، وانطباقها على أئمة أهل البيت الميكالاً.

ولكي تكون الإجابة واضحة لا تحتمل اللبس، والإيهام، نشير إلى عدة قرائن وشواهد، نلمس من خلالها جوهر وحقيقة الأحاديث، وتفسيرها تفسيراً واقعياً، وإليك جملة من تلك الشواهد والقرائن التي توجب القطع واليقين بأن المراد بالخلفاء الاثني عشر هم أهل البيت المناهايين:

جملتمن الشواهد على المراد الواقعي

1- إذا أنعمت النظر في بعض الخصائص والمميزات التي تضمنتها نصوص الاثني عشر خليفة، من قيام الدين بهم، وقيم وميتهم على الدين فهم «اثنا عشر قيماً من قريش، لا يضرهم من خذلهم، ولا عداوة من عاداهم» (۱) «لا يزال الدين قائماً» (۲) ، وكونهم «أمان لأهل الأرض» (۳) ، «أمان لأمتي» (٤) ، «فإذا

⁽۱) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦، وفي ص٢٥٦ نقل فيها عبارة «لا يضرهم عداوة من عاداهم»؛ المعجم الأوسط، الطبراني: ج٣ ص ٢٠١، نقل فيه عبارة «لا يضرهم من خذلهم»؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي: ج٥ ص ١٩٦ وذكر «أن رجاله ثقات» ونقل فيه عبارة «عداوة من عاداهم»؛ الحد الفاصل، الرامهرمزي: ص٤٩٤.

⁽٢) صحيح مسلم، النيسابوري: ج٣ ص١٤٥٣؛ كتاب الإمارة؛ مسند أحمد، ابن حنبل: ج٥ ص٨٦ ص٨٩ ص ٨٩ سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: ج٢ ص ٦٥٤ ح ٩٦٤.

⁽٣) المستدرك: ج٣ص ١٤٩؛ وقال فيه «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وغير ذلك من المصادر. (٤) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٤٢٦، ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري: ص١٧.

هلكوا ماجت الأرض بأهلها» (۱) لاسيما إذا ضممنا إليها ما ورد عن رسول الله على صحيحاً ومتواتراً، أن «الأرض لا تخلو من حجة» (۲)، وكذا «من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية» (۳)، وقول رسول الله على الله على الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان» (ع)، يتجلى لنا أنها تسجل بمجموعها معنى مشتركاً فيما بينها، وهو أن هذه الخصوصيات لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كان أولئك الخلفاء الاثنا عشر على شكل سلسلة واحدة متكاملة ومتناسقة ومتوالية زماناً، وهذا لا ينسجم ولا ينطبق إلا على العترة الطاهرة الما على العكس من تفاسير علماء السنة المتقدمة، التي تطغى عليها حالة من التشويش والتكلف وعدم التناسق، والتواصل فيما بينها.

٢- من الخصوصيات الأخرى التي سجلتها روايات الاثني عشر إلى جانب الخصوصية الأولى، هي صفة (بقاؤهم ما بقي الدين، حتى تقوم الساعة)، وهذه الحقيقة لا تتجسد إلا في أئمة أهل البيت الملكي، ومن أوضح ما يثبت ذلك:

(١) المعجم الكبير الطبراني: ج٢ ص١٩٦ - ١٧٩٤؛ كنز العمال: ج١٢ ص٣٤ - ٣٣٨٦١.

⁽٢) انظر: تاريخ مدينة دمشق: ج٥٠ ص٢٥٥؛ انظر: المناقب، الخوارزمي: ص٣٦٦؛ انظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٦؛ انظر: تابيع المودة: ج١ ص٨٩

⁽٣) صحيح ابن حبان: ج ١٠ ص ٤٣٤، انظر: مسند أحمد، ابن حنبل: ج٣ ص ٤٤٦؛ المعجم الكبير، الطبراني: ج ١٩ ص ٢٤٠؛ المعجم الأوسط، الطبراني: ج ١٩ ص ٢٧٠؛ اسمعجم الأوسط، الطبراني: ج ٦ ص ٧٠٠؛ مجمع الزوائد: ج ٥ ص ٢١٨ ص ٢٢٤ ج ٩: ص ١١١ ص ١٢١؛ مسند الطيالسي: ص ٢٥٩؛ مسند أبي يعلى: ج ١٣ ص ٣٦٦ ح ٧٣٥٠.

⁽٤) صحيح مسلم، النيسابوري: ج٣ ص١٤٥٢ ح ١٨٢٠؛ مسند أحمد، ابن حنبل: ج٢ ص٢٩ ص٩٣؛ السنن الكبرى: البيهقي: ج٣ ص ١٢١؛ فتح الباري: ج٣١ ص ١٠٤؛ الجامع الصغير: ج٢ ص ٧٥٦ ح ٩٩٦٩؛ وغيرها من المصادر الأخرى.

أ- حديث الثقلين «إنّي تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تنضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتني أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض؛ فانظروا كيف تخلّفوني فيهما» (١) والنفي التأبيدي للافتراق بين الكتاب والعترة الطاهرة لا يتحقق إلا بديمومة أهل البيت الميلي وبقائهم ما بقي القرآن والدين، وإلا فلو فرض افتقاد أهل البيت الميلي في فترة معينة، يلزم من ذلك افتراق القرآن عن العترة، وهو ينافي حديث الرسول الأكرم علي المناهدة المناهدة المناهي حديث الرسول الأكرم عليه المناهدة المناه

ب- الاعتقاد بوجود الإمام الثاني عشر، وأنه الإمام المهدي المنتظر الله وأنه من ولد رسول الله الله وأنه حي يرزق - كما هو معتقد الشيعة الإمامية - يسجل التقاء جلياً مع مضمون روايات الخلفاء الاثني عشر في خصوصية كون بقائهم ما بقي الدين إلى قيام الساعة، لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الأحاديث السابقة الذكر: «لا تخلو الأرض من حجة»، و«من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية».

٣- تشبيه الرسول الأكرم الله الخلفاء الاثني عشر من بعده بنقباء بني إسرائيل، وحواريي عيسى - كما تقدم - يدل على كون الخلفاء أوصياء منصبين بتعيين خاص، كما هو الحال بالنسبة لنقباء موسى وحواريي عيسى المناخ، وهذا التنصيب والتعيين يفرضه عظم وحجم المسؤولية الملقاة على عاتق النقيب، بحسب تعبير الآية؛ لأن النقيب هو الأمين والرئيس

⁽۱) أخرج الحديث مسلم في صحيحه: ج٤ ص١٨٧٣ ح٢٤٠٨؛ والترمذي في سننه: ج٥ ص٣٦٨، ٣٢٩؛ وأحمد في مسنده: ج٣ ص٥٩؛ وغيرها من المصادر العديدة جداً، والحديث متفق على صحته بين الفريقين، بل إن له طرقاً عديدة جداً تصل إلى حد التواتر.

الكبير، المقدّم على القوم، الذي يتعرّف أخبارهم، وينقّب عن أحوالهم، ويعرف مناقبهم، ودخيلة أمرهم، ويدبّر مصالحهم، وقد أخرج السيوطي في تفسيره عن ابن جرير بن الربيع: «قال: النقباء، الأمناء»(١)، ونقل الفخر الرازي في ذيل آية ﴿اتْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾: «إن النقيب هاهنا فعيل بمعنى مفعول، يعني اختارهم على علم بهم، قال الأصم: هم المنظور إليهم، والمسند إليهم أمور القوم وتدبير مصالحهم»(١).

كما ورد عن رسول الله عَلَيْ أنه قال: «اثنا عشر خليفة، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، لا ينضرهم من خذلهم» (٣)، وهذا هو الدور الذي أنيط بأهل البيت الملك من كما روي عن عمر، أن النبي عَلَيْ قال: «في كل خلوف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون» (٤).

وعلى هذا الأساس يثبت لأوصياء وخلفاء نبينا على ما ثبت لأوصياء موسى وعيسى المناقظ من التنصيب والتعيين الخاص، وهو ما لم يثبت لغير أهل البيت المناقظ.

٤- المؤهلات والخصائص الاستثنائية، التي يمتلكها أهل البيت المليلاً،

⁽١) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي: ج٣ ص٤٠.

⁽٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٦ ص١٨٨-١٨٩.

⁽٣) المعجم الكبير، الطبراني: ج ٢ ص ١٩٦، ٢٥٦؛ المعجم الأوسط: ج٣ ص ٢٠١؛ انظر: فتح الباري: ج١٣ ص ١٨٤.

⁽٤) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص ٢٣١؛ انظر: ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ص ١٧٤؛ انظر: ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص ١١٤.

والتي يفرضها واقعهم وسيرتهم العملية بين المسلمين بإجماع أهل العلم، وعلى جميع المستويات الفكرية، والإيمانية والروحية والنفسية والرسالية وغيرها، تحتم على الباحث المنصف تفسير الحديث بهم، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال ما يأتي:

أولا: النصوص القرآنية كآية المودة، وآية هل أتى، وآية التطهير والاصطفاء وغيرها، وكذلك الأحاديث النبوية، من حديث الثقلين، وحديث السفينة، وحديث الكساء، وغيرها.

ثانيا: الواقع التاريخي الذي برهن وبكل وضوح وصدق على عمق تجسيدهم المنظل للمفاهيم الإسلامية والرسالية، وعمق تحمّلهم لأدوارهم، وقيامهم بالمسؤوليات التي أوكلت لهم، فإن كل الدراسات التي عنيت بتدوين ودراسة التاريخ تؤكّد حقيقة التميّز في شخصياتهم، ومؤهلاتهم العلمية والقيادية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، لا سيما إذا أبصرنا تلك التصريحات الصادرة من رجاليين ومؤرخين وباحثين ممن عاصروا الأئمة المنظل، وممن لم يعاصروهم، فقد أجمعت هذه الكلمات على الاعتراف لأهل البيت المنظل بالموقع المتفرد والاستثنائي في العلم والورع والخلق والفضل والشرف والسمو والكمال والحسب والنسب وأهليتهم للإمامة والخلافة، كما نقلنا ذلك مفصلاً في الجواب عن شبهة متقدمة، وإليك بعض تلك الشواهد:

ألف- قول أحمد بن حنبل: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله عَلَيْهِ من

الفضائل، ما جاء لعلي بن أبي طالب النيلا»(١)، وفضل أمير المؤمنين النيلا ودوره في الإسلام غني عن البيان فلا نطيل فيه الحديث.

ب-وأما فضل الإمام الحسن والإمام الحسين المُتَلِمُ ودورهما في الإسلام، ودفاعهما عن شريعة جلهما على الأمة الإسلام، ودفاعهما عن شريعة جلهما على الأمة الإسلامية، ووقوفهما سداً منيعاً أمام كل المحاولات التي تستهدف النيل من الرسالة الإسلامية، لما يحملانه من خصائص، ومميزات وقد تواترت الروايات في علو شأنهما وسمو مقامهما، كل ذلك جعل لهما الدور الفاعل في التأثير البليغ في المسلمين، سواء على الصعيد الفكري، أو الاجتماعي، أو غيرهما، كل ذلك في زمن أصبحت الحياة الإسلامية فيه مسرحاً للخلافات، والجرائم والآثام، وأصبحت فيه الحكومة ملكاً عضوضاً يتوارثه بنو أمية فيما بينهم بالقهر والغلبة، وقد انبرى الإمام الحسن والإمام الحسين عليم الله في ذلك الحين لمعالجة الواقع المرير، وقد جاء في مجامع أحاديث السنة أن رسول الله عَيْنَالِلهُ قال في حق ابنه الحسن الثَّالِةِ: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(٢)، وقال عَيْظَاللهُ في حق ابنه الحسين النالا: «حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب، الحسن والحسين سبطان من الأسباط» (٣).

⁽١) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٠٧.

⁽٢) صحيح البخاري: ج٢ ص ١٧٩ ح ٢٧٠٤؛ الصواعق المحرقة، ابن حجر: ص ٢٩١، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً من الفريقين.

⁽٣) المعجم الكبير، الطبراني: ج٣ ص٣٦ ج٢٢ ص ٢٧٤، الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص ٥٧٥، فيض القدير في شرح الجامع الصغير، المناوي: ج٣ ص٥١٣، التاريخ الكبير، البخاري: ج٨ ص ٤١٥، البداية والنهاية، ابن كثير: ج٨ ص ٢٢٤، وفي صحيح الجامع الصغير، الألباني: ج١ ص ٢٠٤ ح ٣٤٤٦، قال عن الحديث بأنه: (حسن)، وغيرها من المصادر الكثيرة.

ولذا قام الإمام الحسين المنافية ثائراً على الظلم آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مضحياً بنفسه وأهل بيته في سبيل إعلاء كلمة الحق، طالباً الإصلاح في أمة جده على عندما لاحظ الممارسات البعيدة عن روح الدين والأخلاق من قبل الحكومة آنذاك، حينما اتخذت الإسلام ستاراً لتغطية جرائمها وممارساتها المتهتكة، ولذا قال المنافية عندما خرج متوجها إلى الكوفة: "إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد المنافية أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر" وقد قال الذهبي في مدحهما وبيان موقعهما القيادي في الأمة المنافية: «فمولانا الإمام على من الخلفاء الراشدين وابناه الحسن والحسين فسبطا رسول الله على المناب أهل الجنة، لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك» "ك. ولا نظيل الحديث في ذلك بعد أن ثبت أنهما المنافية إمامان قاماً أو قعداً.

ج- قول مالك في الإمام زين العابدين: «سُمّي زين العابدين لكثرة عبادته» (٣).

د قول أبي حنيفة عندما سئل: من أفقه من رأيت؟ قال: «ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد» (٤).

هـ - قول الذهبي في ترجمته للإمام المهدي المنتظر المنافع «ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة، وأنه صاحب الزمان، وأنه حي لا يموت

⁽١) مقتل الحسين، الخوارزمي: ص٢٧٣، الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ج٥ ص ٢١.

⁽٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٣ ص١٢٠.

⁽٣) نور الأبصار، الشبلنجي: ص١٩١.

⁽٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٦ ص٢٥٧، تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج١ ص١٦٦.

وزين العابدين: كبير القدر، ومن سادة العلماء العاملين يصلح للإمامة.

وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سيد إمام، فقيه، يصلح للخلافة.

وكذا ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور.

وكان ولده موسى: كبير القدر، جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون.

وابنه علي بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيّره المأمون ولى عهده لجلالته.

وابنه محمد الجواد: من سادة قومه.

وكذلك ولده الملقب بالهادي: شريف جليل.

وكذلك ابنه الحسن بن علي العسكري. رحمهم الله تعالى الله على الله الله الحسن بن على العسكري.

0- إن من الملاحم التي نصّت عليها أحاديث الاثني عشر خليفة، هو حصول المعاداة والخذلان لأولئك الخلفاء بعد رسول الله عَلَيْهُ، كالتعبير بأنهم «لا يضرهم من خذلهم» (٢)، «ولا تضرهم عداوة من عاداهم» (٣).

⁽١) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٣ ص١٢٠، ١٢١.

⁽٢) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦، تاريخ ابن كثير: ج٦ ص٢٨٧.

⁽٣) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص٢٥٦، مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٥ ص١٩١؛ فتح الباري، ابن حجر: ج٣١ ص١٨٢.

ولا يخفى أنه جرى على أهل البيت المنظر ما لم يجر على غيرهم من خذلان ومعاداة، ابتداءً من أمير المؤمنين الحلا، والإمام الحسن والحسين المنظم، ومن بعدهم العترة الطاهرة من أبناء الحسين الحلا، وقد تنبأ بذلك رسول الله تعليل عندما قال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً» (١).

وهذا شاهد آخر، يدعم كون الخلفاء الاثني عشر هم أهل البيت المنظية معثل حيث خذل أمير المؤمنين بعد أن عهد إليه رسول الله على بالولاية أمام جموع الناس في واقعة الغدير وغيرها، وقد تنبأ أيضاً رسول الله على بذلك الخذلان عندما قال وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب المنظية (هذا أمير البررة قاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله» (٢)، وقول رسول الله على أله الله من خذله الأمة، حتى الأمة ستغدر بك بعدي» (٣)، وكذا الإمام الحسن المنظية، حيث خذلته الأمة، حتى تمكن معاوية من السلطة، ودس إليه السم فقتل شهيداً مظلوماً.

وأمّا الإمام الحسين المالاً، فلا يخفى كيفية خذلان الأمة له ولأصحابه السبعين نفراً، حتى قتلوهم، وسبوا نساءهم وذراريهم، وحملوهم إلى

⁽۱) سنن ابن ماجه: ج۲ ص۱۳۹٦ وقد قواه من طريق صاحب المستدرك، المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي: ج۷ ص۷۰؛ كتاب السنة: ص ۲۹ ح ۱٤٩٩؛ الدر المنثور، السيوطي: ج٦ ص ٥٨ ، ميزان الاعتدال: ج٢ ص ٤١٦ ذكرها بطرق مختلفة ومتعددة ولم يضعّفها، سير أعلام النبلاء: ج٦ ص ١٣١؛ لسان الميزان، ابن حجر: ج٣ ص ٢٨٢.

⁽٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم:ج٣ ص١٢٩ قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»؛ تاريخ بغداد: ج٣ ص ١٨١؛ تاريخ مدينة دمشق: ج١٥ ص٨٨

⁽٣) المستدر كهلى الصحيحين: ج٣ ص١٤٢، ١٤٣ قال: «صحيح»؛ البداية والنهاية: ج٦ ص١٤٤؛ دلائل النبوة: ج٦ ص ٤٤٤؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي دلائل النبوة: ج٦ ص ٤٤٤؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٤ ص ١٠٧.

طاغية عصره يزيد بن معاوية، وأمّا بقية الأئمة اللِّي فلا يخفى ما عانوه من جرّاء الظلم، والتضييق عليهم، وزجهم في السجون من قبل السلطات الحاكمة، فكانوا ما بين مسموم وسجين و.....

وعلى الرغم من كل المحاولات التي استهدفت طمس معالمهم، وإخفاء حقيقتهم ودورهم، إلا أنهم الله مارسوا دورهم على أكمل وجه، وحافظوا على الخط الإسلامي الأصيل المتمثل بتربية أمة صالحة على العكس من الحكومات الظالمة آنذاك، التي اكتفت برفع شعار الإسلام؛ لتمرير مخططاتها وأهدافها.

7- من الشواهد التي تكشف عن كون المقصود من الخلفاء الاثني عشر هم أهل البيت المسلطين هو أن بعض روايات الاثني عشر خليفة نصت على أن الخلفاء الاثني عشر كلهم من بني هاشم، حيث جاء عن جابر بن سمرة عن رسول الله على أنه قال: «بعدي اثنا عشر خليفة، ثم أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلهم من بني هاشم» (١).

ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا قلنا: إن لفظ «كلهم من بني هاشم» ؛ إما أن يكون قد أسقط من باقي الروايات، أو أنه خفي على الراوي جراء حصول الضجة واللغط في ذلك المجلس، الذي ذكر فيه الرسول الأكرم عَلَيْهُ هذا الحديث، كما خفي عليه لفظ «كلهم من قريش» فسأل من بجنبه، فأثبت له لفظ «كلهم من قريش» فقط، ولعل الشخص الذي أثبت له اللفظ لم يسمع قول النبي عَلَيْهُ «كلهم من بني هاشم» فلم يثبته له، أو لأجل مآرب وغايات في صدور القوم، منعت من إثبات بقية الحديث لجابر، وهذا يعني أن لفظ

⁽١) ينابيع المودة: ج٢ ص٣١٥ ح٩٠٨.

«كلهم من قريش» لم يسمعها الراوي من لسان النبي عَلَيْ مباشرة، وهذا هو ما فهمه القسطلاني في شرحه لصحيح البخاري، حيث قال: «وعن أبي داود من طريق الشعبي عن جابر بن سمرة: لايزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال: فكبر الناس وضجّوا، فلعل هذا هو سبب خفاء الكلمة المذكورة على جابر» (١).

ولذا نقول إن الرواية الواردة عن جابر عن رسول الله على بعض حديث، ويشهد على ذلك نفس الواقعة، وكيفية إثبات الحديث لجابر، حيث جاء فيه: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال فكبر الناس وضجوا فقال كلمة خفية، فقلت لأبي يا أبه ما قال؟ فقال أبي: إنه قال كلهم من قريش» (٢).

وفي رواية أخرى بلفظ «صمّنيها الناس» هو بفتح الصاد وتشديد الميم لصحيح مسلم: «قوله: فقال كلمة صَمَّنيها الناس» هو بفتح الصاد وتشديد الميم المفتوحة، أي أصموني عنها، فلم أسمعها؛ لكثرة الكلام ووقع في بعض النسخ (صمّتنيها الناس) أي سكتوني عن السؤال عنها» (عنها في وجاء ذلك المعنى بألفاظ أخرى من قبيل: «فكبّر الناس وضجّوا» (٥) «فضج الناس» (٢)، وفي لسان آخر الناس عشر كلّهم، ثم لغط القوم، وتكلموا، فلم أفهم قوله بعد كلّهم» (٧)، ومما

⁽١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ج١٥ ص٢١٢ - ٢٢٢٠.

⁽٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: ج١٣ ص ١٨١؛ انظر: سنن أبي داود، السجستاني: ج٤ ص ٨٦ ح ٢٨٠.

⁽٣) صحيح مسلم: ج٣ ص ١٤٥٣.

⁽٤) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٢ ص٢٠٣.

⁽٥) سنن أبي داود، السجستاني: ج٤ ص٨٦ ح ٤٢٨٠ مسند أحمد: ج٥ ص٩٨ ؛ تاريخ بغداد: ج٢ ص١٢٤ ج١ ص١٤ على المنطقة بغداد: ج٢

⁽٦) مسند أبي عوانة: ج٤ ص٣٦٩.

⁽٧) مسند أحمد: ج٥ ص٩٩؛ المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦.

يؤكد كون الرواية لم تنقل كاملة - بل سقطت منها الكلمة التي هي على خلاف أهداف وأهواء القوم - ما أخرجه القندوزي الحنفي عن جابر بن سمرة قال: «كنت مع أبي عند النبي على فسمعته يقول: (بعدي اثنا عشر خليفة) ثم أخفى صوته، فقلت لأبي ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: (كلهم من بني هاشم» وعن سماك بن حرب مثله (۱)، ومن ذلك يتضح أن كلمة «كلهم من بني هاشم» كانت موجودة في الحديث، ولعل الرسول كله قال: «كلهم من قريش من بني هاشم»، وهذا ما استشعره بعض علماء السنة كابن الجوزي، حيث قال في «كشف المشكل»: «قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث، وتطلبت مظانه، وسألت عنه، فلم أقع على المقصود به؛ لأن ألفاظه مختلفة، ولا أشك أن التخليط فيها من الرواة (۱)، ويدعم هذا القول ما ذهب إليه ابن العربي، بعد عجزه عن تفسير حديث الاثني عشر، تفسيراً واقعيا، قال: «ولعله بعض حديث (۱)، مما يؤكد سقوط كلمة «كلهم من بني هاشم» من الحديث.

٧- الاثنا عشر خليفة أمان لأهل الأرض، إذا ذهبوا ماجت الأرض بأهلها، وإذا مضوا لا يبقى الدين قائماً، ويفقد المسلمون منعتهم وصلاحهم، وهذه المعاني التي جاءت في حديث الاثني عشر تلتقي وتتلائم تمام الملائمة مع الروايات التي نقلها الفريقان بحق أهل البيت عن رسول الله علي كقوله: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب

⁽١) ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص٣١٥ ح٩٠٨.

⁽٢) نقلاً عن فتح الباري: ج١٣ ص١٨٣.

⁽٣) شرح صحيح الترمذي: ج٩ ص٨٠.

أهل الأرض»^(۱).

٨- قد افترضت نصوص الاثني عشر أن أولئك الخلفاء «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق»، كما فهم هذا المعنى أيضا ابن كثير في تفسيره عندما قال: «ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق، ويعدل فيهم» (٢)، ولا يجد المتتبع تفسيراً واحداً من التفاسير لهذا الحديث، يجمع فيه اثني عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، خصوصاً مع ما ذكرناه من وجوب كون أولئك الخلفاء سلسلة متكاملة، ومتناسقة ومتوالية زماناً، وهذا ما يثبت لنا عدم مصداقية أي تطبيق واقعي للحديث، سوى أهل البيت المنظم، الذين جعلهم رسول الله الله الكريم لا يفترقان حتى يردا وأمر بالتمسك بهديهم، وجعلهم عدلاً للقرآن الكريم لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض.

9- من الخصائص المهمة التي تضمنتها أحاديث الاثني عشر قيموميّة أولئك الخلفاء على الدين والأمة «اثنا عشر قيماً»، ولاشك أن القيموميّة تستدعي الرقابة والوصاية على الدين، وعلى الأمّة الإسلامية، وهذا المعنى لم يُدّع لأحد، ولا ادّعاه غير أهل البيت الميّليّ، وهذا هو مقتضى كونهم عدلاً للقرآن الكريم، وأيضاً مقتضى قول رسول الله عَيْنَا (في كل خلوف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا من

⁽١) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٤٢٦؛ ذخائر العقبى، الطبري: ص١٧؛ انظر: المستدرك: الحاكم: ج٢ ص٤٤٨؛ قال فيه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ تاريخ مدينة دمشق: ج٠٤ ص ٢٠؛ النزاع والتخاصم: المقريزي: ص١٣٢؛ وغيرها.

⁽٢) تفسير ابن كثير: ج٢ ص٣٤.

ر۱) توف*دو*ن» .

1- إن الصخب، واللغط، والضجة المفتعلة، وقيام القوم وقعودهم، وتصميتهم لجابر والحاضرين يثير الإنتباه، ويستدعي الريب، ويكشف أن في الأمر شيئاً، لا يريد القوم وصوله إلى مسامع الحاضرين، ولم تكن هذه الحادثة فريدة نوعها، بل فعل ذلك القوم أيضا عندما ضجّوا، وتنازعوا عند رسول الله علي حينما قال: «ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً»، فوقعت حينها الضجّة المفتعلة، حتى قال بعضهم: إن النبي ليهجر، وليس ذلك إلا للحرص على الخلافة، وطمعاً بالملك والسلطان والإمارة. وهو الذي قد أخبر عنه رسول الله علي عند مخاطبته لأصحابه بقوله: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة» (٢).

11 - حديث ابن مسعود المتقدم، يكشف عن أن الصحابة هم الذين سألوا رسول الله عَمَالُهُ عن الخلفاء من بعده وهذا يلفت النظر إلى نقطتين:

الأولى: أنه ليس من المنطقي أن يسأل الصحابة رسول الله عن الأمراء الذين يتسلّطون على رقاب الناس بالقهر والغلبة، وهو ذلك الرسول العظيم الذي ختم الرسالات فلا نبي بعده.

إذن لابد أن يكون السؤال عن الخلفاء الذين نصبهم رسول الله عَيْنَا من بعده، وهم أهل بيته التهالي بنص حديث الغدير وحديث الثقلين وغيرهما،

⁽١) الصواعق المحرقة: ٢٣١.

⁽٢) صحيح البخاري: ج٤ ص٣٥٥ ح٧١٤٨؛ صحيح ابن حبان: ج١٠ ص٣٣٤؛ وغيرهما من المصادر الكثيرة.

وهذا ديدن وطريقة اعتادها الصحابة آنذلك، فقد سألوا أبا بكر وعمر عن الذي يلى الأمر من بعدهما.

الثانية: أن النبي عَلَيْ أراد من الإمرة والخلافة من يكون مؤهلاً ومستحقاً لها، فلا معنى لحمل الحديث على أمثال معاوية ويزيد ومروان والوليد وأمثالهم، الذين عاثوا في الأرض فساداً، ولعبوا بمقدرات الأمة الإسلامية بما شاءوا ورغبوا، فالمراد من الخليفة هو من يستمد سلطته من الشارع الأقدس، ومن أجل ذلك ذكر شارح سنن أبي داود في شرحه (عون المعبود) أن: «السبيل في هذا الحديث، وما يتعقبه في هذا المعنى أن يحمل على المقسطين منهم، فإنهم هم المستحقون لاسم الخليفة على الحقيقة» (1).

الخلفاء من المحدة الموداع بذكر الخلفاء من بعده، وأنهم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش ومن بني هاشم، وكلهم يعمل بالهدى ودين الحق، لم يكتف بذلك ـ ولعله لما حصل من الضجة واللغط المفتعل ـ بل قام خطيباً، بعد رجوعه من حجة الوداع في طريقه إلى المدينة في غدير خم، ونصب علياً خليفة من بعده، فعين أول خليفة من الخلفاء الاثني عشر، وبادر بعد ذلك قائلاً: «إني تارك فيكم الخليفتين من الخلفاء الاثني عشر، وبادر بعد ذلك قائلاً: «إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» (۱۳) حينها عرف الناس من هم الخلفاء بعد رسول الله على فأتم بذلك الحجة حينها عرف الناس من هم الخلفاء بعد رسول الله على فأتم بذلك الحجة

⁽١) عون المعبود: ج١١ ص٢٤٥.

⁽۲) المصنف، أبي شيبة الكوفي: ج٦ ص٣٠٩، كتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم: ص٣٣٧ ح ٧٥٤ ص ٢٥٩ ص ٢٥٩ ح ٢٥٧ ح ٢٥٤ ص ٢٥٩ ص ٢٥٩ ح ٢٥٤ ص ١٥٥ ح ٢٩٢١ و ٤٩٢١ ص ١٥٣ ح ٢٩٢١ محمع الزوائد: ج١ ص ١٧٠ قال الهيثمي: (رواه الطبراني ورجاله ثقات)، وكذا في ج٩ ص ١٠٢٠ وقال في ص ١٦٣ «رواه أحمد وإسناده جيد»؛ الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص ٢٠٠ ح ٢٣٣٠؛ الدر المنثور: ج٢ ص ٢٨٥.

على الخلق، لكي يسدّ بذلك منافذ الريب والتشكيك، ولئلا يقول أحد: إني لم أسمع، أو خفي علي، أو صمّنيها أو صمّتنيها الناس!!.

١٣ - ما ورد من الأحاديث المتضافرة التي نصّت على إمامة أهل البيت الله والتي تناولت الأئمة الاثني عشر بذكر أسمائهم على نحو التفصيل، وهي كثيرة جدًا نكتفي بذكر بعضها:

۱- ما جاء في فرائد السمطين للحمويني المصري (۱): «عن مجاهد عن ابن عباس قال: قدم يهودي على رسول الله على الله يقال له: نعثل، فقال: يا محمد إني أسألك عن أشياء – إلى أن قال –: فأخبرني عن وصيك من هو؟، فما من نبي إلا وله وصي، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال: نعم، إن وصيي والخليفة من بعدي على بن أبي طالب المناه وبعده سبطاي: الحسن شم الحسين، يتلوه تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، قال: يا محمد فسمهم لي؟

قال: نعم، إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، ثم ابنه علي، ثم ابنه الحسن، ثم الحجة ابن الحسن أثمة عدد نقباء بني اسرائيل، فهذه اثنا عشر» (٢).

٢- ونقل الحمويني أيضاً في فرائده: عن رسول الله عَمَا الله عَلَيْ قال: «أيها الناس

⁽١) أطرى عليه الذهبي ت/ ٧٤٨ هـ في تذكرة الحفاظ قال: الإمام المحدث الأوحد الأكمل فخر الإسلام صدر الدين، إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الخراساني الجويني شيخ الصوفية.. كان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الاجزاء، حسن القراءة مليح الشكل مهيباً ديناً صالحاً. مات سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة. تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج٤ ص١٥٠٦.

⁽٢) فرائد السمطين، الحمويني: ج٢ ص١٣٣ ص١٣٤ ح ٤٣١ و بنفس الألفاظ ما جاء في ينابيع المودة للقندوزي، ج٣ ص٢٨٢.

إن الله عز وجل أمرني أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيي وخليفتي... ولكن أوصيائي منهم: أولهم أخي، ووزيري، ووارثي، وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي، هو أولهم ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم التسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد حتى يردوا علي الحوض... (١) – وهكذا ينقل الحمويني ذلك في مواطن عديدة، وروايات عديدة وبطرق مختلفة فراجع.

٣- الحافظ أبو محمد بن أبي الفوارس في كتابه (الأربعين) (١).

كذلك أخرج ذكر الخلفاء من أهل بيت النبي عَيْلَا بأسمائهم.

٤- العلامة أبو مؤيد موفق بن أحمد المتوفى (سنة ٥٦٨) في كتابه (مقتل الحسين): ذكر الخلفاء أيضاً بأسمائهم المتقدمة (٣).

٥- العلامة فاضل الدين محمد بن محمد بن إسحاق الحمويني الخراساني في (منهاج الفاضلين)⁽³⁾.

٦-كذلك الحمويني في (درر السمطين)(٥).

٧- العلامة الشيخ إبراهيم بن سليمان في كتاب (المحجـة علـي مـا فـي

⁽١) فرائد السمطين، الحمويني، السمط الأول: ج١ ص٣١٥ ـ ٣١٨ ح ٢٥٠.

⁽٢) شرح احقاق الحق للسيد المرعشي: ج١٣ ص٥٩؛ نقلاً عن كتاب الأربعين، ابن أبي الفوارس: ص٣٨.

⁽٣) مقتل الحسين، الخوارزمي: ص١٤٦-١٤٧.

⁽٤) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج١٣ ص ١٦؛ نقلاً عن كتاب منهاج الفاضلين، الحمويني: ص ٢٣٩.

⁽٥) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي النجفي: ج٤ ص٩٣- ٩٤؛ نقلاً عن كتاب درر السمطين، الحمويني: ص٧٢٢.

ينابيع المودة) (١) أيضا ذكرهم بأسمائهم عن رسول الله عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ

٨- العلامة المولى محمد صالح الكشفي الحنفي الترمذي، في
 كتابه (المناقب الرضوية)(٢).

إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة التي تؤكد هذا المعنى.

وعلى ضوء ما سلف، يتحصل أن العترة الطاهرة يمثلون امتـداداً طبيعيـاً لحركة الرسول الأكرم عَلَيْكُ في جميع أبعاد الحياة، وقد فرضوا شخصيتهم رغم أنف الأعداء، وقد أجمعت الأمة على أعلميتهم وأهليتهم للخلافة، وأنهم الأسوة الحسنة، ويعد ذلك من أفضل الأدلة لإثبات أحقيتهم، وأهليتهم للإمامة والقيادة، وعصمتهم، لأنهم المتلا جسدوا النظرية الإسلامية على الواقع العملي، فعندما نرصد حياة الأئمة المنكار، وكيف كانوا إسلاماً متحركاً على الأرض، وقرآناً ناطقاً يعيش بين الناس، نستنتج مباشرة أن هذا المستوى الرفيع من الأسوة والقدوة لا يمكن أن تعكسه إلاّ شخصيات معصومة، استجمعت فيها الصفات التي تؤهلها لأن تكون منبع الهداية للبشرية، لذا أجمعت الأمة على أن هؤلاء العترة لهم من الخصائص والمميزات ما لم تكن لغيرهم، رغم ما عانوه من ظلم واضطهاد، فهم الذين تنطبق عليهم خصوصيات الاثني عشر، التي بينها النبي الله الله المنافية المنافية عشر المتقدمة، ولكن أصحاب المطامع آلوا على أنفسهم إلا أن يُقصوا وينحّوا أهل البيت العِلامُ عن مناصبهم ومراتبهم التي رتبهم الله فيها، ولم يكتفوا بذلك بل تمادوا في تعريض أهل

⁽١) المحجة على ما في ينابيع المودة، الشيخ هاشم بن سليمان: ص٤٢٧.

⁽٢) المناقب المرتضوية، محمد صالح الترمذي: ص١٢٧.

البيت النظم والاضطهاد، والمعاملة السيئة الفظة الغليظة، التي يندى لها الجبين، وتعتصر منها القلوب ألماً ومرارة، ولم يكن لهم ذنب سوى أنهم كانوا الامتداد الإلهي لخط الرسالة، وكانوا أمناءها، والرقباء عليها، فهم الثقل الموازي للقرآن الكريم.

إذن، ينبغي علينا كمسلمين أن نستنير بنور هؤلاء الهداة الميامين، ونكون بذلك ممتثلين لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ

ومما تقدم اتضحت الإجابة بخصوص ما قد يقال: من أن وصف عزة الإسلام بأولئك الخلفاء الاثني عشر لا ينطبق على أئمة الشيعة، حيث الموقع السامي والريادي والمكانة العظيمة التي يمتلكها أهل البيت للهيك في نفوس الأمة الإسلامية، وهو ما أكده علماء السنة في أغلب كتبهم، وبالإضافة إلى ذلك نقول:

إنّ عزة الإسلام وصلاحه وبقائه إلى قيام الساعة، من المهام، والوظائف الأساسية، التي أناط رسول الله على الله مسؤوليتها، وتحقيقها بأهل البيت التيليم عدل كما يكشف عن ذلك حديث الثقلين وحديث الغدير، وأنهم عدل القرآن، وأنّ النجاة والأمان والعزّة عند الله لا تنال إلا بالاعتصام والتمسك بهم، ومن يتبعهم يكون عزيزاً بعزّة الله، مرضياً عنده تعالى.

⁽١) المستدرك، الحاكم: ج٣ ص١٤٩.

وبنفس المضمون ما ورد في عدة كثيرة من المصادر عن عمر: أن النبي عَلَيْهُ قال: «في كل خلوف من أمتي عدول أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا من توفدون» (١).

وعن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول عَلَيْلُهُ: «من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلماً، ويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي» (٢).

وعن عمار بن ياسر، قال رسول الله عَلَيْقَالَهُ: «أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، من تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله عن وجل، ومن أحبه فقد أحب الله تعالى، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل». قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني بإسنادين أحسب فيهما جماعة ضعفاء، وقد وثقوا» (٣).

وقد أخرجها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بطرق كثيرة (٤).

وعن وهب بن حمزة قال: «صحبت علياً إلى مكة فرأيت منه بعض ما أكره، فقلت لأن رجعت لأشكونّك إلى رسول الله عَلَيْالله فقلت لأن رجعت لأشكونّك إلى رسول الله عَلَيْالله الله عَلَيْهُ الله عَلَيْ الله عَلَيْكُ الله عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ الله عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلْ

⁽١) ذخائر العقبي، محي الدين الطبري: ص١٧؛ الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي: ص٣٥٢؛ رشفة الصادي، أبو بكر الحضرمي: ص١١٤ ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص١١٤.

⁽٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٢ ص ٢٤٠؛ حلية الأولياء، الحافظ أبي نعيم الأصفهاني: ج١ ص ٨٦.

⁽٣) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩ ص١٠٨، ١٠٩.

⁽٤) تاريخ مدينة دمشق: ج٤٦ ص٢٣٩ وما بعدها.

فقلت: رأيت من علي كذا وكذا، فقال: لا تقل هذا فهو أولى الناس بكم بعدي» (١).

وعن زيد بن أرقم قال: قال النبي عَلَيْكَ اللهُ اللهُ اللهُ النبي عَلَيْكُ اللهُ اللهُ اللهُ الله التي وعدني ربي، فإن ربي عز وجل غرس قصباتها بيده، فليتول علي بن أبي طالب، فإنه لن يخرجكم من هديي ولن يدخلكم في ضلالة "(۱)، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ".

إلى غير ذلك من المصادر الكثيرة، والروايات المتواترة معنى ومضموناً، مع صحتها وصراحتها، وأدنى ما نجيب عمّن أراد التشكيك بها: أنها تفيد القطع واليقين؛ لتعدد ألفظها، وكثرة طرقها، والمصادر التي نقلتها، فهي أحاديث نبوية يقوي بعضها بعضاً لإثبات مضمونها بالقطع واليقين، وهو وجوب التمسك بولاية أهل البيت المهيم وإتباع هديهم.

إذن بأهل البيت المتلاق وباتباعهم تتحقق عزة الإسلام والحفاظ على وجوده الحقيقي وقيمه ومبادئه الأصيلة، من التقوى والإخلاص والاستقامة والصلاح وغيرها من المعارف الروحية والقيم الأخلاقية، وليست عزة الإسلام بالتظاهر بالإسلام، واتخاذه شعاراً للتسلط على رقاب الناس بالقهر والغلبة، ومن هنا نجد أن الحكم الإسلامي على يد الظلمة تحول إلى ما كان عليه قبل الإسلام من كونه ملكاً عضوضاً لا يحمل من قيم الإسلام شيئاً.

⁽١) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢٢ ص ١٣٥؛ مجمع الزوائد: ج٩ ص ١٠٩؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج٤ ص ٤٠٠.

⁽٢) المعجم الكبير، الطبراني: ج٥ ص١٩٤.

⁽٣) المستدرك، الحاكم: ج٣ ص١٣٠.

إذن عزة الإسلام لا تتحقق إلا في حفظ الإسلام الحقيقي، الذي لا يتحقق إلا باتباع أهل البيت التلا.

الأمة لم تجتمع على أهل البيت الملكال

وأما عبارة «كلهم تجتمع عليه الأمة»، وأن أهل البيت الله ما أجتمعت عليهم الأمة. فجوابها:

1- إن رواية الاثني عشر خليفة المتضمنة لعبارة «كلهم تجتمع عليه الأمة» لم ترد في الكتب الحديثية، والمصادر السنية، إلا في سنن أبي داود ومسند البزار، ولم يخرجاها إلا بسند واحد ضعيف، كما ذكر ذلك الألباني، في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حيث قال: «وأخرجه أبو داود (٢٠٧/٢) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن أبيه، عن جابر بلفظ: لا يزال هذا الدين قائماً، حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليه الأمة، كلهم من قريش، وأخرجه البزار «١٥٨٤ - كشف» عن أبي جحيفة نحوه، وهذا سند ضعيف، رجاله كلهم ثقات، غير أبي خالد هذا، وهو الأحمسي...، وقد تفرد بهذه الجملة «كلهم تجتمع عليه الأمة»، فهي منكرة» (أ) والتضعيف ذاته ذكره أيضاً في تعليقته على سنن أبي داود، حيث قال بعد أن أورد الحديث: «صحيح: دون قوله (تجتمع عليه الأمة)» (٢).

٢ - من الشواهد التي تؤكد عدم صحة صدور هذه العبارة من النبي عَلَيْكُ الله عدم انطباقها على الواقع أصلاً، حيث لم نجد شخصاً اجتمعت عليه

⁽١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: مج١، ق٢، ص٧٢٠ ح٣٧٦.

⁽٢) صحيح سنن أبي داود الألباني: ج٣ ص١٩ ح٢٧٩.

الأمة بعد رسول الله عليه أغلب البعض ممن ادعي كونه من الخلفاء الاثني عشر، لم يجتمع عليه أغلب الأمة، فضلاً عن جميعها.

ولذا قال ابن كثير في البداية والنهاية: «فإن قال: أنا لا اعتبر إلا من اجتمعت الأمة عليه، لزمه على هذا القول أن لا يعد علي بن أبي طالب الله ولا ابنه؛ لأن الناس لم يجتمعوا عليهما؛ وذلك أن أهل الشام بكمالهم لم يبايعوهما...، ولم يقيد بأيام مروان، ولا ابن الزبير كأن الأمّة لم تجتمع على واحد منهما» (١). وهذا ما اعترف به ابن حجر العسقلاني أيضا في فتح الباري (٢).

٣- إن أكثر من أدعي اجتماع الأمة عليه، كيزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، والوليد، ومروان الحمار، وغيرهم لم يكن متوفراً على خصائص الخلفاء الاثني عشر، من كونهم يعملون بالهدى ودين الحق، وأنهم قيمون على الدين، والدين قائم بهم، وغير ذلك من الصفات السامية، التي تقدم ذكر بعضها.

الخلاصة

1- إن حديث الاثني عشر حقيقة صادرة عن رسول الله عَيَالله وقد تواترت الروايات من الفريقين بنقلها بألسن مختلفة ، كلها تشير إلى مضمون واحد، ومن هذه الروايات قوله عَيَالله «لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً» (").

⁽١) البداية والنهاية، ابن كثير: ج٦ ص ٢٨٠.

⁽٢) فتح الباري: ج١٣ ص١٨٢.

⁽٣) مسند أحمد: ج٥ ص ٩٧ ص ١٠٧؛ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص ٦١٨؛ انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٥ ص ١٩٠ وقد صححه.

Y- إن أهل السنة لم يتمكنوا أن يقدموا تفسيراً واقعياً لحقيقة الاثني عشر خليفة، وإن تفسيراتهم المضطربة والمتناقضة فيما بينها خير شاهد على عجزهم عن فهمها وتفسيرها، على الرغم مما ارتكبوه من تكلف ظاهر على حد تعبير بعضهم، لا سيما وأن البعض (۱) قد أو كل تفسير حديث الاثني عشر إلى الله تعالى بعد أن عجز عن تفسيره تفسيراً صحيحاً.

٣- إنّ الخصائص والمميزات التي تحملها أحاديث الاثني عشر، لا تنطبق في الواقع الخارجي إلاّ على أهل البيت الميكيّ، فمثل صفة «صلاح أمر الأمة والناس بهم» و «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق» و«إذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها» ونحوها لا تنسجم ولا تنطبق إلاّ على عترة أهل البيت الميكيّ، فضلاً عما يحمله أهل البيت الميكيّ من خصائص ومميزات استثنائية، وما يحملونه من مؤهلات علمية وعملية بإجماع أهل العلم، وعلى جميع المستويات الفكرية والروحية ونحوها، كل هذا يؤكد ويدعم كون حديث الاثني عشر لا يمكن انطباقه إلاّ على أهل البيت الميكيّ.

⁽١) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٢ ص٢٠٣.



غيبتالإمامالهدي

الشبهة:

١- ما الفائدة من وجود إمام غائب ؟

٢- إن الحجة عند الشيعة لا تقوم إلا بإمام، فكيف يترك الإمامة
 ويغيب ؟

الجواب:

قبل البدء ينبغى ذكر تمهيد مختصر له مدخلية في الإجابة.

تمهيد:

إنّ الشريعة التي جاء بها الدين الإسلامي ما هي - في مجملها، وحقيقتها، وبكل جوانبها- إلاّ خطّة إلهيّة أُعدّت بإحكام، ووضعت من أجل ترشيد المجتمع البشري نحو الأصلح والأقوم، وبلوغ السعادة في الدارين.

وقد وعد الله تعالى البشرية - التي عانت طوال حياتها من الظلم، والجور - أن يسودها العدل والأمان في الأرض.

قال تعالى: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴿ اللَّهِ الدِّينِ كُلِّهِ ﴿ الْ

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُ مَ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٢).

إلاَّ أنَّ تحقق هذا الهدف على أرض الواقع يتوقف على توفّر شرائطه،

⁽١) التوبة: ٣٣.

⁽٢) القصص: ٥.

التي شاء الله عز وجل بحكمته أن تكون من طرقها الطبيعية، وضمن ما هو المألوف، لا بشكل إعجازي وخارق لما هو المعتاد.

وحيث إنّ الله تعالى ـ لحكمته ولطفه بعباده ـ قد نصّب أولياء هداة معصومين، يمثلون امتداداً طبيعياً للرسالة المحمّديّة، فهم أمناء الوحي والرسالة، وحجّة الله على العباد، وهم الأئمة الاثنا عشر المنك بعد رسول الله عَلَيْلِيَّهُ، أولهم الإمام عليّ بن أبي طالب السِّلا، وآخرهم الإمام المهدي المناه وقد ثبت ذلك مسبقاً، بمقتضى عدد وافر من الآيات القرآنية، كآية الولاية، وآية أولي الأمر، وآية التطهير، وآيات البلاغ في الغدير، وآية المودة في القربي (١) وغيرها، مضافاً إلى عدد كبير جداً من الأحاديث النبوية التي رواها أصحاب الصحاح من أهل السنة، كحديث الثقلين المتواتر الذي مفاده أنّ أهل البيت المتلك لن يفترقوا عن القرآن حتى يردوا على رسول الله عَيْنَالله الحوض (٢)، فكما أنّ القرآن باق إلى يوم القيامة كذلك أهل البيت المُنْك، وكحديث الخلفاء الاثني عشر أدكلهم من قريش»(٣)، وحديث السفينة (٤)، وأهل بيتي المنا أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض(٥) وأتاهم ما يوعدون، وغير ذلك من الأحاديث الدالة على بقاء الإمامة الإلهية، واستمرارها في الأرض.

⁽١) الآيات: المائدة: ٥٥، النساء: ٥٩، الأحزاب: ٣٣، المائدة: ٦٧.

⁽٢) السنن الكبرى، النسائي: ج٥ ص٤٥ ص ١٣٠؛ خصائص أمير المؤمنين: النسائي: ص٩٣؛ المعجم الصغير، الطبراني: ج١ ص ١٣١ ص ١٣٥.

 $M-\Lambda V$ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج0 ص ΛV

⁽٤) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٩ ص١٦٨، المعجم الأوسط، الطبراني: ج٦ ص٨٥

⁽٥) شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٤٢٦، ذخائر العقبي، الطبري: ص١٧.

وقد قال رسول الله على الخلق خلفائي، وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي، الاثنا عشر، أوّلهم عليّ، وآخرهم ولدي المهدي»(١).

وشاءت الإرادة الإلهية أن يكون الإمام الثاني عشر من أثمة أهل البيت البيت

إلاَّ أنَّ النقطة الجديرة بالذكر هي أنَّ تحقق هذا الهدف، وهو إقامة

⁽١) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج ٣ ص ٢٩٥.

⁽٢) الحديد: ٢٥.

⁽٣) سنن أبي داود، السجستاني: ج٤ ص٧١٧ ح٧٢٦؟ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٣ ص٢٨ ص٣٦ ص ٣٠ ص٣٠ ص٣٠ ص٣٠ ص٣٠ ص٣٠ ص٣٠ وانظر مجمع الزوائد: الهيثمي: ج٧ ص ٣١٤، وقال فيه: «رواه الترمذي وغيره باختصار، رواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار، ورجالهما ثقات»؛ وانظر: المصنف: الصنعاني: ج١١ ص٣٧٣ - ٣٧٣.

العدل والقسط في الأرض، يتوقف على توفر شرائطه التي أراد الله تعالى بحكمته أن تكون من الطريق الطبيعي لا الإعجازي، وهذا ما جرت عليه السنن الإلهية في هذا العالم، فقد قال تبارك وتعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللّهُ الْجَبِثَ مِنَ الطّيّبِ ﴾ (١) وقال تعالى أيضاً: ﴿لَيَهُلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيّنَة وَيَحْتَى مَنْ حَيَّ عَن بَيّنة وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلِيبَتلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيمَحَّصَ مَا فِي اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴾ (قال: ﴿وَتلْكَ الاَيّامُ لُدَاوِلُهَا بَيْنَ النّاسِ وَلِيعُلَمَ اللهُ قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴾ (١) وقال: ﴿وَتلْكَ الاَيّامُ لُدَاوِلُهَا بَيْنَ النّاسِ وَلِيعُلَمَ اللهُ قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴾ (١) وقال: ﴿وَتلْكَ الأَيّامُ لُدَاوِلُهَا بَيْنَ النّاسِ وَلِيعُلَمَ اللهُ اللّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مَنكُمْ شَهُدَاء وَاللهُ لاَ يُحبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَيْمَحَصَ اللهُ اللّذِينَ جَاهَدُواْ مَنكُمْ وَيَعْلَمَ اللهُ اللّذِينَ جَاهَدُواْ مَنكُمْ وَيَعْلَمَ اللهُ اللّذِينَ جَاهَدُواْ مَنكُمْ وَيعُلَمَ اللهُ اللّذِينَ جَاهَدُواْ مَنكُمْ وَيعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) وغير ذلك من الآيات المباركة، التي تكشف عن أن التخطيط في الطروف الخاصّة والاستثنائية، التي تقتضي فيها الحكمة الإلهية إنجاز في الفدف والوصول إليه عن طريق الإعجاز وخرق المعتاد، وذلك كإثبات أصل نبوة الأنبياء مثلاً.

وإقامة العدل على هذه الأرض جاء ضمن ذلك الإطار، فلكي يتحقق على أرض الواقع ويحين أجله، لابد من اكتمال جميع شرائطه، وعلى ضوء ذلك كانت غيبة إمامنا المهدي على جزءاً من هذا التخطيط والحكمة الإلهية، من أجل أن تكتمل باقي الشرائط لظهور الحق وإقامة العدل، تلك الشرائط التي يتحقق معظمها في أحضان الغيبة، وهذا ما أخبر به رسول

⁽١) الأنفال: ٣٧.

⁽٢) الأنفال: ٤٢.

⁽٣) آل عمران: ١٥٤.

⁽٤) آل عمران: ١٤٠ – ١٤٢.

الله عَلَيْلاً في روايات عديدة من كتب الفريقين:

منها: ما أخرجه الأربلي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: ١ انزل الله على نبيّه عَيْنِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْر منكم قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولى الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك، فقال عَلِيها: «هم خلفائي من بعدي يا جابر، وأئمة الهدى بعدي، أوّلهم على بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم على بن الحسين، ثم محمد بن على المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيت فاقرأه عنّي السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم على بن موسى، ثـم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميّي وكنيّي، وحجّـة الله في أرضه، وبقيّته في عباده محمد بن الحسن بن عليّ، ذلك الذي يفتح الله عــز وجل على يده مشارق الأرض ومغاربها، وذلك الذي يغيب عن شيعته، وأوليائه، غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان»، فقال جابر: فقلت: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال عَلِيْلَا: «أي والذي بعثنى بالحق، إنهم ليستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله، ومخزون علم الله، فاكتمه إلا عن أهله» (٢).

وعن علي بن علي الهلالي، عن أبيه قال: دخلت على رسول الله مَنْ اللهُ مَنْ اللهُ عنها عند رأسه. قال: فبكت في شكاته التي قبض فيها فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه. قال: فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله مَنْ اللهُ عَلَيْهَا فقال: حبيبتي فاطمة،

⁽١) النساء: ٥٩.

⁽٢) ينابيع المودّة، القندوزي: ج٣ ص٣٩٩.

ما الذي يبكيك فقالت: أخشى الضيعة بعدك، فقال: يا حبيبتي، أما علمت أن الله - عز وجل - اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها بعلك، وأوحى إلى أن أنكحك إياه يا فاطمة، ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم تعط لأحد قبلنا ولا تعطى أحداً بعدنا. أنا خاتم النبيين، وأكرم النبيين على الله، وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل وأنا أبوك، ووصيى خير الأوصياء، وأحبهم إلى الله، وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء، وأحبهم إلى الله، وهـو عمك حمزة بن عبد المطلب، وعم بعلك، ومنا من له جناحان أخضران يطير مع الملائكة في الجنة حيث شاء، وهو ابن عم أبيك، وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة، وهما ابناك الحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما - والذي بعثني بالحق - خير منهما. يا فاطمة - والذي بعثني بالحق - إن منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت الـدنيا هرجـاً ومرجـاً وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عزّوجلٌ عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة، وقلوباً غلفاً يقوم بالدين آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي، فإن الله عزّوجل أرحم بك وأرأف عليك مني، وذلك لمكانك من قلبي، وزوجك الله زوجاً، وهو أشرف أهل بيتك حسباً وأكرمهم منصباً، وأرحمهم بالرعية، وأعدلهم بالسوية، وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربى عزّ وجلّ أن تكوني أول من يلحقني من أهـل بيتي، قـال علـي رضـي الله عنه: فلما قبض النبي مَ إِلَه الله عنه الله عنها بعده إلا خمسة

وسبعين يوماً حتى ألحقها الله عز وجل به طَالِين . رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه: الهيثم بن حبيب، قال أبو حاتم: منكر الحديث وهو متهم بهذا الحديث (١).

أقول: ولم يجدوا في الهيثم بن حبيب مطعناً سوى روايته لهذا الحديث في فضائل أهل البيت المبلك وله نظائر كثيرة!!.

وعن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله عَنْ الفاطمة نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي.

رواه الطبراني في الصغير وفيه قيس بن الربيع وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله ثقات (٢).

⁽١) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩ ص١٦٥ – ١٦٦.

⁽٢) المصدر نفسه: ج٩ ص ١٦٦٠.

⁽٣) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٣٨٦.

وهذا ما أقرّ به الألباني أيضاً في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حيث قال: «فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً، وعلمائهم – إلاّ القليل منهم – اتخذهم الناس رؤوساً!، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد، الله أعلم به» (١).

هويةالغيبة

إنّ غيبة الإمام عنى تعني خفاء عنوانه غالباً، وليس اختفاء شخصه عن الأنظار، وإن كان خفاء المعنون قد يتحقق أيضاً في بعض الأحيان كما أشارت إلى ذلك بعض الروايات على ما سيأتي لاحقاً، ولكي يتضح هذا المعنى يتعين التذكير بأن الإمامة لطف من الله تعالى، ولولا خليفة الله في الأرض لساخت بأهلها.

دوام الإمامة واستمرارها لطف إلهي

لا شك أن النبوة وبعثة الأنبياء من أعظم الألطاف الإلهية في حق البشرية، وذلك من أجل إيصالها إلى كمالها اللائق بها، وإلى مصالحها والأهداف التي خُلقت من أجلها، والتي لا يمكن لعقول البشر القاصرة أن تدركها أو تقف على كنهها، فالنبوة جاءت في ضمن سياق هداية الله عز وجل للبشر وتوجيههم الوجهة التي خلقوا من أجلها.

ومن أعظم تلك الألطاف الإلهية بعثة نبيّنا محمّد على المراسالة

⁽١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: ج٤ ص٤٢.

الخاتمة والدين الإسلامي، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

ومما لا ينبغي الشك فيه أيضاً أن الإمامة، وقيادة الأمّة - في الجوانب الفكرية والدينية والسياسية - بعد رسول الله على الستمرار لذلك اللطف الإلهي، وإتمام لتلك النعمة، وذلك من أجل الإبقاء والحفاظ على روح الإسلام ومعالمه، وضمان استمرارها ورشدها ونموها إلى قيام الساعة.

فاستمرار وجود الإمام في كل زمان لطف من الله تعالى من أجل حفظ الدين وصلاحه ورفعته وعزته، وكذلك لأجل الحفاظ على كرامة الأمة الإسلامية، والإبقاء على هويتها وكيانها، فهو أمان للأمّة من الهلاك والضلال والغواية، بل هو أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب ذهب أهل الأرض، ولولاه لساخت الأرض وماجت بأهلها، وقد أكّد رسول الله من المك الحقيقة الخطيرة والمحورية في حياة الأمة عندما قال: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض» ، وقد أمرنا بالتمسك بهم في حديث الثقلين، وأنبأ عن عدم افتراقهم عن القرآن الكريم، حتى يردا عليه الحوض، ثم قال من المن الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» .

⁽۱) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج۱ ص٤٢٦؛ ذخائر العقبي، محب الدين الطبري: ص١٧؛ وانظر المستدرك، الحاكم: ج٣ ص٤٥٧ ج٢ ٤٨٨، حيث قال في ذيل الحديث: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

⁽٢) صحيح مسلم، مسلم: ج٧ ص١٢٣؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٤ ص٣٦٧؛ سنن الدارمي، الدارمي: ج٢ ص ٤٤٣؛ سنن البيهقي، البيهقي: ج٢ ص ١٤٨؛ وغيرها من المصادر.

لولا الحجت لساخت الأرض بأهلها

إذن فالحجّة باقية ومستمرة بعد رسول الله عَلَيْكُ إلى يوم القيامة، ولولا تلك الحجة التي نصبها من بعده عَلَيْكُ _ بأمر من الله عز وجل _ لساخت الأرض بأهلها، وقد تواتر هذا المضمون عن رسول الله عَلَيْكُ في ألسنة مختلفة من الروايات، منها قوله عَلَيْكُ : «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يوعدون» (أ).

مضافاً إلى تأكيد أهل البيت المَهَا على هذه الحقيقة، كقول أمير المؤمنين على اللهم وإنك لا تخلي الأرض من قائم بحجة؛ إما ظاهر مشهور، أو خائف مغمور، لئلا تبطل حجج الله، وبيّناته»(٢).

وكذا ما أخرجه القندوزي الحنفي، عن الحموي المصري في كتابه «فرائد السمطين» عن الإمام جعفر الصادق المين عن جدة على بن الحسين المين المين المين العالمين، وحجج الله على العالمين، وقادة الغر

⁽۱) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٢ ص ٤٤٨، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص ٤٢٩؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٠٤ ص ٢٠؛ وانظر الجامع الصغير، السيوطي: ج٢: ص ٢٠٨، وانظر فيض القدير، المناوي: ج٦ ص ٢٣٧، وقال المناوي: الكن تعدد طرقه ربما يصيره حسناً»؛ النزاع والتخاصم، المقريزي ص ٢٣٢، مع اختلاف في اللفظ. (٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص ٢٥٥، تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢ ص ٢٠٠؛ وقريب منه في تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج١ ص ٢١، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني: ص ٥٠، كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٠ ص ٢٦، (أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف والمرهبي في العلم ونصر في الحجة)، المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسكافي: ص ١١، مناقب أمير المؤمنين: محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص ٢٥، دستور معالم الحكم: ابن سلامة: ص ٨٤، وقريب منه في ينابيع المودة: القندوزي الحنفى: ج١ ص ٥٧٥، دستور معالم الحكم: ابن سلامة: ص ٨٤، وقريب منه في ينابيع المودة: القندوزي الحنفى: ج١ ص ٥٧٥،

المحجّلين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أن النجـوم أمـان لأهـل الـسماء، وبنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يُنزّل الله الغيث، وتنشر الرحمـة، وتخرج بركات الأرض، ولولا ما على الأرض منّا لساخت بأهلها.

ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله الأرض من حجّة فيها؛ إما ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو الأرض إلى أن تقوم الساعة من حجة فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله "(١).

⁽١) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٧٥ و ج٣ ص٣٦٠-٣٦١.

⁽٢) المصدر نفسه: ج١ ص٧٦ ج٣ ص٣٦١.

⁽٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، باب الأمان ببقائهم: ص٣٥٢؛ ذخائر العقبي، محب الدين الطبري: ص١١٤ ذخائر العقبي، محب

⁽٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم: ج٢ ص٤٤٨؛ قال فيه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٤٢٦، ذخائر العقبى، الطبري: ص١٧، ونحوهُ النزاع والتخاصم، المقريزي: ص١٣٢.

في حقهم: «إذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»(١).

إذن، لا بد في كل زمان من إمام عادل، معصوم، لا يفترق عن القرآن، من أهل بيت النبي مَنْ الله الأرض، به تتحقق عزة الإسلام وصلاح الأمّة.

الغيبة لطف إلهى

أمّا في زماننا هذا، فإن الإمام المهدي هو من أهل البيت هو خليفة الله في أرضه، كما هو واضح من الروايات المستفيضة عن الرسول المستفيضة منها قوله: «فإن فيها خليفة الله المهدي» (٢)، ولذا نجد المناوي في كتابه (فيض القدير) في ذيل هذه الرواية يشير إلى أن الإمام المهدي هو الإنسان الكامل، وهو خليفة الله في أرضه، حيث قال: «فإن قلت ما حكمة إضافته إلى الله، وهلا قال الخليفة ؟ قلت: هو إشارة إلى أنه إنسان كامل قد تجلى عن الرذائل، وتحلى بالفضائل، ومحل الاجتهاد والفتوة، بحيث لم يفته إلا مقام النبوة» (٣).

إلا أن الأمر المهم الذي ينبغي الالتفات إليه، هو أنه علينا غائب مستور، إذ أن الإمام المهدي علينا يمتاز عن بقية آبائه علينا بخصوصية إضافية، وهي أن الإرادة الإلهية شاءت أن يقام العدل في هذه الأرض على يده المباركة، وشاءت أيضاً أن لا يكون قيام العدل إلا في ضمن الشروط الطبيعية، لا بالطريق الإعجازي - كما تقدم - وحيث إن شرائط الظهور

⁽١) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص ٢٤، المعجم الكبير: الطبراني: ج٢ ص١٩٦ (بألفاظ أخرى).

⁽٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج٥ ص ٢٧٧، ونحوه في المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٤ ص ٤٦٤.

⁽٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ج١ ص٤٦٦ ح١٤٨.

وإقامة العدل ـ من طرقها الطبيعية التي أرادها الله تعالى لها ـ غير متوفرة إلى يومنا الحاضر، فلا بد من استمرار الغيبة، والخفاء حتى توفر شرائط الظهور ويأذن الله عز وجل بالظهور، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى إن وجود الإمام المهدي المين ظلمًا الناس يجعله عرضة للقتل - كما سيأتي - ومن هنا كانت الغيبة للإمام، وحفظه من كيد الأعداء، لطفاً من الله تعالى بعباده، من أجل تحقيق الهدف الإلهي وثمرة الأديان بإقامة العدل والقسط في الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَـلْنَا رُسُلُنَا بِالْبِينَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

ومما تقدم يتبين أن غيبة الإمام والحجة الله الله على حالة استثنائية في حياة البشرية، وبالخصوص في حياة الأمّة الإسلامية ـ لأن الحالة الطبيعية هي وجوده بين أشياعه وأتباعه يتعاطى معهم بشكل معلن ومباشر ـ وذلك من أجل الحفاظ عليه، وادّخاره لذلك اليوم الموعود.

حقيقة الغيبة: خفاء الهوية والعنوان لاخفاء الشخصية

لا شك أن الحالات الاستثنائية يقتصر فيها على ما ترتفع به الضرورة، وحيث إن الضرورة هي احتجابه الله عن الناس، بما يوجب نجاته والمحافظة عليه من براثن الظلم والعدوان، فمقدار الغيبة حينئذ يقتصر فيه على خفاء العنوان، واستتار الهوية ليس أكثر، وإن كانت الضرورة قد تقتضي خفاء المعنون أيضاً على ما أشارت إليه بعض الروايات؛ لأن هذا المقدار من الغيبة كاف لرفع حالة الاستثناء، فهو على موجود بشخصه

⁽١) الحديد: ٢٥.

الكريم في وسط الناس، وليست غيبته باختفاء جسمه عن الأنظار، كاختفاء الجن، أو الملائكة أو غير ذلك، بل إنّ الناس يرون الإمام المهدي المناك بشخصه المبارك، ولكن من دون أن يكونوا عارفين له أو ملتفتين إلى حقيقته وشخصه وهويته، وهذا ما نصّت عليه جملة من الروايات:

منها: ما ورد عن الإمام علي السبال حيث قال: «إذا غاب المتغيب من ولدي عن عيون الناس، وماج الناس بفقده، أو بقتله، أو بموته، اطلعت الفتنة، ونزلت البليّة... فورب علي إن حجتها عليها قائمة، ماشية في طرقها، داخلة في دورها وقصورها، جوّالة في شرق هذه الأرض وغربها، تسمع الكلام، وتسلّم على الجماعة، ترى ولا تُرى، إلى الوقت والوعد، ونداء المنادي من السماء، ألا ذلك يوم فيه سرور ولد علي وشيعته وشيعته الأثناء إلى خفاء العنوان والمعنون معا كما هو واضح وإن أشارت في الأثناء إلى خفاء العنوان والمعنون معا أيضاً في بعض الأحيان.

ومنها: ما جاء عن الإمام الصادق المسلك، حيث قال: «فما تنكر هذه الأمّة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم، المجحود حقّه، صاحب الأمر يتردّد بينهم، ويمشي في أسواقهم، ويطأ فرشهم، ولا يعرفونه، حتى يأذن الله له أن يعرفهم نفسه، كما أذن ليوسف، حين قال له إخوته: ﴿أَإِنَّكُ لَانَتُ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ ﴾ (٢) (٣).

⁽١) الغيبة: محمد بن إبراهيم النعماني: ص١٤٣.

⁽۲) يوسف: ۹۰.

⁽٣) الغيبة، النعماني: ص١٦٤.

وفي رواية أخرى: «وسنّة من يوسف بالستر، يجعل الله سبحانه بينـه وبـين الخلق حجاباً يرونه، ولا يعرفونه» (٢).

ومنها: ما ورد كذلك عن أبي عبد الله المسلك: «يفقد الناس إمامهم، وإنه يشهد الموسم، فيسراهم ولا يرونه» والمسراد من عدم الرؤية عدم معرفته الموسم، فيسراهم ولا يرونه وما تقدم من الروايات.

ومنها: قول محمد بن عثمان العمري، وهو أحد سفراء ووكلاء الإمام المهدي في غيبته الصغرى: «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، يرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه»(٤).

ما الفائدة من الإمام الغائب؟

بعد الوقوف على حقيقة وهوية الغيبة، وأنها ليست إلا استتار العنوان فقط وإن كان استتار المعنون قد يحصل أيضاً كما أشارت إلى ذلك بعض الروايات، وهو ما يقع لأجل تقدير بعض الظروف والضرورات المقتضية لذلك، يتضح أن الإمام المهدي المهدي المهادي المهارك بين

⁽١) كمال الدين، الصدوق: ص٢٨.

⁽٢) المصدر نفسه: ص ٣٥١؛ الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ج٢ ص ٩٣٧.

⁽٣) أصول الكافي، الكليني: ج١ ص ٣٣٨.

⁽٤) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ج٢ ص ٥٢٠؛ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص ٤٤٠؛ الغيبة، الطوسي: ص ٣٦٤.

الناس، ولكن - بعد أن أثبتنا ضرورة وجوده الله على الله المسول الأعظم عَلَيْهَ أَو نحيط بفوائد وجوده المبارك، كما أشار إلى ذلك الرسول الأعظم عَلَيْهَ حينما سأله جابر بن عبد الله الأنصاري عن فائدة الإمام في غيبته، فقال مَلَيْهَ في الله المناس وإن علاها سحاب»(١).

ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى بعض وجوه الانتفاع منه في غيبته، وما يقوم به من أعمال وأدوار، نذكرها على سبيل الإجمال والاختصار:

إدارة الإمام على في زمن الغيبة

قد تقدم آنفاً ضرورة وجود الحجة من أهل البيت الميني واستمراره إلى قيام الساعة، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، ونضيف إلى ذلك القول: بأن الإمام على يمارس أدواره التي لا تتقاطع مع غيبته، فهو الميني يمارس دوره الاجتماعي والسياسي بالمباشرة، أو بتوسط مجموعة من رجال الغيب الذين يُصطلح عليهم بالأبدال، والسيّاح الذين يديرون حكومته الخفيّة، الذين يُصطلح عليهم بالأبدال، والسيّاح الذين يديرون حكومته الخفيّة، ويتصرفون في مقادير الأمّة، بل البشرية جمعاء، من أجل درئها عن الانحراف، وحفظها عن الزيغ والضلال، والوقوع في الهاوية، وهذا ما تشير إليه الروايات الواردة من طرق الفريقين:

1 - قال السيوطي في (الدّر المنثور): «وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن، عن أنس قال: قال رسول الله صَرَّا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ ال

⁽١) كشف الغمة، الأربلي: ج٢ ص٣١٥؛ ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٢٣٩.

مثل خليل الرحمن، فبهم تسقون وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر».

وأخرج الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله على: الأبدال في أمتى ثلاثون أبهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون.

وأخرج أحمد في (الزهد) والخلال في (كرامات الأولياء) بسند صحيح عن ابن عباس قال: ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض....

وأخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده.

وأخرج أحمد في الزهد عن كعب قال: لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع الله بهم العذاب.

وأخرج الخلال في كرامات الأولياء عن زاذان قال: ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض» (١).

٢- ما أخرجه الهيثمي، عن عبادة بن الصامت، عن النبي عَلَيْلَهُ، أنه قال: «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون، مثل خليل الرحمن عز وجل، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً» (٢)، قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الواحد بن قيس، وقد وثقه العجلي، وأبو زرعة (٣).

⁽١) الدر المنثور، السيوطى: ج ١ص٧٦٥-٢٦٦.

⁽٢) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص٢٦؛ عـون المعبـود، العظـيم آبـادي: ح٨ ص١٥١ ج١١ ص٢٥٣؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص١٨٦.

⁽٣) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص٦٢.

٣- وعن عبادة بن الصامت أيضاً، عن رسول الله علم قال: «لا يـزال في أمتي ثلاثون، بهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون، وبهم تنصرون» (١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن (١)، وقد صححه العزيزي، والمناوي، في شرحيهما على الجامع الصغير للسيوطي (٣).

وقال المناوي في فيض القدير: «وهذه الأخبار وإن فرض ضعفها جميعها، لكن لا ينكر تقوي الحديث الضعيف بكثرة طرقه وتعدد مخرجيه، إلا جاهل بالصناعة الحديثية، أو معاند متعصب، والظن به _ أي بابن تيمية _ أنه من قبيل الثاني» (٤).

ثم إن أولئك الأبدال مستترون عن أعين الناس، كما نص على ذلك الغزالي، حيث قال: «إنما استتر الأبدال عن أعين الناس والجمهور؛ لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت، لأنهم جهّال بالله، وهم عند أنفسهم، وعند الجهلاء علماء» (٥).

وبعض من الأبدال من أصحاب الإمام المهدي الله يخرجون معه حين يخرج، كما أخرج ذلك نعيم بن حمّاد المروزي في «كتاب الفتن» عن علي المسلك قال: «إذا سمع العائذ الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفاً، فيهم الأبدال»(١).

⁽١) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص ٦٢ - ٦٣؛ عون المعبود، العظيم آبادي: ج٨ ص ١٥١؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ج٣ ص ٢١٧.

⁽٢) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص٦٢ ـ ٦٣.

⁽٣) نقلاً عن عون المعبود: ج٨ ص١٥٢.

⁽٤) فيض القدير، المناوي: ج٣ ص ٢٢٠.

⁽٥) نقلاً عن فيض القدير: ج٣ ص ٢٢٠.

⁽٦) كتاب الفتن، المروزي: ص٢١٥.

إذن فهناك أوتاد وأبدال، على درجة عالية من الإيمان والإخلاص والتضحية في سبيل الإسلام، مستترون عن أعين الناس بخفاء عنوانهم الذي هم عليه، يقومون بإنجاز أدوار مهمة في الأمة، وقد ذكرت بعضها الروايات - كما تقدم - فلا غرابة حينئذ أن يستعين بهم الإمام المهدي في إدارة حكومته المستترة أثناء غيبته، لا سيما وأن الروايات ذكرت أن بعضهم من أنصاره عند ظهوره، لإقامة دولة العدل والقسط.

ولا يخفى أن الإدارة الخفية أقوى وأشد تأثيراً في الواقع من الإدارة الظاهرة، كما هو الحال في ما نشاهده اليوم من التحكم بمقادير الأمور، وإدارة العالم بواسطة أجهزة المخابرات التي تعمل خلف الكواليس، وكذا ما في السياسات المالية الخفية، كالبنك الدولي الذي بيده مقادير سياسة العالم الاقتصادية، ولكن بصورة مبطنة غير معلنة.

وجه التشابه يين الخضر لله والإمام المهدي

وقد ضرب الله تعالى مَثَلاً لنا في قصة الخضر لليَّكِ مثلاً لما يقوم به الإمام المهدي الله عيث استعرض القرآن الكريم هذه القصة في وسط سورة الكهف، هذا مع علمنا بأن القرآن الكريم لم يكن هدفه من طرح هذه القصة تسطير الحكايات الخيالية التي لا واقع لها ـ والعياذ بالله _ فالقرآن الكريم منزه عن ذلك.

قصتالخضر

قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا *

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبُرُ عَلَى مَا لَمْ تُحطْ به خُبْرًا ﴾ (١).

فقد أمر الله عز وجل نبيه موسى المناهاب إلى الخضر المناه المتخفي المستتر، حيث لم يكن أحد يعلم بمكانه إلا الله وموسى، بعد أن أعلمه الله تعالى بمحل تواجده، وذلك للتعلم والأخذ منه، والاطلاع على معالم الإدارة الإلهية الخفية، التي تدار بعيداً عن أعين الناس، فالخضر المناه مع كونه متستراً، كما نقل ذلك النووي عن الثعلبي، قوله: «الخضر نبي معمر على جميع الأقوال، محجوب عن الأبصار، يعني عن أبصار أكثر الناس» (٢).

فهو المينالا منتدب من الله تبارك وتعالى الإنجاز الأوامر الإلهية، يعمل ضمن مجموعة خاصة من البشر، لا يعلمها أحد من عامة الناس، وهم أوتاد الأرض وأبدالها كما تقدم ذكرهم، وكما تصرح بذلك الآية المباركة، حيث جاء فيها قوله عز وجل فيها من عبَادِنا .

ثم إن الخضر لليَّكُ بنفسه قد صرّح لموسى اليَّكُ بأن كل ما فعله لم يكن عن أمره، وإنما هو بأمر من الله تعالى، حيث قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْويلُ مَا لَمْ تَسْطع عَلَيْه صَبْرًا﴾ (٣).

إذن هذه السورة المباركة تشير إلى وجود منظومة ومجموعة من البشر على وجه الأرض، هم عباد الله، اختصهم لنفسه، يقومون بإنجاز المهام الإلهية الخطيرة والمحورية التي لها الأثر البالغ والمهم على مسار البشرية،

⁽١) الكهف: ٦٥ ـ ٨٦.

⁽٢) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٥ ص١٣٦.

⁽٣) الكهف: ٨٢

ولم يحظ موسى الميالا من ذلك، إلا بعد عدة وقائع، استعرضها القرآن الكريم، ولم يصبر على تلقي المزيد من تلك الأدوار والمهام؛ ولذا قال رسول الله عليه الله عليه وعلى موسى، لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب»(١).

فكان الخضر السيّل ومجموعة من عباد الله الصالحين يديرون هذا العالم بطور وطراز آخر، على غير ما هو المألوف عندنا، بحسب الأسباب الظاهرة والإدارة المعلنة، وهذا ما صرّح به الكثير من المفسرين، كالمراغي في تفسيره تبعاً للفخر الرازي وغيره، حيث قال: «وأحكام هذا العالم مبنية على الأسباب الحقيقية الواقعة في نفس الأمر، وهذه لا يطلع الله عليها إلا بعض خواص عباده»(٢).

ثم إنّ السورة المباركة تستعرض في هذه القصّة ثلاث قضايا مهمّة وأساسية في الحياة البشرية مارسها الخضر الميّلا:

الأولى: وهي قضية سفينة المساكين التي خرقها الخضر لليلا حتى لا يغصبها الملك، قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبُحْرِ فَأَرَدتُ الْعَصِبَها وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكُ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَة غَصْبًا ﴾ (٣).

فلو صادرها الملك لأثر ذلك سلباً على معيشة أولئك المساكين، حيث كانت السفينة مصدر رزقهم؛ لذا قال الفخر الرازي في تفسيره: «إن تلك

⁽۱) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ج ١٥: ص ٣٥٦: السنن الكبرى، النسائي: ج ٦: ص ٣٩١؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج ٦ ص ٣٩٨، تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ج ٣ ص ١٠٣.

⁽٢) تفسير المراغي، المراغي: ج٦ ص٦، وكذا انظر: تفسير الفخر الرازي: ج١١ ص١٦٠.

⁽٣) الكهف: ٧٩.

السفينة كانت لأقوام محتاجين، متعيشين بها في البحر، والله تعالى سماهم مساكين...» (١)

وقال المراغي في تفسيره، حكاية عن الخضر السَيَك: «أما فعلمي ما فعلته بالسفينة، فلأنها كانت لقوم ضعفاء، لا يقدرون على دفع الظلمة، وكانوا يؤاجرونها ويكتسبون قوتهم منها... وخلاصة ذلك: إنّ السفينة كانت لقوم مساكين عجزة، يكتسبون بها، فأردت بما فعلت إعانتهم على ما يخافون، ويعجزون عن دفعه، من غصب ملك قدّامهم، من عادته غصب السفن الصالحة» (٢).

الثانية: قصّة الغلام، وأنه لو بقي حيّاً لكان في ذلك مفسدة لوالديه، في دينهما ودنياهما، و «لو بقي كان فيه بوارهما، واستئصالهما» (٣)، بل قد جاء في روايات الفريقين: أن الله تعالى أبدل أبويه ـ رحمة بهما ـ بجارية ولدت سبعين نبيّاً، فالسنّة الإلهية اقتضت أن لا يُرزقا تلك الجارية المباركة، إلا بعد فقدانهم ذلك الغلام.

ولا يخفى ما في الدور الكبير لوجود سبعين نبياً في حياة البشر، وهدايتهم ورقيهم، كما نصّت على ذلك بعض الروايات، فقد أخرج ابن حجر، عن تفسير ابن الكلبي: «ولدت [أم الغلام] جارية، ولدت عدة أنبياء، فهدى الله بهم أمماً، وقيل: عدة من جاء من ولدها من الأنبياء سبعون نبياً»(1).

الثالثة: قصة إصلاح الخضر السِّالالجدار، لأنه لو انهار ذلك الجدار لضاع

⁽١) تفسير الرازي، الفخر الرازي: ج١١ ص ١٦١.

⁽٢) تفسير المراغى، المراغى: ج٦ ص٧.

⁽٣) الدر المنثور، السيوطي: ج٥ ص٤٢٩.

⁽٤) فتح الباري، ابن حجرً: جـ ٨ ص ٣٢٠؛ ونحوه تفسير القرطبي: ج ١١ ص ٣٣٠؛ وانظر فتح القـدير، الشو كاني: ج٣ ص٣٠٦؛

خصائص الحكم الإلهي

لا يخفى أن العبر والمعطيات التي ضمّنها الله تعالى في قصة الخضر المينا كثيرة ومهمّة جداً، ولكن نستعرض منها ما يتعلق ببحثنا وموضوعنا، وهي كالآتي:

١ـ دوام الحاكمية الإلهية

إنّ حاكمية الله تعالى في الأرض لا تنقطع أبداً إلى يوم القيامة، والذي يقوم بأداء وتنفيذ حكم الله في الأرض هو خليفته في أرضه، فخليفة الله هو الواسطة المباشرة لإجراء حاكميته تعالى.

وقد جاء ذلك في قوله عز وجل ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَــــ اللهُ ﴿ اللهُ عَلَى اللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَلَا عَلَى اللهُ وَلَيْ اللهُ وَلِيْ اللهُ وَلَيْ اللهُ وَلِي اللهُ وَلَيْ اللهُ وَلِي اللهُ وَلَيْ اللهُ وَلِي اللهُ وَلَيْ اللهُ وَلِيْ اللهُ وَلَيْ اللهُ وَلَيْ اللهُ وَلَيْ اللهُ وَلِي اللهُ وَلِيْ اللهُ وَلِي اللهُ وَلِيْ اللهُ وَلِي اللهُ وَاللّهُ وَلِي الللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي الللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّ

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِن الْحُكْمُ إِلاَّ للَّهِ ﴿ " .

وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا قُولُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ ورسولِهِ لِيَحكُمَ بيــنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمعْنا وأطَعْنا﴾ (٤).

⁽١) الكهف: ٨٢

⁽٢) البقرة: ٣٠

⁽٣) يوسف: ٤٠.

⁽٤) النور: ٥١.

وقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (١).

فحاكمية الله تعالى - التي لا تقتصر على سلطته في التشريع فقط، بل يداه مبسوطتان في كل المجالات القضائية والسياسية والاقتصادية يجريها على أيدي خلفائه من الرسل والأنبياء والأولياء والأوصياء.

هذا وقد أرشدنا الله عز وجل في قرآنه الكريم إلى خلفائه الذين جعلهم أئمة وقادة للبشرية جمعاء، ابتداءً من آدم المسلم أبي البشر، وأول خليفة لله على أرضه، ومروراً بنوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى المهمين، وانتهاء برسول الله المسلم خاتم الأنبياء، وأوصيائه الهداة المهديين، حيث قال تبارك وتعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِيُونَ ﴾ (٢).

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الــصَّلاةِ وَإِيتَـــاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٣).

﴿ وَتُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِ عِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُ مُ أَثِمَّ ــ قَ وَنَجْعَلَهُ مُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٤).

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتِ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَــالَ وَمِـن ذُرِيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدي الظَّالَمِينَ ﴾ (٥).

⁽١) النساء: ٥٩.

⁽٢) السجدة: ٢٤.

⁽٣) الأنبياء: ٧٣.

⁽٤) القصص: ٥.

⁽٥) البقرة: ١٢٤.

ومن حصيلة هذه النصوص القرآنية وغيرها مما يشاركها في المضمون، يتضح أنّ الله عزّ وجلّ قد جعل خلفاء له في الأرض، ينفّذون حاكميته في الأرض، ويمثّلون مظهراً وتجلياً لسلطنته على الخلق.

٢ـ شمولية الحاكمية الإلهية

ثم إن تلك الحاكمية لله تعالى شاملة لكل المجالات، ولجميع الأمور مهما كان حجمها، وهذا ما نلمسه واضحا من النصوص القرآنية، حيث نجد أن الله تبارك وتعالى هو الحاكم في جميع الأمور، وكان النبي الأكرم عَيَّالًة منفذاً لحكم الله في الأرض، ومن تلك الآيات المباركة، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لَمَن في أَيْديكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتكُمْ خَيْرًا مُمَّا أُخذَ منكُمْ وَيَغْفَرْ لَكُمْ وَالله عَفُورٌ رَّحيمٌ ﴾(١).

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٢).

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ (٣).

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُودْنَ الْحَيَاةَ اللَّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَّةً كُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَميلاً ﴾ (٤).

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ ﴾ (٥).

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلُّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ

⁽١) الأنفال: ٧٠.

⁽٢) التوبة: ٧٣.

⁽٣) الأنفال: ٦٥.

⁽٤) الأحزاب: ٢٨.

⁽٥) التحريم: ١.

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذَّكْرَ لِتُبَــيِّنَ لِلنَّــاسِ مَــا نُــزِّلَ إِلَــيْهِمْ وَلَعَلَّهُــمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالُواْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلَ لَّعْنَاتَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِينَ ﴿ ثَالَمُ الْكَاذِينَ ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّــلْ عَلَــى اللّــهِ إِلَّــهُ هُــوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٤).

وغيرها من النصوص القرآنية الأخرى.

وقد خاطب الله تعالى نبيّه عَبَيْلِيّه في القرآن الكريم بـ «قل كذا» و «قل كذا» في أكثر من (٣٥٠) مورداً، وكانت الأوامر الإلهية تنزل على رسول الله عَبِيليّة في كل صغيرة وكبيرة، بدءاً من بيته وشؤونه الخاصة، ومروراً بقضايا الحكومة والدولة وإدارة شؤون المسلمين ومسائل الحرب وقضايا الجهاد وغيرها، فلا يُعقل أن هذه الحاكمية الحيّة والفعّالة من قبل الله تعالى تجاه قضايا الإسلام والمسلين والتي تجري وتُنفّذ عن طريق خليفته المعصوم عن الخطأ، وهو رسول الله عَبِيلًا الله وضحاها، ويوكل الأمر إلى عامّة المسلمين الذين يجهلون أبسط المسائل الفقهية، فضلاً عن

⁽١) المائدة: ٧٧.

⁽٢) النحل: ٤٤.

⁽٣) آل عمران: ٦١.

⁽٤) الأنفال: ٦١.

غيرها من القضايا المهمة في حياة المسلمين، والبشرية بصورة عامة.

إذن لابد من وجود من ينفّذ حاكميته تعالى بعد رسوله الأكرم عَيَاليَّه، وذلك هو الخليفة الحق الذي يحمل مزايا الأنبياء والأوصياء والرسل؛ ليكون قادراً على تحمل الأمانة، وتنفيذ تلك الحاكمية بالنحو الذي أراده الله عز وجل، منذ بدء الخلق إلى قيام الساعة، وقد نصب رسول الله عَيَالَة، بأمر من الله تعالى ذلك الخليفة من بعده، وهم أهل بيته، على وبنوه المهلك، وهم الخلفاء الاثنا عشر، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، إذا ذهبوا ماجت الأرض بأهلها.

ثم إن هذا المعنى من الحاكمية المستمرة لله تعالى في الأرض يلتقي مع مقولة الخضر لموسى الشِّكُ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾(١)، أي أن هذه الأفعال التي قمت بها ليست بمحض إرادتي، بل هي بأمر من الله تعالى، وإجراء لحاكميته.

وعلى هذا الأساس نقول: إن خليفة الله في الأرض، القائم بهذا الدور في هذا العصر، هو الإمام المهدي الله في هذا العصر، هو الإمام المهدي الله سبحانه وتعالى، ولكن في الخفاء، لأجل الحكمة والأسباب التي اقتضت ذلك، إلى أن يأتي أمر الله سبحانه بالظهور، وإقامة دولة العدل والقسط، فيكون الحق معلناً، والباطل ضامراً خاسئاً.

وقد جاء ذكر ذلك الدور الفاعل للإمام المهدي في عصر الغيبة في عصر الغيبة في كثير من الروايات على لسانه الميلا، منها قوله الميلاً: «فإنا نحيط علماً

⁽١) الكهف: ٨٢

بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم» (١)، وقوله الشياع: «إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء، اتقوا الله جلّ جلاله، وظاهرونا على انتياشكم من فتنة، قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حمّ أجله، ويحمى عنها من أدرك أمله» (٢).

دور الإمام على في درء الفساد

من الأدوار الأساسية التي يقوم بها خليفة الله في الأرض، هو منع البشرية من الانحدار في الهاوية، ودرء خطر استئصالها، والإبادة التامة والشاملة لها، سواء كان ذلك نتيجة للحروب، أم لتفشي الظلم والجور والفساد، وانتشار الأمراض والأوبئة وغيرها من الأمور التي تهدد البشرية بالانقراض.

وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم، عند ذكره لاعتراض الملائكة، في معرض تعريفه للخليفة، وذلك في قوله تعالى – حكاية عن الملائكة: ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (أ) فالملائكة افترضت أن خليفة الله لا يفسد، ولا يسفك الدماء، بل هو الذي يقف حائلاً أمام ذلك، وقد أقرهم الله تبارك يسفك الدماء، بل هو الذي يقف حائلاً أمام ذلك، وقد أقرهم الله تبارك وتعالى على ذلك، وأجابهم من جهة أخرى، حيث قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾.

⁽١) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص ٣٢٣، الخرائج والجرائج، قطب الدين الراوندي: ج٢ ص ٩٠٢.

⁽٢) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص ٣٢٣.

⁽٣) البقرة: ٣٠.

إذن أوّل دور من الأدوار الأساسية التي يقوم بها خليفة الله في الأرض، هو درء الفساد، وممانعة سفك الدماء أوهذا ما يلتقي مع التصريحات الكثيرة للنبي عَلَيْكِيَّةُ في هذا المجال، كقوله عَلَيْكِيَّةُ: «لا تخلوا الأرض من حجة» وقوله عَلَيْكِيَّةً: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض» وغير ذلك من التصريحات النبويّة، التي تؤكد على أن من بين الأدوار الأساسية للخلفاء حفظ البشرية من الهلاك، ومنع وقوعها في الفساد.

ثم إنّ السؤال الأساس يقع عمّا هو المراد بالفساد؟ وهل يشمل كل فساد ولو كان جزئياً ؟

وفي مقام الإجابة عن ذلك نقول: ليس المراد من الفساد ما يشمل الفساد الجزئي والمقطعي، وذلك بمقتضى اعتراف الملائكة، حيث إنهم لم يعترضوا على الفساد القليل؛ لأن الفساد القليل يقابله الخير الكثير، فاعتراض الملائكة إنما كان على الفساد المطبق، والشامل للأرض ومن عليها المستأصل للبشرية، والموجب لاجتثاثها وهلاكها.

فدور الخليفة إذاً لا يقتصر على فئة معينة من الناس، أو على المسلمين فحسب، وإنما هو شامل لكل البشرية، لذا قال تعالى شأنه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ﴾، وكذا قول رسول الله عَلَيْكَ «لا تخلو الأرض من حجة»(١) وقوله: «إذا

⁽۱) المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص١٩٦ ح ١٧٩٤؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص٣٤ ح ١٣٦٦؛ وانظر تاريخ اليعقوبي، ح ٢٣٨٦١؛ وانظر تاريخ اليعقوبي، المنقوبي: ج٢ ص٢٠٦؛ وانظر المناقب، المعقوبي: ج٢ ص٢٠٩؛ وانظر المناقب، الخوارزمي: ص٣٦٦.

هلكوا ماجت الأرض بأهلها»، وقوله: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب المسلمون خاصة، أو أهل بيتي ذهب المسلمون خاصة، أو ماجت الأرض بهم.

فالإمام المهدي الله المنه الله و خليفة الله في الأرض، يمارس دوراً كبيراً في حياة البشرية، وإن لم يتقلد الحكومة الرسمية الظاهرة، فهو الحمال في الخضر المينالا، الذي هو ولي من أولياء الله تعالى، وعبد من عباده، قلده مناصب عالية وحكومة رائدة، يديرها بالسر والخفاء.

فقصة الخضر لليسلا – الذي هو عبد من مجموعة عباد جعلهم الله أوتاداً للأرض – ذكرها الله عز وجل في قرآنه الخالد، عظة وعبرة لنا، وليست هي مجرد قصة خيالية لا واقع لها، وإنما الغاية من هذه القصة هي الاعتقاد بوجود أولياء وحجج لله تعالى، يقومون بمهام إلهية، ويديرون دفة الحكم الإلهي في الأرض.

إذن ليست الغيبة بمعنى التعطيل والجمود، كما قد يتخيلها البعض. إذن فالإمام المهدي الله لله دور كبير في فترة غيبته.

أضف إلى ذلك كله، أن هناك أعمالاً وأفعالاً أوكل الإمام للبيّل مهمّة القيام بها إلى من قلّدهم النيابة العامة في زمن الغيبة، وهم العلماء والفقهاء العدول، ليكونوا بذلك ممثلين له للبيّلا، ينوبون عنه في بعض المهام التي أوكلت إليهم، كما ورد ذلك عنه للبيّلا، حيث قال: «وأمّا الحوادث الواقعة

فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم $^{(1)}$.

وقد أشار باقي الأئمة المنه أيضاً إلى هذا الدور المهم للعلماء في عصر الغيبة الكبرى _ فمثلاً _ ما عن الإمام الهادي السيال أنه قال: «لو لا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه، والذّابين عن دينه بحجج الله، المنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا أرتد عن دينه، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله» (٢).

ونقتصر في هذا المجال على ما أفاده الشيخ المفيد والمناه على حيث قال بعد تعرضه لبعض مهام الغيبة: «ولا يحتاج هو المناه الى تولى ذلك بنفسه، كما كانت دعوة الأنبياء المناه تظهر بأتباعهم والمقرّين بحقهم، وينقطع العذر بها فيما ينأى عن ملتهم ومستقرهم، ولا يحتاجون إلى قطع المسافات لذلك بأنفسهم، وقد قامت أيضاً بأتباعهم بعد وفاتهم... وكذلك إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام، وقد يتولاها أمراء الأئمة، وعمالهم دونهم، كما كان يتولى ذلك أمراء الأنبياء المناف الترى وولاتهم، ولا يخرجون هم إلى ذلك بأنفسهم، وكذلك القول في الجهاد، ألا ترى أنه يقوم به الولاة من قبل الأنبياء والأئمة دونهم، ويستغنون عن توليه بأنفسهم، فعلم بما ذكرناه أن الذي أحوج إلى وجود الإمام، ومنع من عدمه، ما أختص به من حفظ الشرع، الذي لا يجوز ائتمان غيره عليه، ومراعاة الخلق في أداء ما كلفوه من حفظ الشرع، الذي لا يجوز ائتمان غيره عليه، ومراعاة الخلق في أداء ما كلفوه

⁽١) الغيبة، الطوسي: ص ٢٩١؛ الاحتجاج: الطبرسي: ج٢ ص ٢٨٣؛ الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي: ج٣ ص ١١١٤.

⁽٢) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص٢٦٠.

من أدائه» (١)

والحاصل: إن للإمام على طوراً آخر من أطوار الإدارة والحكم في زمن الغيبة، وأما تنفيذ الكثير من الأمور التي تحتاج إلى إجراء بحسب ما هو الظاهر والمعلن، فقد أوكل ذلك المينال إلى العلماء والفقهاء.

خلفيات وفوائد أخرى للغيبت

أولا: حفظ شخصية الإمام على

من أهم فوائد غيبة الإمام على حفظ شخصيته اللهم السابقة، كما صرح والاغتيال؛ لأن هذه الأمة الإسلامية لا تعدو خطى الأمم السابقة، كما صرح بذلك رسول الله على وأن هذه الأمة ستتبع خطى الأمم السابفة، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وقد وقعت الغيبة لكل من إدريس وصالح وإبراهيم ويوسف لمينك، وقد اضطر موسى لمينك إلى الهرب من قومه وأففرَرْتُ منكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ (")، وكذلك رفع الله عيسى لمينك، عندما أراد بنو إسرائيل قتله، قال تعالى: ﴿بَل رَفَعَهُ اللهُ إِنّهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِمًا (" كذلك كان رسول الله عالى: ﴿بَل رَفَعَهُ اللهُ إِنّه وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِمًا (" كذلك كان رسول الله عالى عنهم في الشعب ثلاث سنين، وأخرج أحمد بن حنبل وقد اضطر للاعتزال عنهم في الشعب ثلاث سنين، وأخرج أحمد بن حنبل عن عكرمة قوله: مكث النبي على النبي عن قومه في عن عكرمة قوله الله عنهم أو النبي عن المنه عنه منها أربع أو

⁽١) مسائل عشر، الشيخ المفيد: ص١٠٦-١٠٠.

⁽٢) الشعراء: ٢١.

⁽٣) النساء: ١٥٨.

خمس يدعو إلى الإسلام سراً وهو خائف (١).

فإذا كانت غيبة واحتجاب أولئك الأنبياء المهمة لل تضر، ولا تقدح في نبوتهم وبعثتهم للأمم، بل يعد ذلك من الأساليب المهمة في سبيل انجاز وتحقيق الغاية، لاسيما وأنه امتثال لمشيئة الله تعالى وإرادته، كذلك ما نجده في غيبة الإمام المهدي المسلمي إذ أن غيبته كغيبتهم المبللي وظروفه كظروفهم، من متابعته ومحاولة قتله والقضاء عليه، بل ما نجده في حياة الإمام المهدي المبللي من الظروف التي تستدعي الغيبة كثيرة جداً، وفي غاية الوضوح، حيث كانت السلطات العباسية تسعى حثيثاً للقبض عليه وقتله، كما نص على ذلك المؤرخون والمحدثون:

منهم: ابن الصباغ المالكي، حيث قال: «خلّف أبو محمد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده، وستر أمره، لصعوبة الوقت، وشدّة طلب السلطان، وتطلّبه للشيعة، وحبسهم، والقبض عليهم» (٢).

ومنهم: ابن أبي الفتح الأربلي في كتابه «كشف الغمة»، وعبارته قريبة من عبارة ابن الصباغ المتقدمة، وينقل بالإضافة إلى ذلك رواية أحمد بن عبيد الله بن خاقان، والي الضياع والخراج بقم، وجاء فيها: «وخرجنا وهو على تلك الحال، والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن علي اليوم، وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً، والشيعة مقيمون على أنه مات وخلف ولداً، يقوم مقامه بالإمامة» ""

⁽١) كتاب العلل، أحمد بن حنبل: ج٢ ص ٥٩٠ ج٣ ص٤٢٦، وكذا في الدر المنثور. السيوطي ج٥: ص١٠٢، المصنف: الصنعاني ج٥ ص ٣٦١.

⁽٢) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ص١٠٩١.

⁽٣) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٢٠٥.

وغيرهم كثير، فراجع.

وهذا السبب وإن كان غير مختص به دون آبائه المنظمة عيث تعرضوا للمطاردة والقتل والاغتيال؛ إلاّ أن السبب الأساس الذي يقف وراء اختصاص الإمام المهدي بالغيبة دونهم الله هو أنه المنظمة مكلف بإقامة الدولة الإسلامية العالمية، وعلى يديه يحقق الله تعالى العدل والقسط على هذه الأرض، وبواسطته يُظهر الله عزّ وجلّ الإسلام على الدين كلّه ولو كره المشركون، فلا بد من المحافظة على وجوده المبارك لإنجاز هذه المهمة التي جعلها الله تعالى الغاية الأساسية من بعثة الأنبياء والرسل.

ولا تعني غيبتة واختفاؤه انتفاء إمامته، أو تخلّيه عن المسؤوليات المناطة به، بل هو الحجة القائمة لله على خلقه، ولكن ستره الله تعالى عن خلقه خوفاً على حياته من الظالمين، كما صرح بذلك أمير المؤمنين علي المناهم، حيث قال: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة، إما ظاهر مشهور، وإما خائف مغمور، لأن لا تبطل حجج الله، وبيّناته»(۱)، وخائف مغمور أي خائف مختف، وقد بيّنا سابقاً أن الغيبة لا تعني أنه ناء وبعيد وعديم الدور في الأمّة، وإنما الغيبة هي إدارة الأمور والعمل بالخفاء.

ومعنى الخوف من القتل ليس ما يتبادر إلى الأذهان الساذجة، من المعاني الأولية للخوف، لأن هذا النوع من الخوف غير متصور في أولياء

⁽۱) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص٢٥٥، وانظر تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٦، وانظر كنز العمال: ج١٠ ص٢٠٦ «أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف والمرهبي في العلم ونصر في الحجة»، المعيار والموازنة، الإسكافي: ص١٨ مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص٩٦؛ دستور معالم الحكم: ابن سلامة: ص٨٤ ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج١: ص٨٩

الله تعالى وحججه الذين يأنسون بالموت ولقاء الله عز وجل، وإنما المقصود من خوف القتل هنا هو الخوف على ضياع الغرض والهدف الإلهي الذي أنيط به المسلك مسؤوليته المسلك جسيمة وعظيمة تشبه مسؤولية الرسول الأكرم المسلكية، الذي صدع بأمر الله تعالى، لنشر الدين على وجه الأرض، كما قال رسول الله المسلكية: «هو رجل من عترتي، يقاتل على سنتي، كما قاتلت أنا على الوحي»(١).

فالخوف المقصود إنما هو الخوف من استئصال الحجج الإلهية على الخلق، كما ورد ذلك في الروايات متضافراً:

منها: ما جاء عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، قال: «قلت ولم؟ قال: يخاف، وأومأ إلى بطنه، ثم قال: يما زرارة وهو المنتظر...»(٢).

ومنها: ما عن أبي عبد الله الشيك أيضاً قبال: «للقائم غيبة قبل قيامه اقلت: – أي زرارة وَلَمَ؟ قال: يخاف على نفسه الذبح» (٣).

ومنها: ما جاء عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر المينك يقول: «في صاحب هذا الأمر أربعة، من سنن أربعة أنبياء... فأما من موسى: فخائف يترقب»(٤).

⁽١) كتاب الفتن، المروزي: ص٢٢٩؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٣ ص٢٦٣.

⁽٢) الكافي، الكليني: ج ١ ص ٣٣٧؛ تاريخ آل زرارة، أبو غالب الزراري: ج ١: ص ٢١؛ كمال الدين، الشيخ الصدوق: ص ٣٤؛ الغيبة: النعماني: ص ١٧٧.

⁽٣) كمال الدين تمام النعمة، الصدوق: ص٤٨١.

⁽٤) الإمامة والتبصرة: ص ٩٤، كمال الدين، الصدوق: ص٢٨؛ دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري: ص ٤٧٤؛ كتاب الغيبة، الطوسي: ص ٤٢٤.

ومنها: ما عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله للسَّلِ قال: «إذا قام الله الله الله الله عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عنه القائم الله قال: ففررت منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربي حكماً...»(١).

ومنها: ما جاء في كشف الغمة للأربلي، عن الإمام الحسين للبيّل قال: «في القائم منا سنن من الأنبياء، سنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد إ... وأما من موسى فالخوف، والغيبة...»(٢).

وكذلك في كشف الغمة، في حديث محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله الشياعي يقول: «إن قدام القائم بلوى من الله، قلت: وما هو جعلت فداك؟ فقرأ: ﴿وَلَنَبْلُوّلَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَتَقْصٍ مِّنَ الْأَمَوالِ وَالْأَنفُسِ وَالنَّمَ وَالْجُوعِ وَتَقْصٍ مِّنَ الْأَمَوالِ وَالْأَنفُسِ وَالنَّمَ وَالْجَوف من ملوك بني فلان، والجوع من غلاء وبَشِر الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) , ثم قال: الخوف من ملوك بني فلان، والجوع من غلاء الأسعار، ونقص الأموال من كساد التجارات، وقلة الفضل فيها، ونقص الأنفس بالموت الذريع، ونقص الثمرات بقلة ربع الزرع، وقلة بركة الثمار، ثم قال: وبشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم عليه الله القائم الله المناه المناه عند ذلك بتعجيل خروج القائم الله الله المناه الله المناه الله المناه الله الله المناه المنا

ثانيا: التمحيص

معنى التمحيص: هو التطهير مع شدّة الاختبار، لأنّ مادة (محص) تدلّ على الخلوص، والتطهير من كل عيب، كما يقال محّص الذهب بالنار، أى خلّصه مما يشوبه.

⁽١) الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني: ص١٧٤.

⁽٢) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص ٣٢٩، إكمال الدين وإتمام النعمة، الصدوق: ص٣٢٢.

⁽٣) البقرة: ١٥٥.

⁽٤) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٢٦٠.

وعلى ضوء ذلك كان التمحيص والابتلاء والاختبار سنة إلهيّة رافقت البشرية منذ بداية خلقها، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَلَ أَنستُمْ عَلَيْه حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مَنَ الطَّيِّب﴾ (١).

وكذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَلِيْمَحِّصَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢)، وكقوله تعالى: ﴿وَلِينَالِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ وكقوله تعالى: ﴿وَلِيمَانِي اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴾ (٣)، فمن خلال التمحيص يتعين مركز الفرد وواقعه تجاه عقيدته وإيمانه، استقامة أو انحرافاً، كما يكشف التمحيص عن عناصر القوة والضعف في نفسية الإنسان، فهو طريق لاستكمال النفوس ورقيها، فإذا ورد التمحيص على جماعة من الناس فإنّه يقتضي امتياز المؤمنين من المنافقين.

وتتضاعف أهمية التمحيص في عصر الغيبة فيما إذا اقترن بالإعداد ليوم الظهور، لتحمل المسؤولية، والمشاركة في إنقاذ العالم من الظلم والجور الذي يفترض فيه وجود عدد كاف ممحص ومطهر من شوائب الكفر والشرك والنفاق، ليكونوا من المخلصين الذين لهم شرف المشاركة في الدولة الكريمة العادلة بقيادة الإمام المهدي

ومن هذا المنطلق نعرف أهمية التمحيص والاختبار الذي أشارت إليه الروايات بكثافة.

ومما يشهد على أهمية التمحيص ودوره في تمييز الخبيث من الطيب،

⁽١) آل عمران: ١٧٩.

⁽٢) آل عمران: ١٤١.

⁽٣) آل عمران ١٥٤.

ما لمسناه واضحاً من الردّة والانقلاب على الأعقاب بعد رسول الله على المعتاد والله على الله على المعتاد والله على الله على الله على الله على الله على الله على المام غربال التمحيص والاختبار، بل انحرفوا عمّا رسمه لهم رسول الله عبد في وصاياه الكثيرة والمتعددة في شأن الإمامة والخلافة، فضلاً عما صرّح به القرآن الكريم في هذا الشأن، وهذا يدل على أن كثيراً من هؤلاء الأصحاب لم يكونوا ممحصين، ولا قادرين على تحمل المسؤولية.

ومن هنا نفهم سرّ عدم جعل الأئمة المنظمة الكفاح العسكري المسلح هو الخيار والحل الوحيد لإقامة الحق والعدل؛ وذلك لأنهم لا يرون القيام بالعمل العسكري وحده كافياً للانتصار وإقامة دعائم الحكم الصالح، بل يتوقف ذلك على إعداد جيش عقائدي ممحص مطهّر مخلص يؤمن بالإمام وعصمته وحاكميته إيماناً مطلقاً، ويعي أهدافه الكبيرة، ويدعم تخطيطه الواسع.

وعلى هذا الأساس نجد أن من شرائط ظهور الإمام المهدي الأساسية هو ظهور عدد من الأصحاب والأنصار المخلصين للإسلام وللإمام المسلك القادرين على تحمل المسؤولية، وهذا لا يتحقق إلا من خلال مرور البشرية بالظروف القاسية والفتن الشديدة.

ومما ينبغي الإشارة إليه، هو أن التمحيص المقصود الذي من خلاله تتهيأ البشرية لليوم الموعود، هو تمحيص البشرية بشكل عام، وعلى طول امتدادها التاريخي، بالنحو الذي ينتج أفراداً مخلصين قادرين على تحمل المسؤولية في الدولة الكريمة.

أما روايات التمحيص والابتلاء في زمن الغيبة، وقبل قيام الإمام المهدي المه

ومنها: ما جاء على لسان الإمام على المسيّل، عندما قال للإمام الحسين المسيّل: «التاسع من ولدك يا حُسين هو القائم بالحق، والمظهر للدين، والباسط للعدل، قال الحسين المسيّل : فقلت: وإن ذلك لكائن؟ فقال المسيّل : أي والذي بعث محمداً بالنبوة، واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين اخذ الله ميشاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه "(۱)، فالمخلصون بحسب هذه الرواية هم حاصل ذلك الابتلاء والتمحيص.

ومنها: ما جاء أيضاً عن الإمام علي المسلط، حيث قال للأصبغ بن نباته: «الحادي عشر من ولدي هو المهدي، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له حيرة وغيبة، يضل فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون، فقلت: يا أمير المؤمنين وان هذا لكائن؟ فقال: نعم، كما أنه مخلوق، وأنى لك بالعلم بهذا الأمر يا أصبغ، أولئك خيار هذه الأمّة، مع أبرار هذه العترة» ".

⁽١) ينابيع المودة، القندوزي: ج٣ ص٢٩٧ وص ٣٨٧، كشف الغمة: الأربلي: ج٣ ص٣٢٨.

⁽٢) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٣٢٨.

⁽٣) الإمامة والتبصرة، ابن بابوية القمي: ص ١٢١؛ الغيبة، النعماني: ص ٢١؛ كفاية الأثر، الخزاز القمي: ص ٢٢٠.

ومنها: ما ورد عن الإمام محمد الباقر للسَّلاً، في قوله تعالى: ﴿فَلا أَقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ (١)، قال: «هذا مولود في آخر الزمان، هو المهدي من هذه العترة، تكون له حيرة وغيبة، يضل فيها أقوام، ويهتدي فيها أقوام» (٢).

ومنها: ما ورد عن أبي جعفر الباقر المينائع أيضاً، قال: «والله لتميزت، والله لتمحصن، والله لتغربلن، كما يغربل الزؤان من القمح»(٣).

ومنها: ما ورد عنه أيضاً عليناكم، قال: «هيهات هيهات، لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تمحصوا، هيهات ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم، حتى تميزوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تغربلوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم إلا بعد إياس، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى يشقى من شقى، ويسعد من سعد»(٤).

ومنها: ما ورد عن أبي عبد الله جعفر بن محمد للسَّكِ: «والله لتُمحـصنّ، والله لتطيرن يميناً وشمالاً، حتى لا يبقى منكم إلاّ كل امـرئ أخـذ الله ميثاقـه، وكتـب الإيمان في قلبه، وأيده بروح منه» (٥).

⁽١) التكوير: ١٥-١٦.

⁽٢) إكمال الدين وإتمام النعمة، الصدوق: ص ٢٣٠، انظر: الغيبة، الطوسي: ص ٣٣٦.

⁽٣) الغيبة، الطوسي: ص ٣٤٠، الغيبة، النعماني: ص ٢٠٥.

⁽٤) الغيبة، النعماني: ص٢٠٩.

⁽٥) المصدر نفسه: ص٢٦.

⁽٦) المصدر نفسه: ص٢١٢؛ دلائل الإمامة: ابن جرير الطبري (الشيعي): ص٤٥٦؛ العدد القوية، العلامة الحلي: ص٧٤؛ الكافي، الكليني: ج١ ص٣٧٠.

ومنها: ما جاء عنه أيضاً عليه التُمحصن يا شيعة آل محمد، تمحيص الكحل في العين »(١).

ومنها: كذلك ما ورد عنه للسيّل قوله: «والله تكسرن تكسر الزجاج، وإن الزجاج ليعاد فيعود كما كان، والله لتكسرن تكسر الفخار وان الفخار ليتكسر فلا يعود كما كان، ووالله لتغربلن، والله لتميزن، والله لتمحصن حتى لا يبقى منكم إلا الأقل وصعر كفه»(٢).

ومنها: ما ورد عنه أيضاً لطينك، قال: «والله لتمحصن، والله لتميزن، والله لتغربلن، حتى لا يبقى منكم إلا الأندر» (٣).

ومنها: ما عن صفوان بن يحيى، قال: قال أبو الحسن الرضاطيني «والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا، وحتى لا يبقى منكم إلا الأندر، فالأندر»(٤).

وأخيراً: يضرب الإمام أمير المؤمنين علي السيال لنا مثلاً في ذلك، حيث يقول: «وسأضرب لكم مثلاً، وهو مثل رجل كان له طعام فنقّاه، وطيّبة ثم أدخله بيتاً، وتركه فيه ما شاء الله، ثم عاد إليه، فإذا هو قد أصابه السوس، فأخرجه ونقّاه وطيّبه ثم أعاده إلى البيت، فتركه ما شاء الله، ثم عاد إليه، فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس، فأخرجه ونقّاه، وطيّبه، وأعاده، ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة

⁽١) الغيبة، النعماني: ص٢٠٦؛ الغيبة، الطوسي: ص٢٣٩.

⁽٢) المصدر نفسه: ص٢٠٧؛ المصدر نفسه: ص٣٤٠.

⁽٣) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج ١ ص١٩٩؛ وانظر: الغيبة، النعماني: ص٢٠٨؛ وانظر: الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٢٣٧.

⁽٤) غيبة، النعماني: ص٢٠٨؛ الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٢٣٧؛ الخرائج والجرائح: الراوندي: ج٣ ص ١١٧٠؛ انظر: تفسير العياشي: ج١ ص ١٩٩.

كرزمة الأندر، لا يضره السوس شيئاً، وكذلك أنتم تُميزون، حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تنضرها الفتنة شيئاً»(١)، وبنفس المضمون ما جاء عن الإمام الباقر الميناً (٢).

وكذلك ما جاء أيضاً على لسان حكيمة عمّة الإمام السَّلا، عندما قالت لمحمد بن عبد الله المطهري: «لا بد للأمّة من حيرة، يرتاب فيها المبطلون، ويخلص فيها المُحقّون، كيلا يكون للناس على الله حجة» (٣).

هذا مضافاً إلى روايات الفتن، والابتلاء في آخر الزمان التي نقلها الفريقان بنحو التواتر، والتي لا يخلو منها كتاب واحد من كتب الحديث، بل عُقدت لروايات الفتن في آخر الزمان كتب وأبواب خاصة، وهذا يكشف عن أهمية التمحيص والغربلة في عصر الغيبة لمعرفة وتمييز المخلصين الصالحين للقيام بشؤون الدولة العالمية، تحت راية الإمام المهدي المستن عن غيرهم، ومن تلك الروايات:

١- قال رسول الله مَثَّالِكُنَّةِ: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح فيها الرجل مؤمناً ويُمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافرا…»(٤).

٧- قال رسول الله عَلَيْمَالَةُ: «... ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحداً من هــذه الأمــة إلاّ

⁽١) الغيبة، النعماني: ص٢١٠.

⁽٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٤٢٦.

⁽٣) المصدر نفسه: ص٤٢٦.

⁽٤) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٤ ص ٢٧٧، البداية والنهاية، ابن كثير ج٨ ص ٢٦٧؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١ ص ٢٦٩؛ النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي: ج١ ص ٥٩، سنن أبي داود، السجستاني: كتاب الفتن، ص ٧٠٨ ح ٢٥٣؛ سنن الترمذي، الترمذي: كتاب الفتن؛ باب ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة: ص ٢٣٠، ح ٢٢٩٣؛ كما أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب التثبيت في الفتنة: ص ١٣١٠، ح ٣٩٦١.

لطمته، حتى إذا قيل انقضت عادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً حتى يصير الناس فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده "(١).

٣ – قال رسول الله صَاعِلَيْكَ: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل؛ المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر – أو قال – على الشوك»(٢).

ثالثا: انكشاف عجز وبطلان الأطروحات الأخرى

لا ريب أن الغيبة تساهم في إثبات عجز أو فشل المدارس والأطروحات الأخرى التي تدعي تحقيق السعادة والعدل والكمال المنشود للمجتمع البشري، وهذا بدوره يكون دافعاً للمجتمع عموماً للتفاعل الإيجابي مع المهمّة الإصلاحية الكبرى للإمام المهدي المبيّلا.

ومن ثم يزيل العقبات التي تمنع عن حصول هذا التفاعل المطلوب، لتحقيق الأهداف الإلهية، التي يقوم بإنجازها الإمام الشَيَّك.

⁽۱) النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي: ج ١ ص ٣١؛ وكذا لاحظ: سنن أبي داود؛ كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي: ج ٢ ص ٢٢٩، ح ٤٣٤٢؛ تهذيب الكمال، المزي: ج ٢٢ ص ٥٢٧، عند أحمد، أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ١٣٣ باختلاف في اللفظ؛ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج ٤ ص ٤٦٧.

⁽۲) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج۲: ص ۳۹۰؛ النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير الدمشقي: ج١ ص ٥٥ تاريخ دمشق، ابن عساكر: ج ٧٠ ص ٣٥؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٢ ص ٦٢٣، ج٨ ص ٢٨٠؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١١: ص ١٥٨؛ انظر صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قصة يأجوج ومأجوج: ج٢ ص ٣٤٧ ح ٣٤٣؛ وانظر صحيح مسلم؛ كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج: ص ٢٢٠٧ ح ٢٢٠٠٠.

إذن فالغيبة تفسح المجال لكي يتضح بطلان كل ما يرفع من شعارات مُزيّفة ومُغرضة، مهما كان مصدرها، سواء أكانت من المدارس المادّية أم من مدارس ذات أصول سماوية منحرفة، وبذلك يتبين فشل كل ما يرفع من الشعارات التي نراها براقة في يومنا هذا، كأطروحة العدالة العالمية، ومحاربة الإرهاب، ومنظمة حقوق الإنسان وغيرها، ومن ثم تسقط مصداقيتها لدى الناس، وينكشف زيفها وكذبها، وتتضح سياساتها العنصرية ونواياها السيئة، وكذا يتضح عجز العقل البشري عن تلبية ما تطمح إليه الفطرة البشرية من السعادة الكاملة، وإقامة العدل على هذه الأرض.

وهذا بدوره يشكل عاملاً مهماً في نجاح الأطروحة الإلهية على يد الإمام المهدي المناس معه.

ولعل روايات الفتنة والتمحيص المتقدمة تشير إلى ذلك، وتؤكد على عجز الإنتاج البشري عن تقديم ما تطمح إليه البشرية من العدل، ورفاهية العيش والأمن في هذه الدنيا.

رابعا: تجلي مفهوم الانتظار في أحضان الغيبة

إن إحساس الفرد المؤمن بوجود الإمام المينالا، واطّلاعه عن كشب على أوضاع المجتمع عموماً، يساهم في حصول الاطمئنان والثبات النفسي عند المؤمنين، وبذلك تزداد صلتهم بالإمام المينالا، ويتغلغل إيمانهم به وبعقيدته إلى داخل أعماقهم، ومن ثم تكون عقيدتهم بإمامهم عقيدة راسخة، وهو معنى الانتظار الذي يعد من الركائز الأساسية التي اهتم بها القرآن الكريم

والرسول الأكرم مَنْ الله الله عَمْدُ وأهل بيته الله الله الله الله الله والمجتمع قال تعالى: ﴿فَانتَظُرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظرينَ ﴾ (١).

وقد أولى النبي مَنْ الله عناية خاصة بمفهوم الانتظار، وهذا ما نجده واضحاً من خلال كثافة الروايات الواردة في هذا السياق، فقد جاء عن النبي مَنْ الله قوله: « أفضل العبادة انتظار الفرج» ".

وقال مِنْ اللَّهُ اللَّهُ الله « انتظار الفرج بالصبر عبادة » ".

وعنه مِنْ اللَّهِ اللهِ عنه مِنْ اللهِ الله

وقال مِنْ اللهُ عبادة» (٥). وقال مِنْ الله عبادة» (٥).

وقال مِنْ اللَّهِ اللَّهِ الْفضل أعمال أمتي انتظار الفرج» (٦).

وقوله ﷺ «أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج» ().

وقال صَّرَاطُكِيِّكِ: «أفضل العبادة انتظار الفرج، أي انتظار الفرج بظهور المهدي» (^.)

⁽١) الأعراف: ٧١.

⁽۲) سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٢٢٦، مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص١٤٧، الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص١٩٢؛ المعجم الكبير للطبراني: ج٥ ص١٠١، المعجم الأوسط للطبراني: ج٥ ص٢٣٠.

⁽٣) الجامع الصغير: الطبراني: ج ١ ص ٤١٧؛ لسان الميزان، ابن حجر: ج ٤ ص ٣٦٢، مسند ابن سلامة: ج ١ ص ٣٦٢.

⁽٤) دستور معالم الحكم، ابن سلامة: ص١٠٣.

⁽٥) الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص٤١٧.

⁽٦) الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي: ج١ ص٧٧؛ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ج٣ ص٧٧.

⁽٧) تحف العقول، ابن شعبة: ص٣٧.

⁽٨) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص٩٩٧؛ لسان الميزان، ابن حجر: ج٣ ص٩٩٠.

فالانتظار يمثل عنصر التوازن في حياة المؤمن وحالة وسطى بين القنوط واليأس من روح الله، وبين حرمة الأمن من مكر الله، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١).

ومن خلال الانتظار يتوجه الإنسان إلى ربه، ويتمسك بإمامه، ويطلب الفرج من الله عَلَيْهِ عَلَيْ

كذلك نجد أن الانتظار في واحدة من أبعاده هو الإيمان بالغيب، ومن ثم يحمل الفرد على العمل والتعبد بعقيدته، ويكون محبّاً للعدل كارهاً للظلم، وبذلك يوجّه نفسه، وسائر إخوانه المؤمنين إلى ما فيه الخير والصلاح للمجتمع.

وكذلك نجد أيضاً أن الانتظار يحمل في طياته دفع المؤمن وحثّه على الامتثال والالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهية، ليكون فرداً صالحاً مؤهلاً للعضوية في مجتمع العدالة الكبرى، ومن ثم يكتسب المؤمن الإرادة القوية، والإخلاص الحقيقي الذي يؤهّله للمشاركة والتشرف بتحمل المسؤولية الكبيرة في اليوم الموعود، فيزداد تعلقه بالأنبياء ورسالاتهم، وتجديد العهد معهم، ومع الإمام علينك الذي يحقق هدف الأنبياء على هذه الأرض، وكل هذا إنما يتجلى وتشتعل جذوته إذا أحس الإنسان بوجود المصلح حياً يرزق قد حفظه الله تعالى وادخره لإنجاز

⁽۱) يوسف: ۸۷

⁽٢) سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٢٢٦، مجمع الزوائد، الهيثمي: ج١٠ ص١٤٧، الجامع الصغير، السيوطي: ج١٠ ص١٤٧، المعجم الأوسط، الطبراني: ج٥ ص ٢٣٠.

مهمّة الإصلاح.

خامسا: عدم انقطاع سلسلم حجج الله في الأرض

إنّ الغيبة من الوسائل المهمة للحفاظ على وجود الحجّة الإلهية في الأرض، وعدم خلوّها من تلك الحجة، كما قال رسول الله مَنْ اللهُ اللهُ

ولا يخفى الأثر المهم والدور الأساس لوجود حجة الله في الأرض، من كونها أماناً لأهل الأرض، كما قال عَلَيْكَ الله النجوم أمان لأهل السماء، إذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض» (٢).

وقال عَنْ الله الله الله الله الله الله الله عنه من قريش، فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها» (٣).

⁽۱) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص٢٥٥؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٩٨٠ المناقب، الخوارزمي: ص٢٠٦.

⁽٢) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل:ج٢ ص١٦٥؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج١ ص٢٢٤؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص١٧٠ وح٢ ص١١٤؛ ذخائر العقبى، محب الدين الطبري: ص١٧؛ ونحوه في المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٢ ص٤٤٨ ج٣ ص١٤٩ ص٤٥٧؛ جواهر المطالب: ابن الدمشقى الشافعي:ج١ ص٣٤٣.

⁽٣) المعجم الكبير، الطبراني ج:٢ ص١٩٦؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص٣٤.

⁽٤) المعجم الكبير، الطبراني: ج٣ ص ٤٥، ح٢٦٣٢؛ مسند ابن سلامة: ج٢ ص٢٧٣.

وقال عَلَيْكَاكُ: «النجوم جعلت أماناً لأهل السماء، وإن أهل بيني أمان لأمتي» (١). وقال عَلَيْكَاكُ: «كيف تهلك أمّة أنا أوّلها، وعيسى بن مريم آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها» (٢).

مضافاً إلى أن غيبة الإمام المينك تؤمّن إتيانه بالإسلام الخالص، كما أنزله الله تعالى حين الظهور؛ لأنه سوف يكون وارثاً عن أبيه عن آبائه المينك عن رسول الله من الإسلام الصحيح، وتفاصيله التي أملاها الرسول الله على الإمام على الإمام على الإمام على الإمام على المنتك وكتبها بخطه.

أضف إلى ذلك أن وجود الحجة والإمام في الأرض لطف من الله تعالى - كما تقدم- وإتمام للحجة البالغة على خلقه، أمّا الغيبة فهي لأسباب وظروف اقتضت ذلك، وقد تقدم ذكر بعضها.

سادسا: لكي لا تكون في عنقه بيعت لظالم

وهذا من معطيات الغيبة أيضاً؛ لأن أئمة أهل البيت المَهَ كُلُهم أجبروا وأكرهوا على البيعة للحكام الظالمين، ابتداءً من الإمام على البيعة للحكام الظالمين، ابتداءً من الإمام على البيعة الحكام الظالمين، ابتداءً من الإمام على البيعة الحكام الظالمين، ابتداءً من الإمام على البيعة المحكام الطالمين، ابتداءً من الإمام على البيعة المحكام الطالمين، ابتداءً من الإمام على المحكام ال

⁽١) المعجم الكبير: ج٧ ص٢٢.

⁽٢) الدر المنثور: ج٢ ص ٧٤٢؛ الجامع الصغير السيوطي: ج٢ ص ٤٢٣؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٧٤ ص ٥٢٢، ونحوها في المستدرك: الحاكم النيسابوري: ج٣ ص ٤١؛ قال فيه (حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، فيض القدير: ج٥ ص ٣٨٣.

الإمام الحسن العسكري السِّك.

والبيعة من الإمام المعصوم تعني إعطاء عهد يطوق به عنقه ويكبله ويقضى بعدم محاربة الظالم في حال لزومها.

وهذا قضاء إلهي لآباء الإمام المهدي الله بعد استشهاد الإمام الحسين التيال، كما قال هو التيالا: «... وأما علّة ما وقع من الغيبة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ اللهِ اللهِ اللهِ للم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي "(۲).

فالإمام المهدي الشِّك لكونه معداً سلفاً من قبل الله تعالى، ومرصوداً لإبادة الظلم والظالمين، فإذا كانت في عنقه بيعة، فكيف يقاتلهم؟

وإذا بادرهم بالقتال بدل الغيبة مع عدم توفر شرائط القيام والمواجهة مع الطواغيت، فسيؤدي ذلك إلى عدم الوصول لهدفه المرصود له، ولذا وردت الروايات من الفريقين تقرر هذا المعنى:

ا عن أمير المؤمنين المسلطة «إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه» (٣).

٢- ما أخرجه الأربلي عن الإمام الحسن بن علي الشياع قال: «أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلا الإمام القائم، الذي يصلي روح

⁽١) المائدة: ١٠١.

⁽٢) الغيبة، الطوسي: ص٢٩٢؛ كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص٠٣٤.

⁽٣) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص٣٠٣.

الله عيسى بن مريم عليه خلفه، فان الله عز وجل يخفي ولادته، ويغيب شخصه؛ لئلا يكون في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين، ابس سيدة الإماء، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته...»(١).

٣- ما أخرجه أيضاً عن الإمام الحسين المسكن الناس التعلق عن الناس ولادته، حتى يقولوا لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة»(٢).

عن الإمام علي بن الحسين السلام القائم منا تخفى ولادت على الناس
 حتى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة "".

٥- عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه «يقوم القائم وليس الأحد في عنقه بيعة »(٤).

٦-عن الإمام علي بن موسى الرضاطين قال: «كأني بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي، كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت له: وَلَـمَ ذَاكَ يَـا بَـن رسول الله؟ قال عَلَيْكُ : لأن إمامهم يغيب عنهم، فقلت وَلِمَ؟ قال عَلَيْكُ : لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»(٥).

مضافاً إلى أن وجود الإمام المشكل، مع غيبته له الأثر البالغ في إثارة الخوف والرعب في صفوف الظالمين، وهذا ما نلمسه ونشاهده بالوجدان

⁽١) كشف الغمة، الأربلي: ج٣ ص ٣٢٨-٣٢٩.

⁽٢) المصدر نفسه: ج٣ ص ٣٢٩.

⁽٣) المصدر نفسه: ج٣ ص ٣٢٣.

⁽٤) الإمامة والتبصرة، ابن بابويه القمي: ص١٦٦؛ الكافي، الكليني: ج١ ص ٣٤٢.

⁽٥) علل الشرائع، الصدوق: ج ١ ص ٢٤٥، عيون أخبار الرضا، الصدوق: ج ٢ ص ٢٤٧، بحار الأنوار: ج ٥ ص ١٥٢.

في تصريحات كبار المسؤولين في دول العالم كأمريكا وغيرها من دول الغرب، من تخوفهم من ظهور رجل من حضارة بابل يقضي عليهم، لذا نجد أنهم حشدوا قواهم لمواجهته.

سابعا: الغيبة سرالهي

في البداية نقول: ما كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حان وقته، ولا كل ما حان وقته حضر أهله.

ومن هنا ينبغي علينا عدم إغفال الجانب الغيبي في الدين، إذ أن الكثير من الأمور لم يطلعنا الله تعالى على حكمتها والغاية منها، فليس كل ما يفعله الله تعالى نستطيع أن نعرف وجه الحكمة من ورائه، وإلا فما هي الحكمة في حياة نبين رفعهما الله تعالى إليه ؟ وما الحكمة من حياة نبين يسيران في الأرض؟ وما الحكمة من نزول عيسى المينا مع المهدي المينا ولماذا لا يخبرنا القرآن بذلك ؟

فالغيبة سرّ على حدّ أسرار الغيب، التي لا يكشفها الله تعالى إلاّ لمن ارتضى من أوليائه، ويبقى الأمر الذي خفيت الحكمة من ورائه مثاراً للتعجب والاستغراب، فهذا موسى للسِّك، وهو نبي من أنبياء الله تعالى، كان يظهر التعجب من عمل الخضر السِّك، فكيف بمن هو مثلنا، نحن القاصرون عن إدراك كنه الحقائق، ثم نأتي لنجادل فيها ؟!

هذا وقد تضافرت الروايات الواردة عن أهل البيت البين في أن للغيبة حكمة لا يعلمها إلا الله تعالى، ومن ارتضى من أوليائه.

فقد جاء عن الإمام الصادق السِّك: «إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها، فـسأله

سدير: وَلَمَ ذَاكَ يَا بَن رَسُولَ الله؟ قَالَ لِلسَّلِا: إِنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبِي إِلاَ أَن يَجْرِي فَيه سنن الأنبياء لليَّكِ في غيباتهم، وأنه لا بد له يا سدير من استيفاء عدد غيباتهم، قال تعالى: ﴿لَتُرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (١) (٢).

ثم إنه مع الإيمان بضرورة الإمامة، والاعتقاد بأئمة أهل البيت المهلان، بمقتضى الأدلة الثابتة في محلها، من الآيات والأحاديث، لا يبقى مجال للتساؤل، والتشكيك في وجود الإمام؛ لكونه غائباً.

فلعل في عدم الوقوف على العلّة الأساسية من الغيبة، سر من أسرار غيب الله تعالى، لم يطلعنا عليه، لا سيما مع إنباء وتصريح الرسول الأكرم مِن الله تعالى، لم يطلعنا عليه، لا سيما مع إنباء وتصريح الرسول الأكرم مِن الله عنية الإمام المهدي المين الله الله عباس وغيرها، وفي رواية أخرى لجابر: قال: قال رسول الله: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة، تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، فيملؤها عدلاً، كما ملئت جوراً» ".

وذلك فضلاً عن الروايات المتواترة عن أوصياء رسول الله عَنْ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّاللَّ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا

وكذا تقدم في بعض الروايات عدم اشتراط كون الحجّة والإمام ظاهراً، كما ورد عن أمير المؤمنين المينان الله وله: «اللهم كلا! لا تخلوا الأرض من قائم بحق، إما ظاهر مشهور، وإما خائب(٤) مغمور، لئلا يبطل حجج الله عزّ وجل،

⁽١) الانشقاق: ١٩.

⁽٢) علل الشرائع، الصدوق: ج ١ ص ٢٤٥؛ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ص ٤٨١-٤٨١.

⁽٣) كشف الغمة، الأربلي: ج ٣ ص ٣٢٧؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج ٣ ص ٣٨٦.

⁽٤) ولعل الصحيح كما في كثير من المصادر «خائف».

وبيّناته»^(۱).

وعنه السيلاً قال اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة إما ظاهر مستور وإما خائف مغمور لأن لا تبطل حجج الله وبيناته (٢).

هذا وقد تتضح الحكمة حينما يأتي الوقت المناسب لها، ولذا نجد أن الخضر المينالي يقول لموسى المينالي لو صبرت لا تضحت الحكمة.

وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٣).

إذن بعد أن قامت لدينا الأدلة القاطعة على ضرورة وجود حجة الله في الأرض، وآمنا بأنّه الإمام المهدي الحجّة ابن الحسن العسكري، وأنّه مولود وقد طوّل الله عمره الشريف بحكمته، فإن النتيجة الحتمية هي الإيمان بغيبته الطويلة، فإن الإمام إمام قام أو قعد، غاب أو ظهر، وسواء اطلعنا على سرّ من أسرار غيبته أم لم نطلع، ولا غرابة في ذلك بعد أن كانت حياة الأمّة وحركة البشرية حافلة بالأمور التي خفيت علينا أسبابها، وغابت عنا حكمتها.

⁽۱) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢، ص٢٠٦، تاريخ مدينة دمشق: ج٥٠ ص٢٥٥، كنز العمال، المتقي الهندي: ج ١٠ ص٢٦٣، (أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف، والمرهبي في العلم، ونصر في الحجة)؛ المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسكافي: ص٨١، مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص٢٧٥؛ دستور معالم الحكم، ابن سلامة: ص٨٤

⁽٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٠ ص ٢٥٥، وانظر كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٠ ص ٢٥٣، وانظر كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٠ ص ٢٦٣، (أخرجها عن ابن الأنباري في المصاحف، والمرهبي في العلم، ونصر في الحجة)؛ مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان القاضي: ج٢ ص ٢٧٥؛ وانظر دستور معالم الحكم، ابن سلامة: ص ٤٥٤ وانظر ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج٣ ص ٤٥٤.

⁽٣) المائدة: ١٠١.

دعوى المهدوية والسفارة

في خاتمة هذا البحث نود إلقاء الضوء على ظاهرة ادعاء المهدوية والسفارة عن الإمام المهدي السلطة كذباً وزوراً، مستغلين السذاجة والبساطة وغياب الوعي الديني الذي يعيشها بعض الناس، مستخدمين في ذلك شتى الوسائل الشيطانية من قبيل السحر والشعوذة وتسخير الجن ونحوها، مضافاً إلى ما يتلقاه هؤلاء المدعين للمهدوية والسفارة من دعم كبير من السياسات الاستعمارية، التي جهدت إلى بروز وانتشار هذه الدعوات.

مدعي المهدويت والسفارة في التاريخ الإسلامي

ذكر الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عدد ممن ادعوا النيابة والسفارة الخاصة للإمام المهدي المناع كذباً ، منهم:

١-الرجل المعروف بالشريعي

حيث قال: «كان الشريعي يكنى بأبي محمد... وكان من أصحاب الإمام أبي الحسن علي بن محمد الله فيه وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه ولم يكن أهلاً له وكذب على الله وعلى حججه المهلي ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، فلعنته الشيعة وتبرأت منه، وخرج توقيع الإمام المين بلعنه والبراءة منه... ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد» (۱) وقد كانت دعوته تقتصر على السذج من الناس الذين لم يتسلحوا بالوعي الديني.

⁽١) الغيبة، الطوسي: ص٣٩٧.

٢_محمد بن نصير النميري

حيث قال الشيخ الطوسي: «كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي العسكري لليَّكِ فلما توفي أبو محمد لليَّكِ ادعى أنه صاحب إمام الزمان وادعى له البابية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل... وكان يقول بالتناسخ ويغلو في أبي الحسن لليَّكِ ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم...» (١).

٣_أحمد بن هلال الكرخي

حيث كان من أصحاب أبي محمد للسلط فلما اجتمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان (رض) بنص الإمام الحسن للسلط في حياته، وبعد وفاة الإمام الحسن العسكري للسلط قالت الشيعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه وقد نص عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم: لم أسمعه ينص عليه بالوكالة... فقالوا له قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، عند ذلك نفته الشيعة وتبرؤوا منه، ومن ثم لعنه وتبرأ منه الإمام صاحب الزمان للسلط في التوقيع على يد أبي القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه في جملة من لعن» (٢).

ك أبو طاهر محمد بن علي بن بلال

وله قصة معروفة حيث أنه تمسك بأموال الإمام السَّلُا التي كانت عنده وامتنع عن تسليمها، بذريعة أنه وكيل الإمام المهدي السِّلُا، ولذا تبرأت منه

⁽١) الغيبة، الشيخ الطوسي: ص٣٩٨. - ٣٦٩ وح ٣٧١.

⁽٢) المصدر نفسه.

4 . 1

الشيعة ولعنوه»(١).

٥-الحسين بن منصور الحلاج

وقد فضحه الله تعالى وأخزاه، وذلك عندما ادعى الوكالة والنيابة الخاصة للإمام المهدي الميال كذباً.

المحمد بن علي بن أبي العزاقر المعروف بالشلمغاني

كان من أعلام الشيعة وألف كتباً في التشيع ولكنه لمناقشة جرت بينه وبين الحسين بن روح النوبختي أعلى الله مقامه الشريف النائب الثالث للإمام المهدي للسلام خرج عن طوره، وراح يدعي دعاوى باطلة ويدعي أخباراً كاذبة عن الإمام للسلام إلا أن الإمام للسلام لعنه في أحد توقيعاته ومن ثم ظهر أمره وشاع كذبه.

وغير ذلك كثيرون، إذ يصعب بل من المستحيل إحصاء عدد الذين ادعوا المهدوية أو النيابة الخاصة في التاريخ الإسلامي، وذلك لأن منهم من اقتصرت دعوته على عدد ضئيل من المغفلين ولم تحصل لهم قوة وشوكة، فبقيت أمانيهم وأحلامهم مدفونة في صدورهم، ولذا أغفل التاريخ ذكر أسمائهم ومدعياتهم.

الدليل على بطلان دعوى المهدوية والسفارة في عصر الغيبة الكبرى

هناك مداً استدلالياً واسعاً لإبطال دعوى المهدوية والسفارة للإمام المهدي في عصر الغيبة الكبرى، منها: قيام الإجماع على انقطاع النيابة

⁽١) المصدر السابق نفسه.

الخاصة للإمام المهدي الميالي الله فرورة المذهب على ذلك:

انقطاع السفارة والنيابة الخاصة للإمام المهدي من ضروريات مذهب الإمامية.

إن مسألة انقطاع النيابة الخاصة والسفارة للإمام المهدي البيالي في عصر الغيبة الكبرى من ضروريات مذهب الشيعة الإمامية التي تعلو على البرهنة والاستدلال، ومن جملة ما ورد في ذلك التوقيع المبارك «بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك، فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم أمامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره؛ وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة إلا من ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاّب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» (١).

وقد روي الشيخ الطوسي: «إن كل من ادعى الأمر [أي أمر السفارة للإمام السينة الإمام السينة الإمام السينة الإمام السينة الله الله فهو كافر منمس ضال مضل وبالله التوفيق» (٢).

وقد تواترت الروايات على انقطاع النيابة الخاصة عن الإمام إلى حين حصول الصيحة السماوية التي هي من العلامات المحتومة لظهور الإمام المشكل، فقبل ظهور الصيحة لا نيابة خاصة ولا سفارة وكل من ادعى ذلك فهو كاذب مفتر.

⁽١) الغيبة، الطوسي: ٣٩٥.

⁽٢)المصدر نفسه: ص ٤١٢.

والمقصود من ادعاء المشاهدة هو السفارة أو النيابة الخاصة في عصر الغيبة الكبرى.

الفهم الصحيح لعلامات الظهور

إن بعض علامات الظهور تمتاز بخصوصية معينة، وقد استغل أدعياء المهدوية والسفارة الخاصة هذه الخصوصية للحصول على مآربهم وأغراضهم.

عند إجراء مسح ميداني لعلامات الظهور نجد أن جملة منها تنطوي على لغة الرمز والإشارة التي تجعل إمكان تطبيق هذه العلامات على أكثر من مصداق وفي كل الأوقات، من قبيل ما أشار إليه الرسول الما أحاديث متظافرة أن المهدي لا يخرج إلا بعد انتشار الظلم والفساد.

ومن الواضح أن مثل هذه العلامة للظهور وهي انتشار الظلم والفساد نجدها تنطبق على كثير من الأزمنة إن لم نقل جميعها، وهذا ما نلمسه من الأسئلة الموجه لأهل البيت في وفي زمن حضورهم وقبل مولد الإمام المهدي المناه حيث كان الناس يسألون الأئمة في بأن الظلم قد انتشر فأين المهدي الموعود، وغير ذلك من الاستفهامات.

وهذه الحالة وهي ملائمة بعض علامات الظهور لكل زمان استغلها المدعون للمهدوية في حملاتهم الدعائية للتأثير على الناس وإغرائهم بأن وقت الظهور بسبب انتشار الظلم والفساد في الأرض.

وعلى هذا الضوء يجب الالتفات إلى مثل هذه الأساليب التي يستغلها هؤلاء الدجالين لإضلال الناس وإغرائهم، لكي لا نكون فريسة سهلة

لمثل هذه الدعوات الضالة والمنحرفة التي تستهدف العمل على تشويه حركة الإمام الميناه.

الخلاصت

١- إِنَّ الله تعالى قد وعد في كتابه الكريم بإقامة العدل الإلهي في كل ربوع الأرض، كما في قوله تعالى ﴿وَنُويِدُ أَن تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْض وَنَجْعَلَهُمْ أَنَمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (١).

7- إن تحقق هذا الهدف يكون على يد الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت المحمدية وأنهم يمثلون امتداداً للرسالة المحمدية وأنهم المعصومون المطهرون كما نص على ذلك القرآن الكريم في عدد من الآيات كآية التطهير والمودة والمباهلة فضلاً عن السنة النبوية كحديث الغدير والثقلين وحديث الاثنى عشر.

٣- شاءت الحكمة الإلهية أن يكون تحقق هذا الهدف بشكل طبيعي وليس إعجازياً، وهو ما جرت عليه السنن الإلهية في هذا العالم، إلا في الظروف الاستثنائية التي تتوقف على الإعجاز، وعلى هذا الضوء فلابد من اكتمال جميع الشرائط لكي يتحقق الهدف والغرض الإلهي.

3- إن من أهم العوامل المساهمة في تحقيق واكتمال شرائط إقامة العدل هو غيبة الإمام المهدي الله فجاءت الغيبة ضمن تخطيط إلهي محكم، لكى تتولد شرائط وأجواء مهمة النهوض بالعدل العالمي في دولة

⁽١) القصص: ٥.

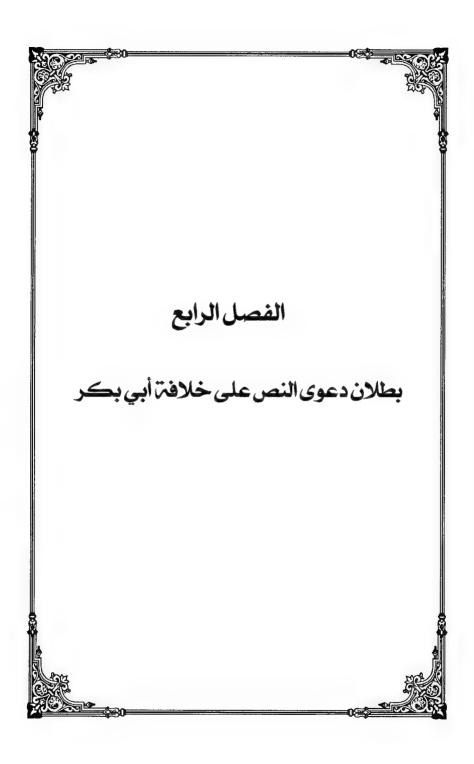
الإمام المهدي الله وقد أشارت لذلك نصوص نبوية وافرة.

0-حيث إن استمرار ودوام الإمامة لطف إلهي، لحفظ الدين وعزته، وكذلك للحفاظ على الرسالة الإسلامية من الانحراف والاندراس؛ لأنهم عدل القرآن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطرهم تطهيراً، وهذا ما أكدته جملة من الروايات التي نصّت على ضرورة وجود الحجة في الأرض، لأنه لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها إلى جانب تأكيد النبي عَيَّلِهُ على ضرورة التمسك بأهل البيت الميَّكُ وأنهم هم الأمان لأهل الأرض، فعلى هذا الأساس تمثل الغيبة لطف إلهي، لحفظ وجود الإمام من خلالها، وإلا يكون الإمام عرضة للقتل، وبالتالي لا يتحقق الهدف والغاية الإلهية من وجوده المبارك الميَّكُ.

7- إن هوية وحقيقة الغيبة هي خفاء العنوان واستتار الهوية وليس خفاء شخص الإمام للتباع وإن كان ذلك قد يحصل أيضاً إذا اقتضت الضرورة؛ وذلك لأن الغيبة حالة استثنائية يقتصر فيها على القدر الذي ترفع به الضرورة، وهو خفاء العنوان لا غير، وقد سلّطت الروايات الضوء على هذه الحقيقة، مشيرة في بعضها إلى أن غيبة الإمام المينا كانت سنة شبيهة بغيبة بعض الأنبياء، كما هو الحال في غيبة موسى وعيسى الميناك.

٧- أما الفائدة من الإمام الغائب فقد وردت روايات متضافرة في بيان فائدة الإمام في غيبته كانتفاع الناس الإمام في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها السحاب^(۱)، ونحوها وأخيراً ذكرنا إن من جملة فوائد وجود الإمام المينا غائباً هو ممارسة دوره بشكل خفي.

⁽١) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي: ج١ ص٦٧ ج٣ ص٢٣٩ ص٣٩٩.



خلافت أبي بكر

الشبهت:

كيف يُعترض على خلافة أبي بكر مع وجود النص عليها من قبل الرسول الأكرم عليها من الله المرسطة ال

الجواب:

ليس المهم المدعيات وما ترفع من متبنيات، بل المهم طبيعة الأدلة التي يقيمها كل طرف على صحة موقفه ومتبيناته، ومن تلك الدعاوى الباطلة، هي دعوى البعض بوجود النص على خلافة أبي بكر، إلا أن بطلان هذه الدعوى من البديهيات المستغنية عن البرهنة والاستدلال، لكننا ولأجل أن تكون الإجابة واضحة ينبغي أن نقف على جذور هذه الشبهة ودوافعها، وفي بداية الولوج في المناقشة نذكر:

أولا: الروايات الصحيحة وأقوال الصحابة الصريحة الدالة على عدم النص على أبي ك

۱- ما ورد عن أبي بكر، إنه قال في مرضه الذي مات فيه: «وددت أنسي سالت رسول الله عَنْ الله الأمر؟ فلا ينازعه أحد، ووددت أنسي كنت سألته، هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟» (۱)، ولا ريب إن حقيقة التعبير بسالته، هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟» (وددت إني كنت سألته..)، يكشف عن عدم وجود نص على أبي بكر،

⁽١) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري: ج٢ ص ٩٢٠؛ وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٣٠ ص ٤١٨.

وإلاَّ فلا معنى لقوله (وددت..).

٢- قول أبي بكر: «إنّ الله بعث محمداً عَلَيْلَهُ نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن الله تعالى بمقامه بين أظهرنا، حتى اختار له الله ما عنده، فخلّى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم، متفقين غير مختلفين، فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً» (١).

٣- ما صح عندهم، عن عمر أنه قال: «ثلاث لأن يكون رسول الله بينهن أحب إلي من حمر النعم: الخلافة، الكلالة، الربا» (٢).

3- ما ورد عن عمر أيضاً، قوله: «لأن أكون سألت رسول الله عَلَيْرَالهُ عن الله عَلَيْرَالهُ عن ثلاث أحب إلي من حمر النعم، من الخليفة من بعده، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

٥-كذلك عن عمر أنه قال: «إن الله تعالى يحفظ دينه، وإنسي إن لا أستخلف فان رسول الله لم يستخلف» (٣).

٣- ما ورد عن عائشة قولها: «لو كان رسول الله مستخلفاً لأستخلف أبا بكر أو عمر» [قال الحاكم في مستدركه] «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» (٤).

٧- ما روي عن ابن عباس قال: «قالوا للنبي ﷺ يا رسول الله، استخلف علينا بعدك رجلاً نعرفه وننهى إليه أمرنا، فإنّا لا ندرى ما يكون بعدك، فقال:

⁽١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري: ج١ ص٣٢.

⁽٢) السنن الكبرى، البيهقي: ج٦ ص٢٢٥؛ ونحوه المصنف، الصنعاني: ج١٠ ص٢٠٢.

⁽٣) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج١ ص٤٧؛ السنن الكبرى، البيهقي: ج٨ ص١٤٩.

⁽٤) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٦ ص٦٣؛ المستدرك، الحاكم: ج٣ ص٧٨؛ وغيرها من المصادر.

إن استعملت عليكم رجلاً فأمركم بطاعة الله فعصيتموه كان معصيته معصيتي، ومعصيتي معصية الله عز وجل، وإن أمركم بمعصية الله فأطعتموه، كانت لكم الحجّة علي يوم القيامة، ولكن أكلكم إلى الله عز وجل»(١).

٨- أخرج الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في كتابه «دلائل النبوة» عن عبد الله بن مسعود، يحكي عن ليلة الجن... - إلى أن قال: «ثم شبك أصابعه في أصابعي، وقال: إنّي وعدت أن يؤمن بي الجن والأنس فأما الأنس فقد آمنت بي وأما الجن فقد قال وما أظن أجلي إلا قرب، قلت: يا رسول الله ألا تستخلف أبا بكر، فأعرض عني، فرأيت أنه لم يوافقه، قلت يا رسول الله ألا تستخلف عمر، فأعرض عني فرأيت أنه لم يوافقه، قلت يا رسول الله: ألا تستخلف علياً، قال: ذلك والذي لا اله غيره لو بايعتموه وأطعتموه أدخلكم الجنة» (٢)، وهذه الرواية تدل دلالة واضحة وبشكل لا يقبل اللبس على عدم النص على أبي بكر، بل هي نص على العدم.

وثانيا: إنكار علماء السئم وجود نص دال على خلافة أبي بكرمنها:

١- ما ذكره القرطبي في تفسيره: «... والدليل على فقد النص وعدمه على إمام بعينه، هو أنّه على لو فرض على الأمّة طاعة إمام بعينه، بحيث لا يجوز العدول عنه إلى غيره لعُلم ذلك، لاستحالة تكليف الأمّة بأسرها طاعة الله في غير معيّن، ولا سبيل لهم إلى العلم بذلك التكليف، وإذا وجب العلم به لسم

⁽۱) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج١٦ ص١٦٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٠٦ ص١١؛ ونظر: كنز العمال، المتقى الهندى: ج١١ ص٢٣٢.

⁽٢) المعجم الكبير، الطبراني: ج١٠ ص٦٧.

يخل ذلك العلم من أن يكون طريقه أدلة العقول، أو الخبر، وليس في العقل ما يدل على ثبوت الإمامة لشخص معين، وكذلك ليس في الخبر ما يوجب العلم بثبوت إمام معين... وبطل أن يكون معلوماً بأخبار الآحاد، لاستحالة وقوع العلم به... وإذا بطل ثبوت النص لعدم الطريق الموصل إليه، ثبت الاختيار والاجتهاد... ثم لا شك في تصميم من عدا الإمامية على نفي النص، وهم الخلق الكثير، والحجم الغفير»(١).

٧- ما ذكره النووي في شرحه لصحيح مسلم: «سئلت عائشة: من كان رسول الله على مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر...»، قال: «وفيه دلالة لأهل السنة أن خلافة أبي بكر ليست بنص من النبي على خلافته صريحاً، بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضيلته، ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة من الأنصار وغيرهم أولاً، ولـذكر حافظ النص ما معه، ولرجعوا إليه، لكن تنازعوا أولاً، ولم يكن هناك نص، شم اتفقوا على أبي بكر واستقر الأمر» (٢). وقد قرره على كل ذلك القاري في كتابه المفاتيح (٣).

٣- وقال ابن حجر في فتح الباري: «قال القرطبي في المفهم: لو كان عند أحد من المهاجرين والأنصار نص من النبي على على تعيين أحد بعينه للخلافة لما اختلفوا في ذلك، ولا تفاوضوا فيه، قال: وهذا هو جمهور أهل

⁽١) تفسير القرطبي، القرطبي: ج١ ص ٢٦٥، ص ٢٦٦.

⁽٢) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٥ ص١٥٤.

⁽٣) مرقاة المفاتيح: ج٩ ص ٣٨٨٥.

السنة...» (١)

وقال ابن حجر أيضاً: «وأفرط المهلب فقال: فيه دليل قاطع في خلافة أبى بكر، والعجب أنه قرر بعد ذلك أنه ثبت أنّ النبي عَمَالُهُ لم يستخلف» (٢).

٥ قال الباقلاني في تمهيده: «وعلمنا بأن جمهور الأمّة، والسواد الأعظم منها ينكر ذلك _ النص _ ويجحده ويبرأ من الدائن به» (٤).

٧- قال ابن حجر الهيتمي في صواعقه: «وقال جمهور أهل السنة والمعتزلة والخوارج: لم ينص على أحد» (٦).

٨ وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: «فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة،
 وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، نحو: (لو كنت متخذا

⁽١) فتح الباري، ابن حجر: ج٧ ص٢٦.

⁽٢) المصدر نفسه: ج١٣ ص١٧٧.

⁽٣) تفسير المراغي، المراغي: ج٩ ص٤٣؛ ونحوه تفسير القرطبي، القرطبي: ج١٦ ص٣٧.

⁽٤) التمهيد، الباقلاتي: ص22٤.

⁽٥) الغدير، الأميني: بم ص ٣٥٧؛ عن المحاضرات، الخضيري: ص٤٦.

⁽٦) الصواعق المحرقة، ابن حجر: ص٤٢.

خليلاً)، فإنهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء، ونحو سدّ الأبواب..»(١).

٩- وقال النووي أيضاً: (إن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت، وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف، ويجوز له تركه، فإن تركه فقد اقتدى بأبي بكر» (٢).

١٠ قال عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق في معرض بيانه عقائد أهل السنة: «وقالوا: ليس من النبي عَلَيْ نص على إمامة واحد بعينه» (٣).

11- وقال أبو حامد الغزالي: «ولم يكن نـص رسـول الله على إمـام أصلاً، إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الـولاة والأمـراء على الجنود، ولم يحق ذلك، فكيف خفي هذا ؟ وإن ظهر، فكيف انـدرس حتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة» (٤).

ثالثا: الشواهد القطعية على عدم النص على أبي بكر، منها:

۱- ما اكتنفته السقيفة من أجواء الإرهاب، والصراع الذي بلغ أوجه إلى درجة أنه وصل حدّ العنف وإشهار السلاح، وما احتواه مؤتمر السقيفة من أدلّة، واحتجاجات بين الأطراف المتنازعة، وما تضمّنه من عبارات، من قبيل (أنتم أحق الناس به) و (منا أمير ومنكم أمير) و (نحن الأمراء وأنتم الوزراء)، وغيرها من العبائر، ولم نجد أن أبا بكر احتج بالنص على خلافته، مع حاجته الماسّة إلى ذلك، كحجة دامغة للغلبة على الطرف

⁽١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١١ ص٤٩.

⁽٢) شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٢ ص٢٠٥.

⁽٣) الفرق بين الفرق، البغدادي: ص ٣٤٠.

⁽٤) إحياء علوم الدين، الغزالي: ج١ ص١٣٩.

الآخر، ومما يدلل على عدم النص أيضاً قول أبي بكر: بايعوا عمر بن الخطاب، أو ابن عبيدة الجراح، وقد كشف عمر عن تلك الأجواء في خطبة له يصف فيها أحداث السقيفة، إذ قال في ختامها: «فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته» (١).

٢- تعبير عمر بقوله: إن بيعة أبي بكر فلتة ـ فإن التعبير بذلك دليل بحد ذاته على عدم النص لأبي بكر، بأي تفسير فسرنا معنى الفلتة، وإلا فلماذا تكون بيعة أبى بكر فلتة على حد تعبير عمر؟!!.

٣- اعتراف عمر بالنص لعلي الله لا غيره، وأنه منع الرسول الأكرم الله الله كالله منع الرسول الأكرم الله الله كالله من كتابة ما أراد كتابته حين وفاته.

فعن عمر في حديث له مع ابن عباس، يذكر فيه أمر الخلافة وحق علي الله في الله على الله من أمره ذرو من قول، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه، فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام! وربّ هذه البنية لا تجتمع قريش عليه أبداً» (٢)، وهو يلتقي مع مقولة أخرى له لابن عباس: «فما منع قومكم منكم قلت لا أدري: قال لكني أدري: يكرهون ولايتكم لهم، قلت لم ونحن لهم كالخير قال اللهم غفرا يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بجحاً بجحا» (٣).

⁽١) صحيح البخاري، البخاري: ج٤ ص ٢٧٥ ح ٤٤٣٥.

⁽٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١٢ ص ٢١.

⁽٣) تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ ص٢٨٨؛ ونحوه الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٣ ص٦٣؛ ونحوه شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١٢ ص٥٣.

وفي ثالثة قال: «ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه» (١). وفي رابعة قال في علي علي الله: «والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهـو بعد أقضى الأمة، وذو سابقتها، وذو شرفها.

فقيل له ذلك القائل: فما منعكم عنه يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهناه على حداثة السن وحبّه بني عبد المطلب» (٢).

وقد صرح بذلك أيضاً أبو عبيدة بن الجراج - أحد أعضاء الحزب ـ عندما قال لعلي الله ابن عم إنك حديث السن، وهؤلاء _ يعني أبا بكر وعمر _ مشيخة قومك... فسلم لأبي بكر هذا الأمر»(٣).

3- ما تجلّى بصورة واضحة، من اعتراف أبي بكر أنه أراد إكراه علي البيعة لولا وجود فاطمة إلى جنبه، حيث قال لعمر: «لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه» (ع)، وهذا يعني أن استيلاءه على السلطة لم يكن بطريقة شرعية ولا منصوص عليها، وإلاّ لو كان على الحق، فلماذا يكره علياً، ويتخوف من وجود فاطمة إلى جنبه، وهما اللذان لا يفترقان عن الحق، وقد أعرب علي الله عن إكراهه على البيعة بقوله، عندما لحق بقبر رسول الله على الله وهو يصيح ويبكي وينادي: «يا ابن أم إن القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني» (مع أن عدم شرعية خلافة أبي بكر القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني» مع أن عدم شرعية خلافة أبي بكر

⁽١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٦ ص٤٥.

⁽٢) المصدر نفسه: ج١٢ ص ٨٢

⁽٣) الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ ص٢٩؛ السقيفة، الجوهري: ص٦٣؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٦ ص١٢.

⁽٤) الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ ص٢٠.

⁽٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١١ ص١١١.

لخّصها أمير المؤمنين علي الله بعد إكراهه على البيعة، قال: (وإن بيعتبي لا تحق لهم باطلاً ولا توجب لهم حقاً».

⁽١) المستدرك، الحاكم: ج٣ص ١٢١، هذا الحديث صحيح الأسناد ولم يخرجاه؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٢ ص ٢٧٠.

⁽٢) صحيح البخاري، البخاري: ج٢ ص٤٣٥؛ السنن الكبرى، النسائي: ج٥ ص٩٧، ص١٤٨؛ خصائص أمير المؤمنين الله النسائي: ص١٢١؛ المعجم الكبير، الطبراني: ج٢٢ ص٤٠٤؛ كشف الخفاء، العجلوني: ج٢ ص٨٦٨؛ الجامع الصغير، السيوطي: ج٢ ص٢٠٨؛ وغيرها من المصادر.

⁽٣) المستدرك، الحاكم: ٣ ص١٥٤.

⁽٤) ميزان الاعتدال، للذهبي: ج١ ص٥٣٥ وج٢ ص٤٩٢.

⁽٥) صحيح البخاري، البخاري: ج٢ ص٢٨٢؛ صحيح مسلم، مسلم: ج٥ ص١٥٤؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج١ ص٢٠؛ السنن الكبرى: ج٦ ص٢٠١.

أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي عَلَيْكُ لأشكونكما إليه»(١).

0- كشفُ معاوية بطلان خلافة أبي بكر، وهذا ما نلمسه واضحاً في رسالته لمحمد بن أبي بكر حيث جاء فيها: «... فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما اختار الله لنبيّه على فضل ابن أبي طالب، وحقه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما اختار الله لنبيّه عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأبلج حجته، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتز حقه، وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتسقا، ثم أنهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم ثم أنه بايع لهما وسلم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما... أبوك مهد مهاده وبنى لملكه وسادة، فإن أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما... أبوك مهد مهاده وبنى لملكه وسادة، فإن من قبل ما نحن فيه صواباً، فأبوك استبلاً به ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلمنا إليه، ولكنا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا، فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع ذلك، والسلام على من قبلنا، فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع ذلك، والسلام على من أجاب» (٢).

آ- لو فرض وجود نص على أبي بكر، فإنه يلزم التناقض مع حشد وافر من الآيات القرآنية والنصوص النبوية، الدالة على إمامة على بن أبي طالب على، كآية الولاية، وآية أولي الأمر، وآية المباهلة، وآيات البلاغ، وحديث الدار، وحديث المنزلة، وحديث الطير، وواقعة الغدير وآياتها التي كان فيها أبو بكر وعمر من أول المهنئين للإمام على اللهما، وحديث

⁽١) الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ ص ٣١.

⁽٢) مروج الذهب، المسعودي: ج٣ ص ٢٢؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ص ٣٩٧؛ وقعة صفين، المنقري: ص ١٠١؛ السزاع والتخاصم، المقريزي: ص ١٠٢؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٣ ص ١٩٠.

٧- لا أدري أي معنى للنص على أبي بكر، مع أنه لو كان أبو بكر مؤهلاً أن يقود سرية صغيرة للجيش لأمّره رسول الله على قائداً لسرية أسامة بن زيد بدل أن يضعه جندياً عادياً، وهو ذو الشيبة البيضاء، تحت إمرة أسامة بن زيد الذي لم يتجاوز عمره العشرين سنة.

٨- احتجاج أبي بكر في السقيفة على أن الإمامة من قريش، فلو كان منصوصاً عليه لاحتج بذلك النص، وقوله: «أقيلوني أقيلوني فلست بخيركم»، يكشف عن عدم وجود نص، وعدم أفضليته على الآخرين، وعدم أهليته لذلك المقام.

٩-قول عمر لأبي عبيدة بن الجراح: «ابسط يدك أبايعك»، فلو كان
 هناك نص على أبي بكر لما جاز لعمر أن يبايع أبا عبيدة ابن الجراح.

•١- ذكرنا في الجواب عن حديث الاثني عشر: أنّه ليس له تفسير صحيح، ولا تطبيق واقعي، إلاّ على إمامة وولاية أهل البيت الميلا، أوّلهم علي الله وآخرهم المهدي الله كما ثبت ذلك بالأدلة القاطعة، وعلى هذا الأساس لا معنى لكون أبي بكر منصوصاً عليه، أو هو الخليفة الشرعي، بأي وجه كان، وإلاّ فسيكون حديث الاثني عشر خليفة كلّهم من قريش بأي وجه كان، وإلاّ فسيكون حديث الاثني عشر خليفة كلّهم من قريش

⁽١) راجع: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١١ ص٤٩.

باطلاً، وبطلانه يتنافى مع صحة الحديث وتسالم الفريقين على نقله في المصادر المعتبرة.

رابعا: معالم تحرك الحزب القرشي:

وقد برز هذا المنحى للتمرد على أوامر الرسول على بشكل واضح، عندما تخلف البعض - لا سيما أبو بكر وعمر - عن الالتحاق بجيش أسامة، ومن ثم تبعها تمردهم على النبي على ومنعه من كتابة ما أراد كتابته حين وفاته على في باعتراف عمر أن رسول الله على أراد أن يكتب كتابا يوصي فيه بالولاية والخلافة لعلي، وإني علمت ذلك فمنعته، وهذا الاعتراف الصريح بعصيان الرسول على مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبينًا ﴾ (١)، وقد برّر منعه للرسول على حين وفاته، بأن الرسول يهجر، وهذا خلاف القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ اللّهَوَى إِنْ هُوَ إِلاً وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (١).

والمصيبة الأعظم، هي تركهم رسول الله على الله على بعد وفاته مسجى على

⁽١) الأحزاب: ٣٦.

⁽٢) النجم: ٣-٤.

فراشه، واجتماعهم في سقيفتهم، يتداولون فيها مستقبلهم السياسي، والأغرب من ذلك أنهم لم يكن بينهم وبين واقعة الغدير التي نصب فيها رسول الله عَيْا الله عَيَا الله عَيْد إماماً وولياً وإلا سبعون يوماً فقط.

وكقوله أيضاً في عبد الله بن ذي الخويصرة عندما قال لرسول الله عَيْالله عَلَيْكُ الله عَلَيْكُ الله عَلَيْكُ «اعدل يا رسول الله، فقال عَلَيْ ويلك من يعدل إذا لم أعدل، قال عمر: دعني أضرب عنقه»(٢)، وعن أنس قال: جاء رجل من أهل الكتاب فسلم على النبي عَلَيْكُ فقال: «السلام عليكم، فقال عمر يا رسول الله ألا أضرب عنقه، قال عَمِينَ اللهِ الله الله على على على على الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (٣)، هذا مع أن عمر لم يعرف منه في مواطن الجد والضرب إلا الهرب كما هو الحال في معركة أحد وبالإسناد عن عبد الرحمن بن رافع أخو بني النجارة قال: انتهي أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر وطلحة بن عبد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قد قتل محمد رسول الله. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله! فاستقبل القوم فقاتل حتى قتل (٤) والخندق وحنين وغيرها (٥)، ولم ينقل لنا التاريخ أنه قتل كافراً في معركة، أو غزوة مع رسول الله ﷺ

(۱) صحيح البخاري، البخاري: ج۱ ص ۳۵۹، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؛ صحيح مسلم، مسلم: ج٨ ص ١٩٢.

⁽٢) صحيح البخاري، البخاري: ج٤ ص ٣٠٠، باب من ترك قتال الخوارج للتآلف وأن لا ينفر الناس عنه؛ صحيح مسلم، مسلم: ج٣ ص ١١٢.

⁽٣) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٨ ص ٤١.

⁽٤) جامع البيان، الطبري: ج٤ ص ١٥٠، البداية والنهاية، ابن كثير: ج٤ ص ٣٩، الدّر المنثور، السيوطي: ج٢ ص ٨٠ – ٨١

⁽٥) المستدرك، الحاكم: ج٣ ص٢٧، مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٦ ص١١٢؛ وصححه الـذهبي في تلخيصه؛ التفسير الكبير، الرازي: ج٩: ص٦٧؛ الدّر المنثور: السيوطي: ج٢ ص٨

Y-النزعة والأمل عندهم في أن يكون لهم دور كدور علي بن أبي طالب الله ورسوله على بن أبي طالب الله ورسوله على وهذا ما نلمسه واضحاً في تصرفاتهم وأفعالهم أمام المسلمين، كمبادرتهم إلى الإتيان بأعمال إعلامية من أجل التمويه بأنهم هم المعنيون في بعض الأحاديث والآيات والمواقف التي هي خاصة بعلي الله منها:

قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله قال عَلَيْنَ لا، قال له عمر: أنا هو يا رسول الله، قال على نعل يخصفها الله، قال على نعل يخصفها لرسول الله عَلَيْنُهُ (١).

ب - أمنية عمر في واقعة خيبر، عندما كان علي الله أرمد لا يبصر، فلم يستطع التواجد في بداية المعركة، وقد قاتل المسلمون يومين، يوماً كانت الراية فيه بيد أبي بكر، ويوماً كانت بيد عمر، فلم يفلحوا في الفتح، فقال النبي الأكرم الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يفتح الله عليه، جبريل عن يمينه، وميكائيل عن

⁽۱) راجع: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج ۱ ص ١٤٤؛ ج ٨ ص ٤٣٣؛ وقد وثق رواته الخطيب البغدادي؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج ٢٢ ص ٢٤٢؛ المناقب، الخوارزمي: ص ١٤٢. كنز العمال، المتقي الهندي: ج ١٣ ص ١١٥.

يساره، قال عمر ما تمنيت الإمرة إلا يومئذ، فلما كان الغد تطاولت لها، وفي رواية «فبات الناس متشوقين»، وما إلى ذلك من التعابير والتصريحات التي تكشف عن تمني كثير من الصحابة أن تكون الراية له، وأما عمر فقد صرح بقوله: تطاولت لها (۱)، فلما أصبح قال رسول الله عليه الدعوا إلي علياً رضي الله عنه، فأوتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه» (۱)، وقد صححها الهيثمي في مجمع الزوائد (۳).

ج ـ عندما قدم وفد ثقيف على النبي الشيرة قال لهم: «لتسلمن، أو لأبعشن اليكم رجلاً مني، – أو قال مثل نفسي – فليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم، قال عمر: والله ما اشتهيت الإمارة إلا يومئذ فجعلت أنصب صدري، رجاء أن يقول هو هذا، فالتفت إلى على فأخذ بيده، ثم قال: هو هذا، هو هذا» (3)، وفي رواية أخرى قول عمر: «فو الله ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ، فجعلت أنصب صدري رجاء أن يقول هو هذا» (6)، وفي رواية ثالثة: «فما أحببت الإمارة قبل يومئذ، فتطاولت لها واستشرفت» (7)، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: «أخرجه الطيالسي (رقم ٢٤٤١)...

⁽٢) صحيح مسلم، مسلم: ج٧ ص ١٢٠؛ وانظر صحيح البخاري، البخاري: ج٢ ص ٢٦١؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج١ ص ١٨٥.

⁽٣) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩ ص١٢٤.

⁽٤) أنساب الأشراف، البلادري: ص١٢٣ - ١٢٤.

⁽٥) جواهر المطالب في مناقب الإمام على الله ابن الدمشقي الشافعي: ج١ ص ٦٠؛ ذخائر العقبى: ص ٦٤؛ ذخائر العقبى: ص ٦٤؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص ١٥٣.

⁽٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: مج ١؛ القسم الثاني: ص٧٦٦.

ومن هذا الوجه أخرجه أحمد أيضاً... وهذا سند صحيح على شرط مسلم، وصححه ابن حبان $(25.27)^{(1)}$.

وفي خصائص النسائي: «فما راعني إلا كف عمر في حجزتي من خلفي، وقال: من يعني؟ قلت خاصف النعل» (٢)، وفي رواية أخرى: «ما إياك يعني ولا صاحبك، قال: فمن يعني: قلت: خاصف النعل» (٣)، والحديث روي في ينابيع المودة من عدة مصادر.

د - وعن أبي سعيد الخدري قال: «كنا جلوساً ننتظر رسول الله على الله على الله على الله على الله على الله فخرج إلينا فانقطع شسع نعله، فرمى به إلى علي الله فقال: إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله: قال أبو بكر أنا، قال عمر: أنا، قال: لا، ولكن خاصف النعل» (على رواية أخرى: «أنا هو يا رسول الله قال: لا، قال عمر أنا هو يا رسول الله قال: لا ولكن خاصف النعل» (٥)، وفي رواية: «فقال بعضهم أنا هو يا رسول الله، قال عمل قال؛ لا وقال:

⁽١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: مج ١؛ القسم الثاني: ص٧٦٦.

⁽٢) خصائص أمير المؤمنين، النسائي: ص٨٩

⁽٣) السنن الكبرى، النسائي: ج٥ ص ١٢٧-١٢٨؛ مناقب أمير المؤمنين: القاضي محمد بن سليمان الكوفي: ج١ ص ٤٦١؛ ونحوه شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٩ ص ١٦٧؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص ١٦٦٠.

⁽٤) خصائص أمير المؤمنين عليه النسائي: ص ١٣١؛ ونحوه تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٢ ص٤٥٣.

⁽٥) مستدرك الحاكم، الحاكم النيسابوري: ج٢ ص١٣٨، قال فيه (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه)؛ صحيح ابن حبان، ابن حبان: ج١٥ ص ٣٨٥؛ مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٥ ص ١٨٦؛ مال فيه (رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح)؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ج٦ ص ٢٤٣؛ المصنف، الصنعاني: ج٧ ص ٤٩٧؛ خصائص أمير المؤمنين، النسائي: ص ١٣١؛ مسند أبي يعلى، أبي يعلى الموصلى: ج٢ ص ٣٤١.

آخر أنا هو قال: لا ولكن خاصف النعل»(١)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١).

هـ – وعن عمران بن حصين قال: «بعث رسول الله على جارية، فأنكروا عليه عليه معلي بن أبي طالب، فمضى في السرية، فأصاب جارية، فأنكروا عليه، وتعاقدوا أربعة من أصحاب رسول الله على فقالوا: إن لقينا رسول الله المسلمون إذا رجعوا من سفر بدأوا برسول الله على بما صنع علي، وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدأوا برسول الله السلموا عليه فسلموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على النبي على بن أبي طالب صنع كذا وكذا، فأعرض عنه رسول الله الم تم قام الثاني، فقال مثل طالب صنع كذا وكذا، فأعرض عنه رسول الله على مقالته، فأعرض عنه، ثم مقالته، فأعرض عنه، ثم قام الرابع، فقال مثل ما قالوا، فأقبل إليه رسول الله الله والغضب يعرف في وجهه، فقال: ما تريدون من علي؟ إن علياً مني، وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي» (").

وقد لوحظ استمرار هذه النزعة وانعكاسها على حياة الشيخين وأتباعهما، حتى آخر لحظات حياة النبي الله وهذه الظاهرة تلتقي وتنسجم مع ما افتعله عمر من تشويش على النبي الله وما أحدثه من ضجة

⁽١) المعجم الأوسط، الطبراني: ج٤ ص١٥٨.

⁽٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: مج ٥: ص ٦٣٩ ح ٢٤٨٧.

⁽٣) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٤ ص٤٣٧؛ سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٢٩٦ ح٣٧٩٠؛ خصائص أمير المؤمنين، النسائي: ص٩٧؛ صحيح ابن حبان، ابن حبان: ج١٥ ص٣٧٣؛ مستدرك الحاكم، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص ١٠١، [وقال الحاكم:] «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه»؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: ج٥ ص ٢٦١ ح٢٢٢٣.

لمنع الرسول على من كتابة الكتاب الذي أراد تدوينه، وذلك يلتقي أيضاً مع ما فعله عمر يوم وفاة النبي على ويتناغم كذلك مع ما صرح به لابن عباس كما سلف.

٣- العلاقات التي كانت قائمة بين قادة التحرك لم تكن عفوية، بل كانت هادفة، ومشفوعة بشيء من الثقافة في مجال الولاية، بمعنى أنهم يدركون إن الولي الشرعي بعد رسول الله على هو علي الله ولا يخفى على المتأمل البصير كيف كان تركيزهم على حديث أن الخلفاء «كلهم من قريش» دون باقي الأحاديث التي هي أخص من ذلك، كحديث (كلهم من بني هاشم)، وعلى ضوء ذلك يتضح ما افتعله البعض من ضجة، حينما بين الرسول على من هم الأئمة من بعده، بحيث ما شمح للرسول الله من الحاضرين، حتى أن الراوي ـ جابر بن سمرة ـ عندما لم يسمع الحديث بكامله من رسول الله على استفهم من بعض الحاضرين، كأبيه وعمر، فأثبتوا له الحديث.

ومما يؤكد انسجام فكرة التحرك وسبق التثقيف عليها عند أقطاب هذا الاتجاه وقواعده، هو ما حصل في السقيفة من احتجاجات إعلامية منسجمة مع بعضها البعض، مع أن تلك الاحتجاجات كانت تعتمد على أمرين بينهما تناقض واضح، ومع ذلك فإنهما تم عرضهما بأسلوب مهذب ومنمق، يوهم عدم التناقض بينهما، وهما:

أولاً: ولاية قريش.

وثانياً: استبعاد أهل البيت الله وإهمال ذكرهم، كأن لا وجود ولا دور

لهم في مجال القيادة والخلافة.

فأوحوا إلى الذين حضروا مؤتمر السقيفة، أن ورثة الرسول على توظيفهم قريش، وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر، هذا مع قدرة عالية على توظيفهم السوابق وما قام به الشيخان من الأعمال التمهيدية التي افتعلاها في زمن النبي على ومحاولات أخذ دور على الله بشكل منمق ومنسق كما تقدم، وتوظيف قضية هجرة أبي بكر مع النبي على مع أنها لا تعني شيئاً من معاني القرب والأفضلية والتقديم على الآخرين، فكثير ما يتخذ القادة رفقاء لهم في الهجرة من الأتباع العاديين.

فصُور الشيخان وكأنهما أكثر التصاقاً بالنبي عَلَيْ من علي الله ولا يخفى ما في ذلك من حسد...

3- مما يشهد بوجود التنسيق المسبق بين أقطاب هذا التحرك، هو شكل الحكومة التي تمخضت عن السقيفة، الخلافة، قال ابن الأثير: «لما ولي أبو بكر قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك المال. وقال له عمر: أنا أكفيك القضاء» (١)، وفي المصطلح المعاصر أن الأول تولى السلطة العليا، والثاني تولى السلطة الاقتصادية، والثالث تولى السلطة القضائية، وهذه أهم الوظائف الرئيسية في نظام الحكم الإسلامي، فإن تقسيم هذه المراكز الحيوية في الحكومة الإسلامية بهذا الشكل على هؤلاء الثلاثة الذين قاموا بدور كبير في اجتماع السقيفة، لا يأتي عن صدفة، ولم يكن أمراً عفوياً ومرتجلاً.

ومما يدعم ذلك قول أبي بكر: «إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا

⁽١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٢ ص٤٢٠.

على ثلاثة فعلتهن، وودت إني تركتهن،... وودت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر وأبا عبيدة فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً» (۱)، وكذلك قول عمر حين حضرته الوفاة: «لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته» (۱)، وهذا يلتقي مع رواية أبي مليكة، قال: «سئئلت عائشة من كان رسول الله على مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم مَن بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح» (۱)، وفي رواية أخرى عن عبد الله بن شقيق قال: «سئلت عائشة، أي أصحاب رسول الله كان أحب إليه ؟ قالت: أبو بكر، ثم عمر، ثم أبو عبيدة بن الجراح، قلت: ثم من ؟ فسكتت» (٤). وكل هذه الشواهد تؤكد وجود التناغم والتنسيق بينهم، ويبدو أن عائشة كان لها اطلاع على هذا الأمر، بل قد تكون شريكة لهم في الحزب وأحد أعضائه.

0 - من الأدلة على وجود التخطيط المسبق، ما فعله عثمان بن عفّان عندما كتب اسم عمر في الوصية، كخليفة من بعد أبي بكر، من دون أن يأمره أبو بكر بذلك، حيث كان مغمى عليه، فمن أين علم عثمان أن عمر هو خليفة أبي بكر، مع أنه كان مغمى عليه، ومن أعجب المفارقات أن أبا بكر تُكتب وصيته وهو مغمى عليه، ورسول الله عليه الذي لا ينطق عن

⁽١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ج٢ ص٦١٩؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٣٠ ص٤١٨، ص٤٢٠.

⁽٢) تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ ص٢٩٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٥٨ ص٤٠٤؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١ ص١٩٠.

⁽٣) صحيح مسلم، مسلم: \sqrt{V} ص ١١٩؛ فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ص ٣٠؛ فتح الباري: \sqrt{V} ص ٢٥، وغيرها من المصادر الكثيرة.

 ⁽٤) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ص٣٠؛ سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٢٦٨.

الهوى إن هو إلا وحي يوحى ـ يقال: إنه ليهجر، حينما أراد أن يكتب كتاباً للأمة لن تضل بعده أبداً !!!

٦- قول على الله لعمر: «احلب يا عمر حلباً لك شطره، اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غداً، ثم قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه »(١).

٧- مما يكشف عن وجود هـ ذا المنحى التحزّبي، هـ و أن قريـشاً التي كانت في مجتمع الجزيرة الذي تحكمه النزعة القبلية كانت ترفض اجتماع القيادة في بيت واحد، فقريش لم تكن تتحمل ظهور نبي في بطن من خيار بطونها، بل أفضلها، وهم بنو هاشم، لذلك اجتمعت كلمتها على محاربة النبي عَلَيْنُهُ، فكيف تتحمل أن يستمر بنو هاشم بالخلافة بعد النبي الله الله الله على الله السياسي فيها قائم على اقتسام مناصب الشرف والسيادة، ومن هنا لم تكن قريش تريد أن يتميز البطن الهاشمي عن بقية بطونها، وأن يتفوق عيها، وقد سادت هذه الفكرة والعقلية الأجواء السياسية المحمومة في أواخر حياة النبي عَيَاللهُ، وقريشاً مدركة أن النبي عَيِّاللهُ ميّت لا محالة في مرضه هذا، وقد أخبرهم عَيَاللهُ بذلك، فلو تركت الأمور على مجراها الطبيعي، فالخلافة ستؤول إلى على الله حتماً، من هنا تحرّك الحزب المناوئ لبني هاشم، وهذه الفكرة أفصح عنها عمر في محاورته مع ابن عباس قائلا: «أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري، فإن أمير المؤمنين يدري؟ فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة»(١).

⁽١) الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ ص ٢٩؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٦ ص١١. (٢)تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ ص٢٨٩؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٣ ص٦٣.

بل نجد أن حالة التطلع إلى السلطة والقيادة كان موجوداً حتى عند القبائل النائية، فكيف بقريش، يقول الطبري في تاريخه: «كان رسول الله على نفسه في المواسم _ إذا كانت _ على قبائل العرب يدعوهم إلى الله وإلى نصرته... _ إلى أن يقول _ إنه أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم، يقال له بيحرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على مَن خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، قال: فقال له: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا ؟! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه» (١).

فإذا كان هذا حال القبائل الصغيرة والمتوسطة والنائية في تطلعها إلى السلطة والحكم بعد رسول الله على فكيف بقريش وهي تعد نفسها أشرف قبائل العرب، لا سيما وأن الله سبحانه تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿لَيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾، وقد أخبر النبي عَلَى عن مستقبل الدين الإسلامي، وأنه سوف يسود العالم، وكذلك ما تنبأت به الكهنة والمنجمون الذين تعتمد عليهم قريش كثيراً، وقد ذكرت إخباراتهم بمستقبل النبي عَلَى وما يؤول إليه الدين الإسلامي، في كتب السير والتواريخ؛ لذا كانت اليهود والنصارى كثيراً ما تتوعد المشركين بالظفر عليهم عند بعثة خاتم النبيين من مكة المكرمة، ولذا هاجروا من بلاد الشام، واستوطنوا الحجاز انتظاراً لبعثة النبي عَلَيْهُ، وقد أشار القرآن الكريم

⁽١) تاريخ الطبري، الطبري: ج٢ ص٨٣ - ٨٤

لذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كَتَابٌ مِّنْ عند اللَّه مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَـهُ اللَّـه عَلَـى الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

٨-عندما تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب اللها، وتحصنوا في دار فاطمة اللها: «أرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة، فقال: ما الرأي ؟ قالوا: الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيباً، يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية على بن أبي طالب، حجة لكم على على إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلاً» (٢).

خامسا: سياسات السلطة الحاكمة يكشف عن عدم الشرعية

ما أن سيطر الحزب القرشي على مواقع السلطة في الدولة، حتى بدت

⁽١) البقرة: ١٩.

⁽٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٢٤-١٢٥ ونحوه الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ ص٢١؛ السقيفة، أبو بكر الجوهري: ص٤٩؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ج٢ ص٥٢.

بعض الظواهر والممارسات المنحرفة، التي اتبعها هذا الحزب، والتي تكشف عن نواياه الباطلة وغير الشرعية.

ومن ابرز تلك السياسات هي موقفهم من بني هاشم.

فإن الخطوة الأولى التي ابتدأها الحزب القرشي، هي إبعاد بني هاشم عن الحكم نهائياً؛ للقضاء على كل معارضة محتملة مستقبلاً، حيث اعتمدوا لإنجاز هذا الإجراء عدة آليات، منها:

1- اتهام بني هاشم بإحداث وإثارة الفتنة، التي تؤدي إلى ضعف الكيان الإسلامي، كقول أبي بكر في حق علي الله الأسرب لكل فتنة (()) وقد ساعدهم على التبجح بهذا الاتهام الظروف الإسلامية آنذاك، من وجود الأعداء خارج البلاد كالروم وبلاد فارس واليهود وغيرها، الذين يهددون الدولة الإسلامية، مضافاً إلى أحداث الردة وغيرها.

٧- أسلوب الشدة والعنف مع الإمام علي الله ومن معه، بنفس الطريقة التي اتبعوها مع سعد بن عبادة في السقيفة، حتى بلغ العنف والشدة في عمر أن هدد بحرق بيت علي الله وإن كانت فاطمة فيه، حيث قال: «والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص: إن فيها فاطمة ؟ فقال: وإن... فوقفت فاطمة (رضي الله عنها) على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله على جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقاً... ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم

⁽١) السقيفة، أبو بكر الجوهري: ص١٠٤؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١٦ ص٢١٥.

نادت بأعلى صوتها: يا أبتي يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها صرخوا باكين... وبقي عمر ومعه قوم فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل، فمه ؟ قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك»(۱)، ومن صور ذلك العنف أيضاً وصف أبي بكر لعلي الله بأنه مرّب لكل فتنة، وتشبيهه له «بأمّ طحال أحب أهلها إليها البغي»(۱).

٣- إن الحزب القرشي - وعلى رأسهم أبو بكر - لم يشركوا أي شخص من الهاشميين في شأن من شؤون الحكم المهمّة خشية أن يصل الهاشميون إلى الخلافة، لذا لم يجعلوا أي واحد منهم والياً على شبر من الدولة الإسلامية، وخوفاً من افتضاح هذا الأمر دعوا العباس لإعطائه نصيباً في الأمر، وذلك عندما قال المغيرة ابن شعبة: «الرأي يا أبا بكر أن تلقوا العباس، فتجعلوا في هذه الإمرة نصيباً يكون له ولعقبه، وتكون لكما الحجة على على وبني هاشم إذا كان العباس معكم...» (٣).

3- تهيئة وإعداد كتلة ضخمة معادية لأهل البيت المسيح ومنافسة لهم في الوصول إلى المناصب العالية في الحكم، ويحتل الأمويون موقع الصدارة في هذا المضمار؛ لما تميزوا به من طموحات عالية في السلطة والخلافة، لذا نجدهم قد احتلوا المناصب الإدارية المهمة أيام أبي بكر وعمر، مضافاً لمبدأ الشورى الذي ابتدعه عمر، ليعطي الحظ الأوفر لعثمان بن

⁽١) الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ ص٣٠

⁽٢) السقيفة، أبو بكر الجوهري: ص١٠٤؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١٦ ص٢١٥.

⁽٣) الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ ص٣٢.

عفان للوصول إلى دفة الحكم، وقد أخذت هذه الكتلة تزداد وتتسع يوما بعد يوم حتى استتبت لها الأمور؛ وذلك لأنها لم تكن متمثلة في شخص واحد، بل كانت في بيت كبير من قريش، وبالتالي سوف يكون وصول آل محمد الله إلى سدة الحكم متعذراً، أو ليس سهلاً على أقل تقدير.

٥- عزل كل العناصر التي تميل إلى بني هاشم؛ ولذا عزل أبو بكر خالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجّهه لفتح الشام، لأن عمر نبه أبا بكر إلى نزعة خالد الهاشمية، وميله لآل محمد عليه وذكّره بموقفه المعارض لهم بعد وفاة الرسول عليه الله السعارض لهم بعد وفاة الرسول عليه الله المعارض لهم المعارض المعار

7- السعي لإضعاف القدرة الاقتصادية خشية أن يستثمرها الإمام الله في الدعوة لاستعادة حقّه الشرعي في الخلافة، لذلك قام أبو بكر بمصادرة فدك من الزهراء الله علمه أنها كانت سنداً قوياً لعلي الله لا سيما وأن أبا بكر نفسه اتخذ المال وسيلة من وسائل الإغراء وكسب الأصوات، وإليك بعض تلك الشواهد:

منها: عندما عاد أبو سفيان إلى المدينة سأل عما جرى أثناء غيبته عنها: «فقالوا: مات رسول الله على فقال: من ولي بعده؟ قيل: أبو بكر، قال: أبو فصيل ؟! قالوا: نعم، قال: ما فعل المستضعفان على والعباس ؟ أما والذي نفسي بيده لأرفعن لهما من أعضادهما، قال أبو بكر، وذكر الراوي وهو جعفر بن سليمان: أن أبا سفيان قال: شيئاً آخر لم تحفظه الرواة، فلما قدم المدينة قال: إنى لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم، فكلم عمر أبا بكر، فقال: إن

⁽١) تاريخ الطبري، الطبري: ج٢ ص ٥٨٦.

أبا سفيان قدم وإنا لا نأمن شره، فدفع إليه ما في يده فتركم ورضي» (١). وكان في يد أبي سفيان في ذلك الحين صدقات كثيرة للمسلمين قد جمعها منهم ؟!

ومنها: مفاوضاتهم مع العباس بن عبد المطلب، ومحاولة إغرائه عندما قالوا له: «نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً، يكون لك ولعقبك من بعدك..»(٢).

ومنها: «لما اجتمع الناس على أبي بكر قسم قسماً بين نساء المهاجرين والأنصار، فبعث إلى امرأة من بني عدي بن النجار قسماً مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا ؟ قال: قسم قسمه أبو بكر للنساء، قالت: أتراشونني عن ديني، والله لا أقبل منه شيئاً فردّته عليه» (٣).

ومنها: منح أبو بكر مزايا خاصة لابنته عائشة، إذ أنه جعل زيادة في عطائها ألفي دينار بعدما جعل عطايا أمهات المؤمنين ستة آلاف دينار لكل واحدة (٤)، واستمرت عائشة بأخذ الزيادة في عهد أبيها وعمر الذي أوصى له بالخلافة من بعده.

⁽١) السقيفة، أبو بكر الجوهري: ص ٣٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٢ ص ٤٤.

⁽٢) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢ ص١٢٥؛ الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ ص٤٢؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ج١ ص٢٢٠.

⁽٣) السقيفة وفدك: ص٥١؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٢ ص٥٣.

⁽٤) راجع: تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج٢ ص١٥٣.

الخلاصم

أولاً: وجود روايات كثيرة صحيحة تنص على عدم وجود نص على أولاً: وجود روايات كثيرة صحيحة تنص على النص كان رسول الله أبي بكر، من قبيل قول عائشة في مقام نفي النص: «لو كان رسول الله مستخلفاً لاستخلف أبا بكر أو عمر» (١) ونحوها من الروايات.

ثانياً: اعتراف عدد كبير من أعلام السنة بعدم وجود النص على أبي بكر وإنكارهم على مَن ادعى ذلك، من قبيل القرطبي والنووي في شرحه لصحيح مسلم وابن حجر في فتح الباري ناسباً ذلك إلى جمهور أهل السنة، والمراغي في تفسيره والباقلاني في تمهيده والخضري في المحاضرات وابن حجر الهيتمي وعضد الدين الإيجي وابن أبي الحديد المعتزلي والغزالي والبغدادي وغيرهم.

ثالثاً: وجود شواهد قطعية كثيرة تدل على عدم النص على أبي بكر، منها:

١- ما حصل في السقيفة من نزاعات وتهديدات فيما بين الصحابة على الخلافة، ولم يدّع أبو بكر ولا غيره وجود النص، مع أنه كان بأمس الحاجة إليه كحجّة دامغة.

٢- تعبير عمر بقوله: (إنّ بيعة أبي بكر فلتة).

٣- اعتراف عمر بالنص لعلي الله لا غير، وأنّه هو الذي منع رسول

⁽۱) صحيح مسلم، مسلم: ج٤ ص١٨٥٦؛ مستدرك الحاكم، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص٧٨، قال الحاكم (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)؛ مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٦ ص٦٣ وغيرها من المصادر.

الله ﷺ من كتابة الوصية يوم وفاته.

3- اعتراف أبي بكر بإرادته لإكراه علي الله على البيعة لولا وجود فاطمة على البيعة لولا وجود فاطمة على السلطة غير شرعى.

٥- قول على الله إنّ بيعتي لا تحق لهم باطلاً ولا توجب لهم حقاً.

7- الأحاديث الكثيرة المتواترة في حق علي الله وأنّه مع الحق ومع القرآن ومَن يطع علياً الله فقد أطاع الله ورسوله، وأن مَن فارق علياً فقد فارق رسول الله يَقَلِيهُ وبالتالي فارق الله تعالى، وكذا حديث الغدير والثقلين، وكل هذه الأحاديث صحيحة ومن المصادر المعتبرة، فإن هذه الأحاديث الشريفة تدل على عدم النص على غير على الله.

٧- إنّ فاطمة المنكل ماتت وهي واجدة وغاضبة وغير راضية على أبي بكر، ومن المعلوم إن عدم رضا فاطمة المنكلية يدل على عدم رضا الله تعالى وغضبه على أبي بكر وعمر، كما قال المنكلية مخاطباً فاطمة المنكلة: «إنّ الرب يغضب لغضبك ويرضى لرضاك».

٨- اعتراف معاوية بغصب أبي بكر للخلافة، كما في رسالته التي أرسلها إلى محمد بن أبي بكر.

9 - إنّ أبا بكر لم يكن مؤهلاً لقيادة سرية صغيرة فضلاً عن خلافة المسلمين، ولو كان أهلاً للقيادة والخلافة لما أمّر رسول الله على أسامة ابن زيد الذي لا يتجاوز عمره عشرين سنة قائداً على السرية وكان أبو بكر جندياً عادياً في تلك السرية.

١٠ - أحقية أمير المؤمنين في الخلافة لا غير كما جاء ذلك في نصوص كثيرة، مضافاً لدلالة حديث الاثني عشر المتسالم عليه عند الفريقين، والذي لا يمكن تفسيره إلا بإمامة أهل البيت المن دون غيرهم.

رابعاً: وجود تخطيط قرشي سابق للاستيلاء على السلطة، ولهذا التخطيط شواهد كثيرة، منها:

١- محاولات أقطاب هذا التوجه أن يكون لهم دور متميز في حياة المسلمين ومبادراتهم للظهور والتقدم وإن استلزم ذلك إيذاء الرسول على اللها من قبيل إبداء الرأي مقابل رأي الرسول الأكرم عَلَيْكُ ونحوها، كما هو الحال بالنسبة لعمر بن الخطاب وأبي بكر.

٢- الأمل والشوق الكبير في نفوس رجالات الحزب بأن يكون لهم دور كدور على الله وما خصّه الله ورسوله به من امتيازات خاصة عبر عدد من الآيات والروايات.

٣- ملاحظة العلاقات القائمة بين قادة هذا التحرك، حيث لم تكن عفوية فطرية، وإنما كانت علاقات هادفة يجمعها قاسم مشترك، وهو الاستيلاء على السلطة بعد الرسول عَيْلُهُ، وهذا ما نلمسه واضحاً عند إثارتهم للضجة وتعالى الأصوات حين بين الرسول عَلَيْ الخلفاء من بعده.

ومن الشواهد الأخرى على هذا التنسيق:

١- تقاسمهم للخلافة بعد وفاة الرسول على أهم المناصب الحكومية في الدولة حينما استولى أبو بكر على الخلافة وأخذ عمر القضاء وأبو عبيدة المال، وتعد هذه المناصب من أهم المراكز في الدولة لهؤلاء الثلاثة الذين كان لهم الدور الكبير في التخطيط المسبق، ولا يمكن أن يكون قد حصل ما حصل صدفة أو أنه أمر عفوي ارتجالي.

٢- ما فعله عثمان بن عفان حيث كتب اسم عمر في وصية أبي بكر من
 دون أن يأمره أبو بكر بذلك، لأنه كان مغمًى عليه، وهذا يدل على اطلاع
 عثمان وعلمه بهذا التخطيط والتقسيم فيما بينهم.

٣- وجود النزعة القبلية عند قريش التي كانت ترفض اجتماع القيادة في بيت واحد، فهي لم تكن تتحمل ظهور بطن من خيار بطونها وأفضلها وهم بنو هاشم ونيلهم مقام النبوة، فكيف تتحمل استمرار السلطة في هذا البيت؟

خامساً: السياسات التي اتبعتها السلطة الحاكمة تكشف عن عدم شرعيتها و تخطيطها لاستلام الحكم مسبقاً؛ ولذلك شواهد كثيرة، منها:

۱- اتهام بني هاشم بإحداث وإثارة الفتنة، لا سيما اتهام أبي بكر لعلى الله بذلك.

٢- أسلوب الشدّة والعنف مع الإمام علي الله ومن معه من أتباعه.

٣- عدم إشراك أي شخص من الهاشميين في شؤون الحكم، خشية أن يصل الهاشميون إلى الخلافة؛ ولذا لم يجعلوا أي واحد منهم والياً على شبر من الدولة الإسلامية.

3- تهيئة وإعداد مجموعة كبيرة معادية لأهل البيت الحكي منافسة لهم في الوصول إلى المناصب العالية في الحكم، كما هو الحال في الأمويين.
 ٥- عزل كل العناصر التي تميل إلى بني هاشم، كما هو الحال في عزل

أبي بكر لخالد بن سعيد بن العاص عن قيادته للجيش، لولائه لآل محمد عَلَيْنَا أَنْ

٦- غصبهم لفدك في محاولة منهم لإضعاف القدرة الاقتصادية للإمام
 علي الله خشية استثمارها في الدعوة لاستعادة حقه الشرعي.



عصيان الصحابة

الشبهة:

كيف أوصى الرسول وأشهد الصحابة على الولاية ثم عصوه؟ وكيف أجبر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الناس على البيعة؟

الجواب:

تمهيد:

بادئ ذي بدء، نقول: إن خير دليل على الإمكان هو الوقوع، وهذا التاريخ بين أيدينا يحدثنا عن وقوع هذه الحوادث وعدول الصحابة عن وصية نبيهم على الله من امتحن الله قلبه للإيمان، وهم على الله وأتباعه، ولا يمكن التشكيك بصحة هذه الوقائع، بعدما نطقت به أحاديث الفريقين.

والملاحظة الجديرة بالذكر، أن ما حصل من انحراف عن وصايا الرسول على المعدول عن الوصي الشرعي، وهو على بن أبي طالب الله السي غريباً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار طبيعة النفس الإنسانية، وما فيها من تجاذبات ميّالة إلى التسلط والزعامة والظلم وغيرها، كما أعرب القرآن الكريم عن ذلك في كثير من الآيات المباركة: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظُلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ (٢).

⁽١) إبراهيم: ٣٤.

⁽٢) الإسراء: ٦٧.

وقوله تعالى: ﴿قُتلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (١).

ومما يؤكد ذلك سيرة هذا الإنسان مع أنبياء الله ورسله وأوصيائهم، وسائر حججه تعالى على خلقه، حيث نجد إعراض أغلب الناس عن دعوة الأنبياء وهدايتهم، فهذا شيخ الأنبياء نوح لبث في قومه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (٢)، فلم يؤمن به إلاّ قليلٌ منهم.

وقد كشف القرآن الكريم هذه الحقيقة في كثير من الآيات، كقوله تعالى في قوم نوح اللهِ: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (٣)، وقوله عز وجل في قوم موسى اللهِ: ﴿وُمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ مَّعْرضُونَ ﴾ (٤)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عَبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (٥)، وقوله: ﴿إِلاَّ اللَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (٢)، وغيرها من الآيات.

فإذا كان هذا حال الأمم الماضية مع أنبيائها من الإعراض والتمرد، كذلك ما حصل في أمتنا الإسلامية، التي أنبأ النبي على عن أنها يجري فيها ما جرى في الأمم السالفة، كما هو وارد في الأحاديث المتفق عليها عند الفريقين.

منها ما ورد في صحيح البخاري، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله عَلَيْكُ الله عَلَيْكُم الله عَلَيْكُم عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُم الله عَلَيْكُم الله عَلَيْكُم عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُمُ اللهُ عَلَيْكُم عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُم عَلَيْكُمُ الله عَلَيْكُم عَلَيْكُمُ عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُمُ عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُمُ عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُم عَلَيْكُمُ

⁽١) عبس: ١٧.

⁽٢) العنكبوت: ١٤.

⁽۳) هود: ٤٠.

⁽٤) البقرة: ٨٣

⁽٥) سبأ: ١٣.

⁽٦) سورة ص: ٧٤.

دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال: فمن ؟!»(١).

وفي نص آخر أخرجه الحاكم في مستدركه ـ ووافقه الذهبي في تلخيصه ـ عن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه، قال: كنا قعوداً حول رسول الله على أله في مسجده، فقال: «لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذت مثل أخذهم إن شبراً فشبر، وإن ذراعاً فذراع، وإن باعاً فباع، حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه، ألا إن بني إسرائيل افترقت على موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة» (١).

خلفيات عدول بعض الصحابة عن وصية رسول الله عليه

أولا: الحرص على كرسي الزعاميّ

لا عجب مما فعله الصحابة، من إعراضهم عن وصايا النبي عَلَيْهُ، لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار طبيعة قريش وما تحمله من تطلع نحو الزعامة والملك والسلطان، وذلك ما كان يتخوف منه رسول الله عَلَيْهُ عندما قال:

⁽۱) صحيح البخاري: ج٤ ص ٤٠٠ ح ٧٣٢٠، كتاب الاعتصام بالكتات والسنة، باب لتتبعن سنن من كان قبلكم.

⁽۲) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج١ ص١٢٩؛ وكذا: مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٧؛ ص ٢٦٠؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١ ص ٢١١ ح ١٠٥٩؛ تحفة الأحوذي، المباركفوري: ج٦ ص ٣٤٠ قال فيه: (هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في مسنده)؛ السنن، الترمذي: ج٤ ص ٣٣٠ ح ٢٧٧٠، قال فيه: (هذا حديث حسن غريب)، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: ج٣ ص ٣٣٤ ح ٢٧٤٠، وفيه زيادة: (وحتى لو أن أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلتم)، قال الألباني: رجاله رجال الصحيح غير موسى بن ميسرة الديلمي وهو ثقة على أنه متابع.

«أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي رجل يتأول القرآن يسضعه على غيـر مواضعه، ورجل يرى أنّه أحق بهذا الأمر من غيره»(١).

ثانيا: دور المنافقين والذين في قلوبهم مرض

إن وجود عدد كبير من المنافقين في صفوف المسلمين، الذين ما فتئوا يتربصون الدوائر للإطاحة بالإسلام، له دور مهم في إيجاد حالة إعلامية وخلق أجواء سياسية مناهضة للخلافة الشرعية، وقد قال رسول الله عَيَّا الله الله الله على الله على الله على الله على منافق عليم اللهان (٢)، وكذلك وجود طائفة من مرضى القلوب، كقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَاللَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـوُلاء دِينَهُمْ (٣).

ثالثا: التنافس والنزاع بين القبائل

لقد كان لطبيعة العلاقات التي كانت سائدة بين القبائل في المدينة المنورة دور مؤثر في هذا المجال، حيث كان التنافس والنزاع سائداً بين تلك القبائل، كما هو الحال في قبيلتي الأوس والخزرج، فلم تكن قبائل المدينة المنورة موحدة، بل إن قبلتي الأوس والخزرج ـ وهما قبيلتان كبيرتان من الأنصار ـ كانتا متنازعتين متنافستين على الزعامة في الجاهلية،

⁽۱) المعجم الأوسط، الطبراني: ج٢ ص٢٤٢ - ٢٤٣؛ الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص٢٠٥ ح١٣٨٢؛ كنز العمال، المتقى الهندي: ج١٠ ص٢٠٠٠ ح٢٩٠٥٢.

⁽٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي: ج١ ص١٨٧، قال فيه: (رواه الطبراني في الكبير والبزار، ورجاله رجال الصحيح).

⁽٣) الأنفال: ٤٩

وسكنت فورتهم بوجود رسول الله على بين ظهرانيهم، وقد كانت تطفح فورة التنازع بينهم في حياة رسول الله على بين الحين والآخر، كما نقل ذلك البخاري، ومسلم في صحيحيهما، وكذا غيرهما، من ذلك المقطع التالي: «...فقام رسول الله على المنبر، فقال: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي،... فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرك... فقام رجل من الخزرج [هو سعد بن عبادة]... فقال لسعد: [والمقصود به ابن معاذ الأنصاري] كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين،...فثار الحيّان الأوس والخزرج، حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله على قائم على المنبر» (١٠).

وكذلك نقل الطبري في تفسيره، وغيره: «عن زيد بن أسلم قال: مرّ شاس بن قيس _وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم _على نفر من أصحاب رسول الله على من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم، وإلفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية،... فأمر فتّى شاباً من اليهود، وكان معه، فقال: اعمد إليهم فأجلس معهم، وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض

⁽١) صحيح البخاري: ج٣ ص٥٤ - ٥٥ ح ٤١٤١، كتاب المغازي، باب حديث الإفك؛ صحيح مسلم: ج٤ ص ٢١٢٩ - ٢١٣٢ ح ٢٧٧٠، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك.

ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار،... ففعل فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب،... فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة، فخرجوا إليها، وتحاور الناس، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله في أفخرج اليهم،... فقال: يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام»(١).

إذن كان للخلاف العريق بينهم الدور الكبير في حسم الموقف في السقيفة لصالح زعماء الحزب القرشي، وهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجراح.

ويتضح من ذلك أن الأجواء التي كان يتعايش فيها الأوس والخزرج، أجواء مضطربة هيئات الأرضية المناسبة لانقلاب الأمر في السقيفة لمن حضرها من المهاجرين؛ ومن هنا نجد أن المنازعة ذاتها تكررت في السقيفة بين الأوس والخزرج، عندما قام بشير بن سعد، فقال: «يا معشر الأنصار، إنّا والله لثن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضى ربنا، وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإن الله ولي المنة علينا بذلك، ألا إنّ محمداً على الناس على من قريش، وقومه أحق به وأولى...

⁽١) جامع البيان، الطبري: ج٤ ص ٣٢ -٣٣.

صنعت، أنفست على ابن عمك الإمارة.... ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد... فقاموا إليه [أبو بكر] فبايعوه»(١).

فكان ذلك الاختلاف التنازع بين القبيلتين من العوامل المساعدة في حسم الموقف في تلك الأجواء الملتهبة لصالح المهاجرين، وبالخصوص من حضر منهم، ولم يكن ذلك كاشفاً عن الرأي السديد والشرعي في الخلافة، بل هي ظروف وأجواء مهدت لذلك.

ومن هنا نجد أن علياً عندما تكلم عن فضله، وسابقته في الإسلام، وأحقيته برسول الله على أمام أبي بكر وعمر وجمع من الناس، قال: «الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله، يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به؛ لأنّا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم.... والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحق بعداً (١) فقام أحد الحاضرين، وقال: «لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان (١).

⁽١) تاريخ، الأمم والملوك، الطبري: ج٢ ص٤٥٨؛ الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ ص٢٦.

⁽٢) الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ص٢٩؛ انظر: السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري: ص١٢.

⁽٣) الإمامة والسياسة، الدينوري: ج١ ص٢٩؛ السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري: ص٦٣.

رابعا: التناحر والتحاسد بين المهاجرين والأنصار

إنّ التناحر والتحاسد ـ الذي كان بين الأوس والخزرج ـ كان ذاته بين المهاجرين والأنصار، ولهذه الحقيقة شواهدها الكثيرة أيضاً في حياة رسول الله على كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، قوله: «كنا في غزاة، قال سفيان: مرةً في جيش فكسع (۱) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمّعها رسول الله على فقال: ما هذا ؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي على دعوها فإنها منتنة »(۱).

وقد كان الأنصار يعلمون أن قريشاً سوف لا تسمح لعلي في تسلم الخلافة بعد رسول الله على وأنهم سوف يزوونها عنه، فكان الشغل الشاغل لهم، أن يحصلوا على ضمانات تؤمّن لهم مصيرهم بعد رسول الله على فوذلك لأنهم هم الذين قتلوا سادات قريش وأبطالها، فكانوا يخشون أن تحيف عليهم قريش بعد رسول الله على ومن هنا نجد أن عمر ربّب كلاما ونمّقه لإقناع الأنصار وطمأنتهم بإعطائهم دوراً في الخلافة، والموقف ذاته اتخذه أبو بكر في السقيفة، حيث خاطب الأنصار بقوله: «وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام،

⁽١) كسع: أن تضرب بيدك أو برجلك بصدر قدمك على دبر إنسان أو شيء وفي حديث زيد بن أرقم: إن رجلاً ضرب رجلاً من الأنصار أي: ضرب دبره بيده؛ لسان العرب، ابن منظور: ج ٨ ص ٣٠٩.

 ⁽۲) صحيح البخاري: ج٣ ص ٢٩١ ح ٤٩٠٧، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب
 (يقولون لأن رجعنا إلى المدينة لخرجن منها الأعز منها الأذل...)

ورضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء»(١).

خامسا: سياست الإرهاب في السقيفت

لم تكن بيعة أبي بكر تتمتع بأجواء من الحرية والاختيار، بل خيمت عليها أجواء الرعب والقسوة والغلظة والإكراه، فلم يُفسح المجال للصحابة كي يدلوا برأيهم بوافر من الحرية والاختيار، بل السرعة والعجلة والإكراه زوت الخلافة عن صاحبها الشرعي بعد رسول الله الله الله ولذا يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج: «وعمر هو الذي شد بيعة أبي بكر، ورقم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرده، ودفع في صدر المقداد، ووطئ في السقيفة سعد بن عباده، وقال: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، وحطم أنف الحباب بن المنذر، الذي قال يوم السقيفة: أنا جذينها المحكك، وعذيقها المرجب.

وتوعد من لجأ إلى دار فاطمة (عليها السلام) من الهاشميين، وأخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر، ولا قامت له قائمة »(٢).

وقال البراء بن عازب: «فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لا يمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبى بكر،

⁽١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ج٢ ص٤٥٧.

⁽٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١ ص١٧٤. ٠

يبايعه، شاء ذلك أو أبى، فأنكرت عقلي وخرجت...»(١).

وعندما جاء عمر إلى بيت فاطمة (عليها السلام) «وخرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب» (٢).

سادسا: مخالفات الصحابة لرسول اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَّيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَّهُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عِلْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَّ عَلَيْكُ عَلَّهُ عَلَيْكُ عِلْكُ عِلْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عِ

١- عصيان أوامر النبي مَلَيْظَهُ

إن المواقف التي وقفها بعض الصحابة الذين يعتبرون من المقربين من الرسول على تكشف عن عدم معرفتهم به الله وجهلهم بمكانتة القدسية بحيث أدى بهم الأمر إلى عصيان أوامره وكأنه شخص عادي وقد جاء في الصحاح والكتب الأخرى ما يكشف عن ذلك ومنها:

أ- أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله: «إن رسول الله على عن جابر بن عبد الله عن رسول الله عن عراع الغميم، في الله عن عراع الغميم، في الناس ثم دعا بقدح من ماء، فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قدم صام. فقال: أولئك العصاة، أولئك العصاة» (٣)

⁽١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١ ص٢١٩.

⁽٢) السقيفة، أبو بكر الجوهري: ص٦٦؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٦ ص ١١.

⁽٣) صحيح مسلم، محمد بن مسلم النيسابوري: ج٢ ص ٧٨٥ - ١١١٤، كتاب الصيام.

﴿وَمَن يَعْص اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُّبينًا ﴾ (١)

ب-وأخرج مسلم في صحيحه أيضاً بسنده عن عائشة أنها قالت: «قدم رسول الله على الله الله الله على الله على الله الله الله الله الله أدخله الله النار، قال: أوما شعرت غضبان، فقلت: مَن أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار، قال: أوما شعرت أنى أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون» (٢).

ج-وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن البزار قال: «خرج رسول الله وأصحابه فأحرمنا بالحج، فلما أن قدمنا مكة، قال: اجعلوا حجكم عمرة، قال الناس: يا رسول الله أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة، قال: انظروا ما آمركم به فعملوا قال: فردوا عليه القول، فغضب شم انطلق حتى دخل على عائشة غضبان، قال: فعرفت الغضب في وجهه، قالت: مَن أغضبك أفضبه الله، قال: مالي لا أغضب وأنا آمر بالأمر لا يتبع».

قال الهيثمي: «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح» $^{(n)}$.

د- وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: «لما اشتد بالنبي وجعه قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: إن الرزيئة كل الرزيئة ما حال بين رسول الله وبين كتابه» (٤).

⁽١) الأحزاب: ٣٦.

⁽٢) صحيح مسلم، محمد بن مسلم النيسابوري: ج٢ ص ٨٧٩ - ١٢١١، كتاب الحج.

⁽٣) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٣ ص٢٣٣.

⁽٤) صحيح البخاري: ج١ ص٧٧ - ٧٤ ح١١٤، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

٢ـ الفرار في معركة أحد

وأخرج أيضاً في نفس الواقعة: «فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً»(٢).

وأخرج أيضاً، عن أنس: (إن عمّه قال:... فهزم الناس، فقال: اللّهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء [يعني المسلمين]، وأبرأ إليك مما جاء به المشركون» (٣).

٣ـ الفرار في بيوم حنين

أخرج البخاري، عن أبي إسحاق قوله: «قال رجل للبراء بن عازب: أفررتم عن رسول الله يَقَلِينًا يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله لم يفر» (٤).

وأخرج الطبراني بسنده عن زيد بن أرقم قال: «إنهزم الناس عن رسول الله عليه الله الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله الله عليه الله الله عليه الله عليه الله الله عليه الله الله عليه عليه الله عليه الله عليه عليه الله عليه الله عليه الله عليه اله

⁽١) صحيح البخاري: ج٢ ص ٢٣٠ ح ٢٨٠٠ ، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال.

⁽٢) المصدر نفسه: ج٢ ص٢٦٧ ح٣٠٣٩، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب.

⁽٣) المصدر نفسه: ج٣ ص٢٩ ح٤٠٤٨، كتاب المغازي، باب غزوة أحد.

⁽٤) صحيح البخاري: ج٣ ص٩٢ ح٤٣١٧، كتاب المغازي، باب قوله تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم...)؛ صحيح مسلم: ج٣ ص١٤٠١ ح١٧٧٦، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين؛ صحيح ابن حبان: ج١١ ص٩٠ ح ٤٧٠٠.

⁽٥) المعجم الكبير، الطبراني: ج٥ ص١٩٠.

الهيثمي:«رواه الطبراني ورجاله ثقاة»(١).

٤ اعتراض الأصحاب على الرسول الله في الحديبية

أخرج البخاري أيضاً قول عمر: «فأتيت نبي الله على فقلت: ألست نبي الله عقاً؟

قال: بلي.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟

قال: بلي.

قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا ؟ – إلى أن قال: – فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الشهر المصحابة: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أمّ سلمة فذكر لها ما لقي في الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحتى بعضهم يحتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً..» (٢).

⁽١) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٦ ص١٨٢.

⁽۲) صحيح البخاري: 7 - 191 - 191 - 7000 >

٥-الإشفاق من التصدق

وذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجُواكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَمْ تَجدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحيمٌ أأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَات فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاة وَآتُوا الزَّكَاة وَأَطيعُوا اللَّه وَرَسُّولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وفي فتح الباري: أخرج سفيان بن عيينة في جامعه عن عاصم الأحول قال: «لما نزلت كان لا يناجي النبي النبي أحد إلا تصدق، فكان أول من ناجاه علي ابن أبي طالب، فتصدق بدينار، ونزلت الرخصة ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَا اللّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية، وهذا مرسل رجاله ثقات» (٢)، وفي تحفة الأحوذي قال: «فلما أمروا بالصدقة كفوا عن مناجاته، فأمّا الفقراء وأهل العسرة فلم يجدوا شيئاً وأما الأغنياء وأهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب رسول الله المنظمة فنزلت الرخصة، وبعده ﴿ذَلك خَيْسٌ لّكُمْ ﴾ يعني تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله ﴿وأَطْهُرُ ﴾ (٣)، وفي موضع آخر نقل صاحب تحفة الأحوذي، عن أبي يعلى، وابن جرير، والمنذر عن مجاهد، قال: «فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قلم ديناراً، فتصدق به، ثم أنزلت الرخصة في ذلك» (٤).

⁽١) المجادلة: ١٢ - ١٣.

⁽٢) فتح الباري، ابن حجر: ج١١ ص٦٨.

⁽٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري ج٩ ص١٣٧.

⁽٤) المصدر نفسه: ج٩ ص١٣٨.

٦-عدم انفاذ جيش أسامت

حيث تخلّف القوم عن إنفاذ جيش أسامة ورسول الله على يكرر قوله: «أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلّف عنه» (١)، ويقول على أيضاً: «أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لأن قلتم في أمارته لقد قلتم في أمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق بالإمارة» (٢).

فإذا كانت تلك المخالفات الكثيرة والجماعية من الصحابة في عهد رسول الله عَمَالِيُّهُ، وهو بين أظهرهم، فلا غرابة أن تقع ذلك بعد وفاته عَمَالُهُ.

وإذا كانوا قد تكلموا في إمارته زيد، وابنه أسامه لصغر سنه، فلا عجب أن يتكلموا من في إمارة على الله وخلافته، خصوصاً وأن الحزب القرشي قد صرح بأنهم استصغروا سن على الله فنحّوه عن الخلافة.

٧ الارتداد والانقلاب على الأعقاب

إن الارتداد والانقلاب والعصيان من الأمور التي صرحت بها الآيات المباركة، والروايات الواردة عن الرسول الأكرم عَلَيْكُ فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِب عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَى يَعْبَيْهِ فَلَى يَعْبَيْهِ فَلَى يَعْبَيْهِ فَلَى يَعْبَيْهِ فَلَى يَعْبَيْهِ فَلَى يَعْبَيْهِ فَلَى الله السَّاكرينَ ﴾ (٣).

⁽١) السقيفة، أبو بكر الجوهري: ص٧٧؛ انظر: شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٢٣٨؛ انظر: المعيار والموازنة، الإسكافي: ص٢١١؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٦ ص٥٢.

⁽٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج٢ ص ٢٤٩؛ سيرة ابن هشام: ج٤ ص ١٠٦٤.

⁽٣) آل عمران: ١٤٤.

وأخرج البخاري عن رسول الله على أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً (۱) ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأَنَا أَوّلَ حَلْق نُعِدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَ اِنّا وَلِى الله حفاة عراة غرلاً (۱) ثم قال: ثم إن أول من يكسى يوم القيامة لا أعلين (۱) ألى آخر الآية، ثم قال: ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب! أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك؟ فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مًا دُمْتُ فيهِمْ فَلَمًا تَوَقَيْتَنِي كُنتَ أنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ (۱) فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (۱) وروى البخاري أيضاً، عن رسول لله على قال: أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن الي ربا أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك (۱) وروى أيضاً عن أي ربا أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك (۱) وروى أيضاً عن أي ربا أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك (۱) الحوض، من أي رب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد علي أقوام ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم (۱).

وروى مسلم في صحيحه، في كتاب الطهارة في الوضوء بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله علي الله علي أمتي الحوض، وأنا أذود الناس عنه، كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله ... وليصدن عني طائفة

⁽١) غَرِلاً: جمع الأغرل، ورجل غرل: مسترخي الخلق، لسان العرب، ابن منظور: ج١١ ص ٤٩٠.

⁽٢) الأنباء: ١٠٤.

⁽٣) صحيح البخاري: ج٣ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ح ٤٧٤، كتاب التفسير، (كما بدأنا أول الخلق نعيده).

⁽٤) المصدر نفسه: ج٤ ص٣٣٤ ح٧٠٤٩؛ كتاب الفتن، باب ما جاء في قوله تعالى: (و تقوا فتنـة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة)

⁽٥) صحيح البخاري: ج٤ ص ٣٣٤ ح ٧٠٥٠، ح ٧٠٥١، كتاب الفتن، باب ما جاء في قوله تعالى: (و تقوا فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة).

منكم فلا يصلون، فأقول: يا ربّ! هؤلاء من أصحابي، فيجيبني ملك، فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟»(١).

وروى مسلم أيضاً، عن أنس بن مالك، قال: إنّ النبي عَيْلُ قال: السردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إليّ، اختلجوا دوني، فلأقولنّ: أي ربّ أصيحابي أصيحابي، فليقالنّ لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (٢).

وروى ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضٌ وُبُوهٌ ﴾ "، لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون، ولقد ذكر لنا أن نبي الله كان يقول: ﴿والذي نفس محمد بيده، ليردن علي الحوض ممن صحبني أقوام، حتى إذا رفعوا إلي ورأيتهم اختلجوا دوني، فلأقول: رب أصحابي أصحابي، فليقالن إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » (٤).

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، قال: «... وكان يقال: أطوع الناس في قومه الجارود بن بشر بن المعلّى، لما قبض رسول الله عليًّا فارتدت العرب، خطب قومه فقال: أيها الناس، إن كان محمد قد مات فإن الله حي لا يموت...» (٥). وقد أنبأ رسول الله علياً المليِّة بذلك الارتداد

⁽١) صحيح مسلم، محمد بن مسلم النيسابوري: ج١ ص٢١٧ ح٢٤٧، كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتجميل في الوضوء.

⁽٣) آل عمران: ١٠٦.

⁽٤) جامع البيان، الطبري: ج٤ ص٥٥.

⁽٥) شرح نهج البلاغة، أبن أبي الحديد: ج١٨ ص٥٧.

وغدر الأمة له، حيث قال الشيخ النامة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي، من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب» (١)، وسنده صحيح ولم يتكلموا فيه إلا من جهة ثعلبة بن يزيد الحماني ولكن قال النسائي فيه: أنه (ثقة» (٢) وقال ابن عدي: «لم أر له حديثاً منكراً» وقال ابن حجر: «صدوق شيعي» (٤) وقال الحاكم فيه: «صحيح» (٥).

وأخرج الحاكم في المستدرك، عن علي الله قال: (إن مما عهد لي النبي إن الأمة ستغدر بي بعده (١٦). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والحاصل أن الانقلاب والزيغ عن جادة الصواب في أمر الخلافة مما تنبأ به القرآن والرسول الأكرم ﷺ

وبعد هذا كله، كيف يستغرب في عصيان الصحابة، ومخالفتهم في أمر الخلافة والإمامة التي هي من أصعب المنعطفات التي مرّت بها الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول الأكرم، كما عبّر عن ذلك الشهرستاني في

⁽۱) التاريخ الكبير: البخاري: ج٢ ص١٧٤ ح٢٠ ٢٠٣؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٢٤ ص ٤٢٩؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ج٢ ص ٢٤٤ – ٣٦٠؛ تهذيب الكمال، المزي: ج٤ ص ٣٩٩؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج١١ ص ٢١٦ ح ٥٩٢٨؛ كنز العمال، المتقي الهندي: ج١١ ص ٢١٦ ح ٢٩٢٨ على ٢٩٧٠.

⁽٢) ميزان الاعتدال، الذهبي: ج١ ص ٣٧١.

⁽٣) المصدر نفسه.

⁽٤) تهذيب الكمال، المزي: ج٤ ص ٣٩٩.

⁽٥) المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٤٣.

⁽٦) المصدر نفسه: ج٣ ص ١٤٠؛ وجاء بهذا اللفظ في مجمع الزوائد: ج٩ ص ١٣٧.

كتابه (الملل والنحل) بقوله: «ما سُلِّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سلِّ على الإمامة في كل زمان» (١).

الخلاصت

إنّ انحراف الناس عن الأنبياء الملكي في الأمم السابقة أمر معهود في التاريخ، كما يحدثنا القرآن الكريم والتاريخ بذلك، وعلى هذا الضوء فإن الأمة الإسلامية لم يستثنها الله تعالى من باقي الأمم التي يجمعها قاسم مشترك، وهو طبيعة النفس الإنسانية وميلها للشهوات والأطماع، لاسيما وأن الرسول الملكية نص وأكد على أن الأمة الإسلامية تحذو حذو هذه الأمم السابقة في كل شيء.

ومن هنا فعدول الصحابة عن وصية نبيهم على أمر لا يخرج عن الأسباب التي دفعت الأمم السابقة بالعدول عن أنبيائهم، ويمكن إجمال خلفيات عدول الصحابة فيما يلى:

١- طبيعة قريش وما تحمله من تطلع نحو الزعامة والملك والسلطان.

٢- وجود عدد كبير من المنافقين ومرضى القلوب في صفوف
 المسلمين.

٣- التنافس والنزاع بين القبائل كما هو الحال بين قبيلتي الأوس والخزرج.

٤- التناحر والتحاسد بين المهاجرين والأنصار.

⁽١) الملل والنحل، الشهرستاني: ج١ ص٢٠.

- ٥- سياسة الإرهاب في السقيفة.
- ٦- تجاسر الصحابة على رسول الله على حيث أحصى التاريخ عدداً وافراً من المخالفات للرسول على منها:
 - أ مخالفة أوامر رسول الله ﷺ عند فرارهم في معركة أحد.
 - ب عصيانهم لله ورسوله بفرارهم من الزحف كما في يوم حنين.
- ج اعتراض الصحابة على الرسول عَلَيْ في الحديبية، حيث أمرهم رسول الله عَلَيْ بالنحر فاعترضوا عليه ولم يقم منهم أحد.
- د الإشفاق من التصدق عندما أمر الله تعالى بتقديم صدقة عند مناجاة الرسول عَلَيْهُ فتركوا مناجاة الرسول عَلَيْهُ خشية من دفع الصدقة.
- هـ تخلف القوم عن الالتحاق بجيش إسامة الذي أمرهم الرسول عَلَيْكُ اللهِ اللهِ عَلَيْكُ اللهِ اللهِ اللهُ ال
- ٧- إن ارتداد الصحابة قد أنبأنا به القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدُ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلَبْ عَلَى عَقِبَيْه فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزي اللَّهُ الشَّاكرينَ ﴾ (١).

بالإضافة إلى إنباء رسول الله عَلَيْ في روايات مستفيضة بارتداد بعض أصحابة.

⁽١) آل عمران: ١٤٤.



العصمة والغلو

الشبهت

عصمة أهل البيت من أبرز مظاهر الغلو.

الجواب:

لكي تتضح عصمة أهل البيت الله الله بشكل واضح، ينبغي أن نقف قليلاً لنفهم معنى وحقيقة العصمة، فنقول:

العصمةالغة

العصمة: هي المنع والوقاية، قال في القاموس: «اعصم، يعصم: اكتسب ومنع، ووقى... والعصمة بالكسر المنع..» (١).

وجاء في كتاب العين: «أن يعصمك الله من الشر، أي: يدفع عنك. واعتصمت بالله، أي: امتنعت به من الشر. واستعصمت، أي: أبيت. وأعصمت، أي: لجأت إلى شيء اعتصمت به» (٢).

وقال في لسان العرب: «العصمة في كلام العرب: المنع. وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه. عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه، وفي التنزيل: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، أي لا معصوم إلا المرحوم» (٣).

وجاء في مختار الصحاح: «ع ص م العصمة المنع يقال عصمه الطعام،

⁽١) القاموس، الفيروز آبادى: ج٤ ص١٥١.

⁽٢) كتاب العين، الخليل أحمد الفراهيدي: ج١ ص ٣١٣.

⁽٣) لسان العرب، ابن منظور: ج ١٢ ص ٤٠٣.

أي منعه من الجوع، والعصمة أيضاً الحفظ، وقد عصمه يعصمه بالكسر عصمة فانعصم واعتصم بالله أي امتنع بلطفه من المعصية»(١).

العصمة اصطلاحا:

لا يختلف معنى العصمة اصطلاحاً عن المعنى اللغوي إلا في خصوصيات مصداق العصمة الشرعية من أجزاء وشرائط مرتبطة بالأفراد المعصومين، فالعصمة لدى الأنبياء والرسل والأولياء والأئمة الملا تعني المنع من ارتكاب المعصية والوقاية من كل رجس، فلابد أن نعرف أسباب هذا المنع وموجبات هذه الوقاية.

منشأ العصمت

إنّ الأساس الذي تعتمد عليه العصمة هو العلم، وهذا الضرب من العلم ليس من سنخ العلم العادي الموجود عند جميع أفراد البشر على السواء، والذي يسمى في الاصطلاح العلمي بالعلم الحصولي، وهو الذي أشارت إليه الآية المباركة بقوله تعالى: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُون أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْتَدَةَ لَعَلّكُمْ تَسَسْكُرُونَ ﴿ (٢) وهذا النوع من العلم موجود عند كل إنسان سواء كان فاسقاً فاجراً أم مؤمناً عادلاً.

وقد أشار القرآن الكريم إلى حقيقة العلم الذي يكون منشأ للعصمة في موارد متعددة:

١- قوله تعالى في حكايته عن النبي يوسف اللهِ: ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ

⁽١) مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر: ص ٢٣٠.

⁽٢) النحل: ٧٨.

أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١).

فالآية تؤكّد بكل صراحة أن الذي يصبو إلى المعصية هو الجاهل الذي يقوده هوى النفس إلى ارتكاب ما حرمه الله تعالى.

فإذا كان الجهل هو الذي يقود إلى المعصية فالعلم هو المانع والحائل عن المعصية، ولذلك قال الله ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ولم يقل: (وأكن من الظالمين) كما قال الامرأة العزيز: إنه لا يفلح الظالمون أو أكن من الخائنين، وكما قال للملك: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْجَائِينَ ﴾.

فالنبي يوسف الله فرق في الخطاب بينه وبين امرأة العزيز والملك من جهة، وبينه وبين ربه من جهة أخرى، فخاطب امرأة العزيز والملك (بالظلم، والخيانة)، وأن الظالم لا يفلح، والله لا يهدي كيد الخائنين، وخاطب ربه تعالى بخطاب آخر وهو أن الصبوة إليهن من الجهل.

فيتضح من هذه الآية أن منشأ العصمة هو العلم.

٢ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ أَن يُسضِلُوكَ
 وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَسابَ وَالْحِكْمَسةَ
 وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّه عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٢).

وهذه الآية واضحة الدلالة على أن المنشأ الرئيس للعصمة هو العلم الذي أنعم الله به على الأنبياء الله في فالآية أشارت إلى أن المنافقين لا يتمكنون من إضلال النبي في أو التأثير عليه وذلك لما منحه الله تعالى من

⁽١) يوسف: ٣٣.

⁽٢) النساء: ١١٣.

قدرات علمية خاصة جعلته في حصانة تامة من الضلال؛ ولذا يقول الفخر الرازي في صدر تفسيره للآية: «وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف الفضائل والمناقب»(١).

وهذا بدوره يكشف عن سر تركيز القرآن الكريم وتأكيده على أهمية العلم الذي يحمل في طياته خصائص ومميزات عديدة تؤهل الإنسان لأن يكون نبياً مرسلاً من الله تبارك وتعالى. قال تعالى حكاية عن النبي يوسف الله وكلمًا بَلَغَ أَشُدَهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿وَلَقَادُ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عَلْمًا ﴾ (٢)

أمّا حقيقة هذا العلم - كما ستأتي الإشارة إليه في مبحث علم الإمام - هو سنخ علم ليس كالعلوم التي يتعلمها الناس، وإنما هو علم يلقيه الله تعالى على قلب من يشاء، وهو من سنخ العلم الذي كان وصي سليمان (آصف بن برخيا) يتصرف في التكوين بواسطته، مع أنه كان عنده بعض هذا العلم لا كله، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ الّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ هِذَا العلم لا كلّه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ الّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمًّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْل رَبِّي﴾ (٤).

ومن الواضح أنه تعالى قال: ﴿عِندَهُ عِلْمٌ مِّسنَ الْكِتَسَابِ﴾ فإن «من» تفيد التبعيض، وبهذا البعض من العلم استطاع نقل عرش بلقيس من مملكتها إلى مقام سليمان في لحظة واحدة.

⁽١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: مج٦، ج١١ ص٤٠.

⁽٢) يوسف: ٢٢.

⁽٣) النمل: ١٥.

⁽٤) النمل: ٤٠.

وعلى هذا الأساس، فإن هذا السنخ من العلم كلّه موجود عند أهل البيت وسنشير إلى جملة من الشواهد الروائية التي تثبت ذلك في مبحث (علم الإمام)، ونكتفى هنا بالإشارة لروايتين فقط.

الرواية الأولى: أخرج القندوزي الحنفي عن الإمام الصادق الله أنه قال: «علم الكتاب والله عندنا وما أعطي وزير سليمان بن داود، إنما عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وعلم بعض الكتاب كان عنده... وقال في علي الله ومن عنده علم الكتاب وعلم بعض الكتاب سماه عنده الكتاب»(۱).

وعنه الله أيضاً عن آبائه الله أنه قال: «ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا» (٢).

إذن هذا العلم الخاص إفاضة منه تعالى لأهل البيت الله وهو منشأ عصمتهم، مضافاً إلى إلى جملة وافرة من الأدلة العقلية والنقلية الدالة على عصمتهم الميلا.

⁽١) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٣٠٦.

⁽٢) شرح نهج البلاغة، أبن أبي الحديد: ج١ ص٢٦٧؛ جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب: أحمد بن محمد الدمشقي الشافعي: ج١ ص٣٤٣؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٠٨٠ ج٣ ص٨٠٠.

⁽٣) مناقب علّي بن أبي طالب ﷺ، ابن المغازلي: ص٢٩٥، ط٢.

الدليل العقلي على عصمة أهل البيت الميا

تقدم سابقاً أن الإمامة متممة للنبوة في مجال الدين بمعنى أنها واجبة لأداء وظيفة النبي على في بيانه لأحكام الدين والعمل لهداية الناس إلى مصالحهم الواقعية وتزكية الناس وتربيتهم على الكمال اللائق بهم وحفظ التشريع عن التحريف والزيادة والنقصان.

وعلى هذا يعود الدليل الدال على عصمة النبي الله بعينه ليكون دليلاً على وجوب عصمة الإمام.

فالدليل العقلي القائم على عصمة النبي، من أنه لو جاز على النبي على النبي الخطأ والمعصية، مع أن الله تعالى أمر باتباعه والاقتداء به والانصياع والطاعة لإوامره، فإن هذا يعني أن الله تعالى جوز لنا ارتكاب المعصية والخطأ الذي يصدر من النبي، وهذا محال لأن الله تعالى لا يأمر بالمعصية والانحراف عن المسار الصحيح الذي رسمه للبشرية.

إذن بالنظر إلى موقعية الإمام من الدين وكونه حافظاً للشريعة وقيّماً عليها لابد من القول بعصمته، كما هو الحال بالنسبة للنبي عَيْلاً، فحيث لا يخامرنا الشك بعصمة النبي عَلَيْلاً وأنها أمر واضح، وخلافها لا ينسجم مع الحكمة الإلهية، فكذلك الإمام بعد النبي عَلَيْ للسبب ذاته.

وبذلك يتضح ضرورة عصمة الأئمة الله بعد النبي عَلَيْهُ وأنها واجبة كعصمة النبي عَلَيْهُ.

مضافاً إلى أنه لو افترضنا إمكان صدور الخطأ أو الوقوع في الذنب من النبي أو الإمام فإن هذا بدوره يؤدي إلى إنكار الآخرين عليه ونفورهم

منه، وهو أمر ينافي ويضادد ما أمر الله تعالى به من طاعته، وبالتالي يؤدي الإنكار عليه إلى تفويت غرض الله تعالى من وصول الناس إلى كمالهم المرسوم، الناتج عن طاعتهم للنبي أو الإمام.

الأدلة القرآنية على عصمة الأئمة الكاث

يطالعنا القرآن الكريم بعدة من الآيات الصريحة الدالة على عصمة الأثمة الكال:

الآية الأولى: قول ه تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلَمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ للنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدي الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

بيان الاستدلال:

لا ريب أن الظالم في منطق الشريعة هو كل مَن يعصي الله تعالى، لأنه ظالم لنفسه على أقبل تقدير، أما العهد في الآية المباركة فالمراد منه الإمامة، بقرينه قوله تعالى في نفس الآية: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، فالظالم المرتكب للمعصية في أي فترة من فترات حياته لا يمكن أن يكون إماماً.

وربّما يُعترض على ذلك بالقول: إنّ الإنسان قد يرتكب في شوط من أشواط حياته معصية ما، وقد يكون ظالماً لنفسه في مرتبة من مراتب عمره ثم يتوب، فما المانع من أن يشمله اللطف الإلهي بالإمامة؟

والجواب عن ذلك بالبيان التالي:

يمكننا تصنيف الناس إلى أربعة أصناف لا خامس لها:

⁽١) البقرة: ١٢٤.

الصنف الأول: مَن كان ظالماً من أول عمره إلى آخره.

الصنف الثاني: مَن كان ظالماً في بداية عمره فحسب، وكان تائباً مؤمناً في أواخر حياته.

الصنف الثالث: مَن كان مؤمناً أول عمره، ظالماً في آخره.

الصنف الرابع: مَن كان في كل مراحل حياته مؤمناً من أولها إلى آخرها.

وبالعودة إلى إبراهيم ودعائه وطلبه الإمامة لذريته نجد أنه من غير المعقول أن يطلب الإمامة لمن كان ظالماً في جميع عمره أو ظالماً آخر عمره وإن كان في أوله مؤمناً، وهذا واضح.

إذن يبقى الصنف الثاني والثالث هما اللذان طلب إبراهيم الله لهما الإمامة، وقد نص الله تعالى في الآية المباركة على أن العهد والإمامة لا ينالها الظالم، وينحصر المقصود بالظالم لا محالة بالصنف الثاني، وهو من يكون ظالماً في بداية عمره فحسب، وتائباً في آخر حياته.

وحينئذ يبقى الصنف الرابع وهو من كان مؤمناً في طول حياته، وهو المعصوم عن الخطأ.

لاسيما مع الالتفات إلى أن النبي إبراهيم من أنبياء أولي العزم، وقد تحدث القرآن الكريم عن خلقه وأدبه مع الله تعالى في الطلب والمسألة.

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأُوَّاهُ حَلِيمٌ ﴾ (١).

⁽١) التوبة: ١٤.

فالنبي إبراهيم الله تبرأ من عمه آزر بعد اطلاعه وعلمه بأنه عدو لله.

إذن إبراهيم الله يتبرأ من كل عدو وعاص لله تعالى، لأن العاصي هو عدو لله بمرتبة من المراتب، وعلى هذا الأساس فإن كل ظالم لنفسه ولو مرة واحدة في حياته يخرج عن محوطة دعاء إبراهيم الله له، بعد أن أعلمه الله تعالى بأن هذا الصنف غير مستحق لعهد الإمامة، وبذلك يخرج كل من كان ظالماً لنفسه في أي مقطع من مقاطع حياته، فيبقى القسم الرابع وهو من كان غير ظالم من أول عمره إلى آخره.

إذن الآية الشريفة تدل بكل وضوح على عصمة كل مَن ينال ويستحق مقام الإمامة منذ اليوم الأول، فلابد أن يكون الإمام معصوماً قبل الإمامة وبعدها.

وبذلك تدل الآية المباركة على عصمة أهل البيت المجالي، بعد ثبوت إمامتهم للأمة بالأدلة القرآنية والروائية المذكورة في محلها.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ السِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١) وهذه الآية المباركة تبين كيفية تعلق إرادة الله تعالى بإذهاب الرجس عن أهل البيت المي وأن يكونوا مطهرين معصومين، ولما كانت إرادة الله تعالى لا تنفك عن مراده سبحانه فإن الذي أراده الله تعالى وهو تطهير أهل البيت المي واقع لا محالة.

وقد نوقش الإستدلال بالآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيكُ...﴾ فإنه إما يقصد الإرادة التشريعية وهي تتخلف عن المراد، مضافاً لعدم اختصاصها

⁽١) الأحزاب: ٣٣.

بأهل البيت الله عيث أن الله تعالى أراد من الناس كافة أن يطهروا بأن يكونوا طائعين مهتدين سائرين في طريق الكمال، ونهاهم عن الرجس وارتكاب المحرمات كشرب الخمر والفسق والفجور وغيرها، فهذه الإرادة التشريعية تعلقت بكل البشرية ولا خصوصية لها بأهل البيت اللها.

وإما أن تكون تلك الإرادة تكوينية وقد تعلقت بطهارة أهل البيت الشيخ فهذا يعني أنهم مطهرون جزماً، إذ يستحيل أن تتخلف إرادة الله التكوينية عن المراد، لكن الملاحظة التي تقف بوجه هذا التقريب من الإستدلال، هي أن هذا هو الجبر بعينه وأن أهل البيت الشيخ مجبورون عن الابتعاد عن الرجس بإرادة الله التكوينية التي لا تتخلف عن المراد، وهذا يعني أن عصمة أهل البيت الشيخ ليست شرفاً أو مدحاً لهم؛ لأن العصمة لم تكن باختيارهم.

والجواب على ذلك سيأتي مفصلاً في مبحث علم الإمام بالغيب، إلا إنه يمكننا أن نكتفي بالإشارة المفهمة للجواب، فنقول: حيث إن الله تعالى عالم بكل شيء لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فهو يعلم بأفعال عبيده قبل خلقهم ويعلم ما يصدر من الإنسان قبل أن يخلقه، ومحيط بما هو صائر إليه.

وعلى هذا الأساس: فإن الله تعالى لمّا علم من هؤلاء النفر وهم أهل البيت الله بأنهم لا يريدون لأنفسهم إلا الطاعة المطلقة لله سبحانه أعانهم على ذلك، وأراد لهم من الطهارة ما يتناسب مع ما علمه من إرادتهم؛ لأنه علم منهم أنهم لا يريدون لأنفسهم إلا الطاعة، فلم تتعلق إرادته التكوينية بعصمتهم إلا بعد العلم بأنهم سوف لا يكون لهم هَمٌّ إلا الطاعة والعبودية.

وقد ركزت الآيات القرآنية على هذه الحقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿ كُلاَّ نُمدُ هُوُلا وَهَوُلا عُلَا القرآنية على هذه الحقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿ كُلاَّ نُمدُ هُولا وَهَوُلا عَندَنا خَزَائنُهُ وَمَا نُنزَّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَ سَالَت أُوديَ لَة وَمَا نُنزَّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢)، وهكذا قوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢).

إذن فالمسألة لا ترجع إلى اختيار جزافي بل تتحرك في إطار هادف، وعلمه تعالى بهم صار منشأ لهذه الإرادة التكوينية، وبذلك يتبين عدم التنافي بين كون الله تعالى علم منهم أنهم يريدون طاعة الله باختيارهم، وبين تعلق إرادته عز وجل التكوينية بتطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم، النابع عن ذلك الاختيار بعد علم الله تعالى به، ويمكن استظهار ما ذكرناه من الآية ذاتها، حيث إنها عبرت به إلم أن النفر والأشخاص الذين أخبرت المضارع دال على الاستمرارية، أي أن النفر والأشخاص الذين أخبرت ينطبق إلا على العترة خاصة دون سواهم، مع مطابقة ذلك التسديد الإلهي ينطبق إلا على الطهارة حيناً فحيناً.

فالآية المباركة تدل على عصمة أهل البيت الله وقد تقدم أما يدل على عدم مشاركة غير أهل البيت في الآية الشريفة، وهنالك قرائن قطعية

⁽١) الإسراء: ٢٠.

⁽٢) الحجر: ٢١.

⁽٣) الرعد: ١٧.

⁽٤) الإنسان: ٣.

⁽٥) راجع: بحث آية التطهير السابق عند ردّ شمولها لبني هاشم عامة.

وشواهد روائية صريحة تؤكد على انحصار هذه الآية الشريفة بأهل البيت الله الله المسلمة البيت الله الله المسلمة البيت الله الله المسلمة ال

منها مثلاً اهتمام وحرص الرسول على تشخيص عنوان أهل البيت الله بالعترة الطاهرة والمنع من استعمال هذه الكلمة في غير عترته الله وإدخال المسيء فيهم، وقد جاء ذلك في روايات كثيرة، منها:

ما ورد عن رسول الله على أنه قال: «ادعوا لي، ادعوا لي، فقالت صفية: من الله قال على قال على فقال على من قال على الله على على على على على على على النبي على كساءه، ثم رفع يديه، ثم قال: اللهم هؤلاء آلي فصلي على محمد وعلى آل محمد، وأنزل الله عز وجل، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُلَا لَيُونَهُ لِيُلَا اللهُ عَنَى مُ اللهُ اللهُ لِيلهُ اللهُ لِيلهُ اللهُ اللهُ عَنَى مَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ تعالى بقوله: «اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وآل محمد»، فنزل الله تعالى فيهم قرآناً محكماً، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِينُهُ اللهم هؤلاء آلي» من المينت ويُطَهِّرً كُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ولا يخفى ما في هذه الكلمة «اللهم هؤلاء آلي» من الدلالة على حصر أهل البيت.

⁽١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٤٨ والآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

الأدلتالروائيت

أولا: حديث الثقلين

عن رسول الله عَيَّالَةُ قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتني أهل بيتي...» (١)، وأول سؤال يطالعنا في هذا المجال: هل صدر هذا الحديث عن النبي عَيَّالَةُ أم لا؟

والجواب: إن هذا الحديث مما لا شك في صدوره عن النبي الله وقد نقله أهل السنة، وروه في كتبهم أكثر من نقل الشيعة له.

وهذا الحديث وإن قيل إنه صدر بصيغة «وسنتي بدل وعترتي» إلا انه لا تنافي بينهما؛ لأن العترة هي في موقع بيان السنة، فالعترة هي المبيّن الواقعي للسنة، وإنّ السنة بتمامها لدى العترة، وفحوى «كتاب الله وعترتي» يتمثل بوجوب تلقيّنا السنة عن العترة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنه إذا كان الرسول على قد صرح بعبارة «وسنتي» في موطن واحد فإنه قد نطق بصيغة «كتاب الله وعترتي» في مواطن متعددة ومتواترة (٢٠).

⁽۱) المعجم الكبير، الطبري: ج٥ ص ١٧٠ ص ١٨٦؛ تفسير ابن كثير: ج٤ ص ١٢٢؛ قال فيه: (وثبت في الصحيح إن الرسول الله على قال في خطبة بغدير... (الحديث)، ونحوه صحيح مسلم: ج٤ ص ١٨٢٠؛ ونحوه مجمع الزوائد: ج٩ ص ١٦٢ – ١٦٣، وقال فيه: (رواه أحمد وإسناده جيد)؛ الصواعق المحرقة: ص ٣٤١، ونحوه صحيح الترمذي: ج٥ ص ٣٢٩؛ ونحوه السنن الكبرى، النسائى: ج٥ ص ٥٥.

⁽٢) المعجم الكبير، الطبراني: ج٥ ص ١٧٠ وص ١٨٦؛ السنن الكبرى، النسائي: ج٥ ص ٤٥ وص ١٣٠ وغيرها من المصادر.

دلالت الحديث على عصمت أهل البيت المنافق

فمن الملاحظ أن الرسول على قد حث أمته على الالتزام والتمسك بالثقلين، وأخذ دينهم من هذين المصدرين «الكتاب والعترة»، فكما أن القرآن معصوم عن الزيغ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه -بلا خلاف في ذلك - كذلك يكون العدل الآخر له معصوماً أيضاً؛ لأنه من المحال أن يدعو النبي على إلى أخذ الدين من مرجع بشكل حاسم، ثم يتخلل الخطأ والسهو والزيغ بعض كلام ذلك المرجع.

فالعترة مرجع إلهي عينه الله تعالى لهذا الموقع إلى جوار القرآن الكريم بالنحو الذي لا يمكن الأخذ بأحدهما دون الآخر، وإلا سوف ينتهي الأخذ بأحدهما دون الآخر إلى الضلال.

وعليه فإنه من المحال أن يدعو الله تعالى ورسوله إلى مصدر ومرجع في حال يمكن فيه المعصية والخطأ والاشتباه؛ لأن ذلك يعني تجويز الله سبحانه وتعالى المعصية والخطأ، وهو أمر مستحيل، وعلى هذا الأساس يتعين القول بعصمة أهل البيت المساس

ثانيا: النص على العصمة والطهارة

كما في قول رسول الله ﷺ (أنا وعلى والحسن والحسين وتسعة من ولمد الحسين مطهرون معصومون) (١).

وهو صريح الدلالة في إثبات العصمة لأهل البيت الميلاً.

⁽١) ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص٣١٦ وج٣ ص٢٩١ وص٣٨٤.

ثالثًا: طاعتهم طاعمٌ لله ولرسوله عَيْنَالُهُ

قال رسول الله عَلَي أمير المؤمنين اليلا: «مَن أطاعني فقد أطاع الله ومن عصا علياً فقد أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصا علياً فقد عصاني» (١).

ومن مميزات هذا الحديث أن الذهبي الذي هو إمام النقد والتجريح عند السنة والذي عمل كل ما يستطيع لإسقاط عمدة أحاديث فضائل أمير المؤمنين الله قد صحح هذا الحديث، ففي هذا الحديث النبوي الكريم أصل وفرع، وشجرة وثمرة فالأصل والشجرة هو النبي الله والفرع هو علي الله وهذا الحديث واضح الدلالة في عصمة الإمام علي الله لأنه يدل على أن إرادة علي الله لا يمكن أن تتخلف عن إرادة الله تعالى، ولا تتخلف كراهته عن كراهة الله تعالى، ولو أمكن أن تتخلف لكان قوله: «ومَن أطاعه فقد أطاع الله» خطأ واشتباها، والعياذ بالله.

وحيث تثبت عصمة الإمام على الله تثبت عصمة بقية أهل البيت الملكا لأنهم نور واحد وورثة رسول الله على وخلفاؤه كما هو واضح.

ثم إنه بعد ثبوت العصمة لأهل البيت الله في العقل والقرآن والسنة لا يبقى مجال لدعوى الغلو في مبدأ العصمة أهل البيت الله الله ...

⁽۱) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج ٣ص ١٢١؛ وقال فيه: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

الخلاصة:

إن عصمة أهل البيت الله أمر لا يمكن التردد فيه بعد الوقوف على حقيقة العصمة والأدلة القرآنية والروائية.

فالعصمة لغةً: المنع والوقاية أي أن العصمة ملكة تمنع صاحبها من ارتكاب المعصية وهذا هو المعنى الاصطلاحي للعصمة.

منشأ العصمت

إن منشأ العصمة هو العلم، إلا أنه ليس العلم العادي الموجود عند جميع أفراد البشر المسمّى بالعلم الحصولي، بل هو سنخ علم خاص يفيضه الله تعالى على قلب من يشاء من عباده، وقد أشارت إلى هذا النمط من العلم عدة من الآيات القرآنية، كما هو الحال في قضية وصي سليمان آصف بن برخيا، الذي تمكن من نقل عرش بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس بأقل من طرفة عين، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ الّذي عندَهُ عِلْمٌ مِّن الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدً إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمًا رَآهُ مُسْتَقِرًا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَصْلِ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدً إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمًا رَآهُ مُسْتَقِرًا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَصْلِ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدً إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمًا رَآهُ مُسْتَقِرًا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَصْلِ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدً إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمًا رَآهُ مُسْتَقِرًا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَصْلُ رَبِّي ﴾ (١).

ولا ريب أن هذا السنخ من العلم، هو في صدور أهل البيت الله وقد تقدمت عدة شواهد وأدلة على ذلك.

⁽١) النمل: ٤٠.

الدليل العقلى على عصمة أهل البيت الملك

إنّ الدليل القائم على عصمة النبي على هو بعينه يكون دليلاً على عصمة خلفاء النبي وهم أهل البيت الميلاً، وذلك لأن خطورة دور الإمام وكونه حافظاً للشريعة وقيّما عليها يوازي خطورة الدور النبوي، فلو كان الإمام غير معصوم ويخطأ ويعصي مع أن الله تعالى ورسوله أمرنا باتباعه فهذا يعنى تجوير الله لنا بارتكاب المعصية، وهو محال.

الأدلة القرآنية على عصمة الأئمة الكاث

هنالك عدة آيات قرآنية يستدل بها على العصمة:

منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذِ الْتَلَى إِبْرَاهِيمَ...﴾ (١).

فالآية المباركة تدل بكل وضوح على أن من ينال منصب الإمامة لابـد أن يكون معصوماً قبل تقلد الإمامة.

كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُنْهِبَ...﴾ التي لا يشك في اختصاصها بأهل البيت المِيُّا.

الأدلة الروائية على عصمة أهل البيت الكِلا

منها: حدیث الثقلین: «إني تارك فیكم الثقلین كتاب الله وعترتي أهل بیتی».

حيث أكد الرسول عَلَيْ الله على لزوم التمسك بالكتاب والعترة على هذا الأساس، فلو لم تكن العترة معصومة، لا يمكن أن يأمر الرسول بلزوم اتباعها، مضافاً إلى عدة أحاديث أخرى.

⁽١) البقرة: ١٢٤.

مقامالوصي

الشبهة:

إن منزلة الوصي عند السيعة تعادل منزلة النبي الله وإن الوصي يوحى إليه.

الجواب

يجدر بالقارئ الكريم أن يلتفت إلى أن صاحب هذه الشبهة يحاول أن ينسب إلى الشيعة أمرين:

الأول: أن الأوصياء أنبياء.

الثاني: أن الأوصياء يوحى إليهم.

وينتج عن ذلك هو توريط الشيعة الاثني عشرية واتهامهم بفكرة الغلو، وبالتالي ارتباطهم بالسبئية، إلاّ أن هذا باطل وغير صحيح، وسوف نتناول ذلك إجمالاً، فنقول:

أولاً: لو أريد من كون الأوصياء بمنزلة الأنبياء أنهم أنبياء، فهذا ما لا نريده، ولم يدون في كتاب من كتب الشيعة، ولذا روى الفريقان عن رسول الله على أنه قال لعلى: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (١)، فالرسول الأكرم في هذا الحديث جعل الإمام علياً المله

⁽۱) صحيح مسلم: ج٤ ص ١٨٧٠ – ١٨٧١ باب فضائل علي المالي المعجم الكبير، الطبراني: ج٦ ص ١٤٨٠ الثقات، ابن حبان: ج١ ص ١٤٢، المناقب، الخورازمي: ص ١٥٦ و و نحوه الدر المنثور، السيوطي: ج٤ ص ٣٦٠ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٠٢ ص ٣٦٠ و ج٢١ ص ١٥٥ و ج٤٢ ص ٥٣٠ وصحيح ابن حبان: ج٥ ص ١٠٩ وص ١٣٧ مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩ ص ١٠٩ سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص ٣٠٤ المعجم الصغير، الطبراني: ج٢ ص ٥٥ المعجم الأوسط، الطبراني: ج٢ ص ٥٥ المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص ١٠٤ ونحوه السنن الكبرى،

بمنزلة هارون ـ الذي هو نبي من الأنبياء ـ من موسى على أنه لا نبي بعد رسول الله على الله على التنزيل من جميع الجهات حتى من جانب النبوة، كما أكّد على ذلك الأئمة المهالية:

١- قال أبو عبد الله الصادق الله (إنما الوقوف علينا في الحلال فأما النبوة فلا)

٢- وعن بريد بن معاوية عن أحدهما - أبي جعفر وأبي عبد الله- (عليهما السلام)، قال: «قلت له: ما منزلتكم؟ ومن تشبهون ممن مضى؟ قال: صاحب موسى وذو القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيين» (٢).

٣- كذلك عن سدير قال: قلت لأبي عبد الله الله الله المواقعة المواقع

٤- عن محمد بن مسلم قال: «سمعت أبا عبد الله الله يقول: الأئمة بمنزلة

البيهقي: ج٩ ص ٤٠؛ شرح صحيح مسلم، النووي: ج١٥ ص ١٧٤؛ مسند الطيالسي: ص ٢٩؛ مسند ابن راهويه: ج٥ ص ٢٧؛ مسند ابن راهويه: ج٥ ص ٢٧؛ مسند أبي يعلى: ج٢ ص ٦٦ وص ١٣٢؛ وغيرها من المصادر.

⁽١) الكافي، الكليني: ج١ ص٢٦٨.

⁽٢) الكافيّ، الكلينيّ: ج ١ ص٢٦٩.

⁽٣) الكافي، الكليني: ج ١ ص ٢٦٩.

رسول الله عَلَيْهُ، إلا أنهم ليسوا بأنبياء، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي عَلَيْهُ، فأما ماخلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول عَلَيْهُ (١٠).

0- عن أبي أيوب بن الحر، قال: «سمعت أبا عبد الله يقول: إن الله عزَّ ذكره ختم بنبيكم النبيين، فلا نبيّ بعده أبداً، وختم بكتابكم الكتب، فلا كتاب بعده أبداً، وأنزل فيه تبيان كل شيء»(٢).

ثم كيف يدعي الشيعة أن الأئمة أنبياء، أو أنهم يوحى إليهم، وهم يرتلون القرآن بكرة وعشياً: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٣).

أقوال علماء الشيعت

وقال الشيخ المفيد: «فإن قيل: هل علمتم من دينه أنه خاتم الأنبياء أم لا؟

فالجواب: علمنا ذلك من دينه عَلَيْكُ اللهُ

فإن قيل: بما علمتموه؟.

فالجواب: علمنا ذلك بالقرآن والحديث، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَـيْءٍ عَلِيمًا ﴾، وأما الحديث فقوله عَلَيْ اللهِ اللهِ عَلِيمًا ﴾، وأما الحديث فقوله عَلَيْ اللهِ اللهِ عَلِي اللهِ عَلَي اللهِ عَلَي اللهِ عَلَي اللهِ عَلَي اللهِ عَلَي اللهِ عَلَي اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَي اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَلْمَ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ اللهِ عَلَيْ عَل

⁽١) الكافي، الكليني: ج١ ص٢٧٠.

⁽٢) المصدر نفسه: ج١ ص٢٦٩.

⁽٣) الأحزاب: آية ٤٠.

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه $(1)^{(1)}$

قال الشيخ الطوسي الله : «مسألة: نبينا محمد الله خاتم الأنبياء والرسل بدليل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ النَّبِينَ ﴾ (٢).

وقال القاضي ابن براج: «مسألة: نبينا خاتم النبيين والمرسلين بمعنى أنه لا نبي بعده إلى يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾» (٣).

واستدل بذلك أيضاً علي بن يونس العاملي في كتابه الصراط المستقيم (1)، وقال الشيخ الطوسي في تفسير هذه الآية ﴿وَحَاتَمَ النّبِيّينَ﴾ أي: «آخرهم؛ لأنه لا نبي بعده إلى يوم القيامة» (٥).

وقال الشيخ الطبرسي: «﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ أي: وآخر النبيين ختمت النبوة به، فشريعته باقية إلى يوم الدين، وهذا فضيلة له ﷺ اختص بها من بين سائر المرسلين» (١٠).

وأقوال علمائنا في ذلك كثيرة جدًّا فوق حدّ الإحصاء.

⁽١) النكت الاعتقادية، المفيد: ص٣٨.

⁽٢) الرسائل العشر، الطوسي: ص٩٧.

⁽٣) جواهر الفقه، ابن البراج: ص٧٤٨.

⁽٤) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي: ج ١ ص ٦١.

⁽٥) التبيان، الطوسي: ج٨ ص٣٤٦.

⁽٦) مجمع البيان، الطبرسي: ج٨ ص١٦٦.

الوحي انقطع بموت النبي ﷺ

أما بالنسبة إلى الوحي فإنه انقطع بموت النبي الله وهذا يعد من الضروريات والبديهات في مذهب أهل البيت الله ولو تصفحنا سريعاً ما ورد في الكتب الروائية الشيعية لوجدناها زاخرة بهذا المعنى.

فمن باب المثال لا الحصر ما جاء في «الوسائل» عن أبي أيوب الخراز أنه قال: «أردنا أن نخرج فجئنا نسلم على أبي عبد الله الله فقال: كأنكم طلبتم بركة الإثنين؟ قلنا: نعم، قال: فأي يوم أعظم شؤماً من يوم الأثنين، فقدنا فيه نبينا عَلَيْ وارتفع الوحي عنا» (١).

وعن جامع الأخبار في كتاب التعبير عن الأئمة الملكين: «إن رؤيا المؤمن صحيحة؛ لأن نفسه طيبة ويقينه صحيح، وتخرج فتتلقى من الملائكة، فهي وحي من الله العزيز الجبّار، وقال الله القطع الوحي وبقي المبشّرات ألا وهي نوم الصالحين والصالحات» (٣).

⁽١) الوسائل، الحر العاملي: ج١١ ص ٣٥١: ح١؛ باب آداب السفر إلى الحج وغيره، الباب الرابع (١) الوسائل، الحراهة اختيار الأثنين للسفر)؛ وكذا الباب السابع: ح٩ ص ٣٦٠.

⁽٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١١ ص٣٦٠.

⁽٣) نقلاً عن بحار الأنوار، المجلسي: ج٥٨ ص١٧٦.

وسيأتي أنّ من معاني الوحي هو ما يحصل في المنام، كما في الإيحاء إلى أمّ موسى (عليها السلام).

وأخرج البخاري في صحيحه في باب الرؤيا الصالحة، عن عبد الله ابن سلمة عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله عن الرجل الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة»، وكذا ذكرها بعدة أسانيد في باب الرؤيا الصالحة (جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) كما عن عبادة بن الصالحة وأبي هريرة وأنس (۱).

أقسام الوحي

ذكر المفسرون أن للوحي أكثر من معنى استعملها القرآن الكريم كالإيحاء إلى النحل وإلى أمّ موسى ونحوها.

وعلى هذا الأساس، فلو عُبر في بعض الروايات بالوحي لا يعني ذلك أن المقصود منه هو الوحي الرسالي والنبوة أبداً، بل لابد أن يكون المراد غير ذلك، ومن أقسام الوحي في القرآن الكريم ما يلي:

١- الوحي بمعنى الإلهام: كما في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ النَّحْلِ أَنِ النَّحْلِ أَن الْجَبَالِ بُيُوتًا﴾ (٢)، كما نص على ذلك النحّاس، حيث قال: «روي عن الضحاك أنه قال: ألهمها، وأصل الوحي في اللغة الإعلان بالشيء في

⁽١) صحيح البخاري، البخاري: ج٨ ص٦٦، ص٧٠.

⁽٢) النحل: آية ٦٨.

ستره، فيقع ذلك بالإلهام وبالإشارة وبالكتابة وبالكلام الخفي»(١)، وكذا قيل إن من الوحي الرحماني بمعنى الإلهام قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾(١).

Y- الوحي بمعنى الخلق: عن السدّي ﴿وَأُوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا ﴾ (")، قال: «خلق في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم، وعن قتادة ﴿وَأُوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا ﴾: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها » (3).

٣- الوحي بمعنى إلقاء القول بخفاء: كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ﴾ (°).

٤- الوحي بمعنى الإشارة والكتابة: كما نقل القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأُوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (٢)، عن الكلبي وقتادة وابن منبه: أوحى إليهم أشار، وعن القتبي: أومأ، وعن مجاهد: كتب على الأرض، وأمّا عكرمة فيقول: كتب في كتاب، والوحي في كلام العرب الكتابة.. (٧).

٥- الوحي بمعنى الإسرار: كما في قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْسِصٍ

⁽١) معاني القرآن، النحاس: ج٤ ص٨٣

⁽٢) القصص: آية ٧.

⁽٣) فصلت: آية ١٢.

⁽٤) جامع البيان: ابن جرير الطبري: ج٢٤ ص١٢٥.

⁽٥) الأنفال: آية ١٢.

⁽٦) مريم: آية ١١.

⁽٧) تفسير القرطبي، القرطبي: ج١١ ص٨٥ وكذا ما في: جامع البيان: ابن جرير الطبري: ج١٦ ص٨٠؛ وتفسير ابن كثير، ابن كثير: ج٣ ص١١٩.

زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(١).

٦- الوحي بمعنى الإلقاء في الروع: كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيه....﴾ (٢).

قال الجبائي: (كان الوحي رؤيا منام)، وقال الزجاج: «معنى أوحينا إلى أم موسى أعلمناها»، وقال عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره: «عن قتادة في قوله وأوحينا إلى أمّ موسى، قذف في نفسها» (٣).

وفي زاد المسير لابن الجوزي: «فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه إلهام قاله ابن عباس، والثاني إن جبرائيل أتاها، وبذلك قاله مقاتل، والثالث أنه كان رؤيا منام» (٤).

٧- الوحي بمعنى الأمر: كما في قوله تعالى ﴿بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَـى لَهَـا﴾ (°)، ذكره القرطبي في تفسيره (٢).

إذن للوحي معان عديدة، فمن السذاجة حصره بالوحي الرساليا!. ومما يؤيد جميع ما ذكرنا ما جاء في كتاب التعبير عن الأئمة المؤيد المؤمن صحيحة؛ لأن نفسه طيبة ويقينه صحيح، وتخرج فتتلقى من

⁽١) الأنعام: آية١١٢.

⁽٢) القصص: آية ٧.

⁽٣) تفسير الصنعاني، عبد الرزاق الصنعاني: ج٣ ص ١٩٧ و كذلك في: تفسير الطبري: ج٢ ص ٣٧؛ ومعانى القرآن: النحاس: ج٥ ص ١٥٧.

⁽٤) زاد المسير، ابن الجوزي: ج٦ ص٨٧ وهكذا انظر: تفسير القرطبي: ج٦ ص٣٦٣؛ ج١٣: ص٢٥٠.

⁽٥) الزلزلة: آية ٥.

⁽٦) تفسير القرطبي، القرطبي: ج٦: ص٣٦٣.

الملائكة، فهي وحي من الله العزيز الجبّار، وقال الله: انقطع الوحي وبقي المبشرات ألا وهي نوم الصالحين والصالحات»(١).

والنتيجة: هي أن الوحى انقطع والأئمة ﷺ ليسوا بأنبياء.

الخلاصة:

١- إنّ انقطاع النبوة والوحي الرسالي بعد موت النبي عَلَيْهُ من بديهيات وضروريات مذهب أهل البيت التي التراث الشيعي مليء بالروايات التي تنطق بهذه الحقيقة.

٢- مضافاً إلى ما سبق من وجود الجم الغفير من الروايات التي تؤكد
 هذه الحقيقة، فقد أجمع علماؤنا على انقطاع الوحي بعد موت نبينا على أنه وأنه خاتم النبيين.

٣-ورد الوحي في القرآن الكريم على معان عديدة، لذا فإطلاق الوحي _ لو وجد في بعض الروايات _ لا يعني ذلك أن المراد هو وحي النبوة والرسالة.

⁽١) نقلاً عن بحار الأنوار: المجلسي: ج٥٨: ص١٧٦.

تأليه الإمام عند الشيعت

الشبهت

الشيعة يؤلهون أئمتهم ويتخذونهم أرباباً من دون الله.

الجواب

تمهيد:

أولاً: إن هذا القول والادعاء باطل لا أساس له من الصحة أبدا، فهذه كتب الشيعة ومؤلفاتهم حَكَماً بيننا، فهي تصرح بأن الأئمة المي عباد لله تعالى، بل إن سيدهم رسول الله عَنَّ نال جميع المقامات السامية والرفيعة بالعبودية لله تعالى، حيث قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِلَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١).

ومجامع الشيعة الحديثية مليئة بالروايات الصحيحة والصريحة التي تحذر من فرق المغالين وعقيدتهم الفاسدة، وإليك بعضها على سبيل الاختصار:

⁽١) الإسراء: آية ١.

أولا: نهي أهل البيت الله عن الغلو:

1- ما جاء عن الإمام الرضائي عن رسول الله على قوله: «لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً»(١).

٢- قال أمير المؤمنين اليلان الماكم والغلو فينا، قولوا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم»(٢).

٣- ما جاء عن الإمام الرضائل عن أمير المؤمنين الله أيضاً: «أنا أبرأ إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم من النصارى» (٣).

٤ - وعنه أيضاً الله: «فمن ادعى للأنبياء ربوبية وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمة إمامة فنحن منه براء في الدنيا والآخرة» (٤٠).

٥- عن مرازم قال، قال الإمام الصادق الله : «قال للغالية توبوا إلى الله فإنكم كفار فساق مشركون» (٥).

٦- ما عن سدير قال: «قلت لأبي عبد الله الله إن قوماً يزعمون أنكم الهة، يتلون بذلك علينا قرآناً ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَــهُ ﴾ (٢) فقال: يا سدير سمعي وبصري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء،

⁽١) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ص٢١٧.

⁽٢) الخصال: الصدوق: ص ٦١٤.

⁽٣) عيون الأخبار، الصدوق: ج ١ ص٢١٧.

⁽٤) المصدر نفسه: ج١ ص٢١٧.

⁽٥) رجال الكشي: ج٢ ص٥٨٧ ح٥٢٧.

⁽٦) الزخرف: ٨٤

وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم، قال: قلت: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل يقرأون علينا بذلك قرآناً ﴿يَا أَيُهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيهِم مِن هؤلاء براء وبرئ الله منهم ورسوله، ما وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء وبرئ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني و لا على دين آبائي والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم، قال: قلت: فما أنتم؟ قال: نحن خزان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض» (٢٠).

٧- وقال الإمام الصادق الله المام الصادق الله الله الله ويد علم من الغلاة لا يفسدونهم فإن الغلاة شر خلق الله يصغرون عظمة الله ويد عون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا» (٣).

مواقف علمائنا من الغلاة

١ - قال الشيخ الصدوق ﷺ: «اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله تعالى وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلة»^(٤).

⁽١) المؤمنون: آية ٥١.

⁽٢) الكافي، الكليني: ج١ ص٢٦٩، ص٢٧٠.

⁽٣) الامالي، الطوسي: ص ٢٥٠.

⁽٤) الاعتقادات الصدوق: ص ٩٧.

٣- وقال الشيخ كاشف الغطاء أما الشيعة الإمامية وأئمتهم التخليف فيبرؤون من تلك المقالات، فيبرؤون من تلك المقالات، ويعدونها من أشنع الكفر والضلالات، ليس دينهم إلا التوحيد المحض وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق» (٢).

3- وقال الشيخ المظفر الله نعتقد في أئمتنا الله ما يعتقده الغلاة والحلوليون (كَبُرَت كَلِمَة تَحْرُجُ مِنْ أَفْرَاهِهِم (")، بل عقيدتنا الخاصة أنهم بشر مثلنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإنما هم عباد مكرمون اختصهم الله بكرامته وحباهم بولايته إذ كانوا في أعلى درجات الكمال اللائقة في البشر من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والفقه، وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحد من البشر فيما اختصوا به، قال إمامنا الصادق الله (ما جاء كم عنا مما يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردوه إلينا، وما جاء كم عنا مما لا يجوز أن يكون في المخلوقين فاجحدوه ولا تردوه إلينا) (1).

⁽١) تصحيح الاعتقادات، المفيد: ص ١٣١.

⁽٢) أصل الشيعة وأصولها، كاشف الغطاء: ص ٣٨، نشر دار الأعلمي، ١٣٩٧هـ.

⁽٣) الكهف: آية ٥.

⁽٤) عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر: ص٧٧ - ٧٤.

وكيف نغالي في أهل البيت الله وندعي لهم الألوهية ونحن نروي أن الإمام الرضا الله كان يقول في دعائه:

«اللهم إني أبرأ إليك من الحول والقوة، فلا حول ولا قوة إلا بك،... اللهم لا تليق الربوبية إلا بك، ولا تصلح الإلهية إلا لك، فالعن النصارى الذين صغّروا عظمتك، والعن المظاهين لقولهم من بريتك، اللهم إنا عبيدك لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً، اللهم من زعم أننا أرباب، فنحن إليك منه براء...»(۱).

ثانياً: إن ما تمسك به المستشكل عبارة عن روايتين ضعيفتين، أحداهما رواية واردة في البحار، عن تفسير العياشي ضعيفة السند، مضافاً إلى جهالة الجعفري إذ لم يذكر له توثيق في كتب الرجال.

وكذا ما في الرواية الأخرى التي وردت في كتاب تأويل الآيات للسيد علي الأستر آبادي، «عن علي بن أسباط عن إبراهيم الجعفري عن أبي الجارود عن أبي عبد الله الله في قوله تعالى: ﴿ أَإِلَهُ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾، قال: أي إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد» (٢) فطريق السيد إلى علي بن أسباط مجهول، فالرواية مقطوعة السند ولا يمكن الاعتماد عليها، بالإضافة إلى ما في نسبة الكتاب إلى السيد من كلام.

فلا اعتماد على هذه الرواية ولا على أختها في المسائل الفرعية، فـضلاً عما إذا كانت من المسائل الاعتقادية.

⁽١) الاعتقادات، المفيد: ص٩٩ – ١٠٠.

⁽٢) تأويل الآيات، الأسترابادي: ج١ ص ٤٠١.

ثالثاً: إن الإمامية الإثني عشرية لديهم مباني وأصول أصّلها لهم الرسول الأكرم على أصلها لهم الرسول الأكرم على طبقها في قبول الرواية أو ردّها، ومن تلك الأصول هي: إن كل ما يخالف العقل الصريح والقرآن الكريم من الروايات يردّ ولا يقبل:

١- فعن هشام بن الحكم وغيره، عن أبي عبد الله على قال: «خطب رسول الله عَلَيْ قال: «خطب رسول الله عَلَيْ فقال: يا أيها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله» (١).

٤- وعنه أيضاً الله الله يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف «(١).

٥- وعنه أيضاً الله الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه» (٥).

٦- عن سدير قال: «قال أبو جعفر وأبو عبد الله الله الله الله الله علينا الله ما

⁽١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٧: ص١١١.

⁽٢) المصدر نفسه: ج٧٧: ص ١١١.

⁽٣) المصدر نفسه: ج٧٧: ص١٠٧.

⁽٤) المصدر نفسه: ج٧٧: ص١١٠.

⁽٥) المصدر نفسه: ج٧٧: ص١١٩.

وافق كتاب الله وسنة نبيه عَلَيْكُ (١).

وغيرها من الروايات التي بهذا المضمون.

ولا شك أن تأليه الإمام وجعل المخلوق في مرتبة الخالق، والفقير في مرتبة الغني مما يرفضه صريح العقل، وصريح القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٢).

وعلى هذا الأساس فإذا جاءتنا رواية يظهر منها تأليه الإمام نردها ولا نقبلها ولو كانت صحيحة السند، فضلاً عما لو كانت ضعيفة، خصوصاً فيما لو كانت المسألة من المسائل الاعتقادية، بل من أساس العقائد.

رابعاً: لو فرضنا جدلاً وجود رواية صحيحة ومقبولة من الناحية الاعتقادية إلاّ أنّه يمكن القول أنها تستهدف الإشارة إلى أمر دقيق وحساس يحتاج إلى المزيد من النباهة والفطنة وإمعان النظر، إلا أنه قبل الولوج في بيان المقصود والذي تستهدفه الرواية ينبغي الإشارة إلى نقطة أساسية تساهم في توضيح المراد وتحول دون وقوع الالتباس فيه:

وملخصها:

إن القرآن الكريم يؤكد على وجود إمام هدى وإمام ضلال في هذا العالم، كما في قوله الله تعالى: ﴿وَبَحْعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنَا﴾ (٣)، ﴿وَبَحْعَلْهُ مُ أَنِمَّةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنَا﴾ (١)، ﴿وَبَحْعَلْهُ مُ أَنِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَسُوْمَ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَسُوْمَ

⁽١)المصدر السابق نفسه: ج٢٧ ص١٢٣.

⁽٢) مريم: آية ٩٣.

⁽٣) الأنساء: ٧٣.

⁽٤) القصص: ٥.

الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ ﴿ ٢)، فَهَناكُ أَبُمَة هدى وأئمة كفر وضلال.

ولا شك أن إمام الهدى من الله تعالى، وإمام الضلال من الطاغوت والشيطان.

وعلى ضوء هذه النقطة، نقول: إن الرواية تنبّه على أمر بالغ الخطورة على واقع الإنسان العملي، حيث أنها تخاطبه، وتقول: أيها الإنسان لا تتخذ في حياتك وفي سلوكك وتعاملك إمامين، إمام هدى وإمام ضلال، فإن من يتخذ ويتبع هذين الإمامين معا سوف يقع في الشرك بالله تبارك وتعالى من حيث لا يشعر؛ إذ معنى ذلك هو الإيمان بجاعل أئمة الهدى وهو الله تعالى، وهو عين الشرك به وهو الله تعالى، وجاعل أئمة الضلال وهو غيره تعالى، وهو عين الشرك به عز وجل، وهذا المعنى بنفسه يلتقي مع قوله تعالى: ﴿لاَ تَتَخِذُواْ إِلَى هَنْ الله عَنْ وجلّ، فالإمام الله يريد أن يشير إلى إن نتيجة اتخاذ الإنسان إمامين في آن واحد «إمام هدى مع إمام ضلال» (٤)، حصيلته الشرك بالله عز وجلّ.

فمن أراد الالتزام بمبدأ التوحيد وأن لا يتخذ إلهين اثنين، عليه أن لا يتبع إمامين إمام حق من الله وإمام باطل من غيره تعالى، لأن هذا هو الشرك الذي ينافى مضمون الآية المباركة.

وهذا المعنى بنفسه هو الذي ذكرته بعض الروايات ومنها تلك الرواية

⁽١) القصص: ٤١.

⁽٢) التوبة: ١٢.

⁽٣) النحل: ٥١.

⁽٤) تأويل الآيات، الاسترابادي النجفي: ج١ ص٤٠١.

التي نقلها السيد شرف الدين علي الاسترآبادي: «عن علي بن أسباط عن إبراهيم الجعفري عن أبي الجارود عن أبي عبد الله الله في قوله تعالى: ﴿ أَلِهُ مَّعَ اللّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ قال: أي إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد» (١)، فهذه الرواية تؤكد المعنى الذي قررناه آنفاً، ولهذا فهم السيد الاسترآبادي من الرواية نفس المعنى الذي فهمناه، حيث قال في كتابه تأويل الآيات تفسيراً لمعنى الرواية: «يعني كما أنه لا يجوز أن يكون إله مع الله سبحانه كذلك لا يجوز أن يكون إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد؛ لأن الهدى والضلال لا يجتمعان في زمن من الأزمان، والزمان لا يخلو من إمام هدى من الله يهدي الخلق» (٢).

فعندما نجد بعض الروايات الضعيفة في بعض الكتب، فليس من الصحيح أن ننسب شيئاً إلى طائفة بكاملها اعتماداً عليها أو على رواية ضعيفة واحدة، وهذا لا يختص بمذهب الشيعة فقط، بل كتب أهل السنة ومنها الكتب المعتبرة كالصحاح والسنن وغيرها مما تحتوي على مثل هذه الروايات الضعيفة بشهادة كبار علمائهم بتضعيفها.

الخلاصة:

١- إنّ ما ذكر في الشبهة مجرد ادعاء لا أساس له في مذهب أهل البيت الله الله وقد صرح وأكد الرسول الأكرم الله على أنه الله على من مقامات فهو في إطار العبودية، وفي هذا المقام روايات متضافرة، فإذا كان

⁽١) تأويل الآيات، الاسترابادي النجفي: ج١ ص٤٠١.

⁽٢) المصدر نفسه: ج١ ص٤٠١.

هذا الحال مع الرسول الأكرم على بهذه الكيفية، فكيف بأهل البيت الملا وهم يأتون بعد النبي على الدرجة والمقام.

٢- إن وصف الإمام ﷺ بصفة الألوهية يعد من الغلو، ولا يخفى موقف أهل البيت عن هؤلاء أهل البيت عن هؤلاء المغالين، وكل من يصفهم بالربوبية والألوهية.

٣- إن مواقف علمائنا واضحة تجاه المغالين فقد وصفوهم بأنهم أنجس من اليهود والنصاري.

3- لو فرض وجود رواية صحيحة في المقام إلا أنه لا يمكن قبولها لتعارضها مع كتاب الله تعالى، وقد أمرنا النبي على وأهل بيته الله ألا نأخذ إلا بما وافق القرآن الكريم وترك كل ما خالفه فيما إذا لم يكن هناك طريق لتوجيه الرواية الصحيحة المفروض صحتها.

٥- لو فرضنا جدلاً وجود رواية مثل هذه وكانت صحيحة إلا أنه يمكن أن يقال: إنها ترمي الإشارة إلى مطلب آخر حاصله أنها تحذر الإنسان من اتخاذه إمامين في آن واحد، إمام هدى وإمام ضلال، كما حكى ذلك الحق تعالى بقوله: ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ إِلْهَيْنِ اثْنَعْنِ﴾، لأنه يؤدي إلى الشرك والضلال.

الولاية عند الشيعة أهم من التوحيد

الشبهت:

ولاية أهل البيت الله عند الشيعة أهم من التوحيد.

الجواب

أولا: التوحيد أساس الدّين

إن أصل التوحيد عند الشيعة الإمامية، يأتي في الذروة ويحتل موقع الصدارة في المنظومة الدينية، هذا ما نلمسه واضحاً عند مراجعة بسيطة لمصادر الشيعة في ذلك، ويكفي للقارئ مراجعة سريعة لمجامعنا الحديثية ليجد الأحاديث المتضافرة والمتواترة في ذلك، والتي تؤكد على أن كل الكمالات لله تعالى، بحيث لا يشذ عنه كمال، بل له من كل كمال وجودي أعلاه وأشرفه، وهذا يعد من الأصول الأساسية عند الشيعة.

ومن يتأمل في حصيلة النصوص الروائية الشريفة الواردة عن أهل البيت المني يتضح له أن مفتاح الولوج إلى عالم التوحيد الرحيب يكمن في معرفته تعالى معرفة حقيقية، وهذه الفكرة لخصها أمير المؤمنين المني في أول خطب النهج بقوله: «أول الدين معرفته» (۱)، وبموازاة هذا المعنى سارت بيانات أهل البيت المني وهذا المعنى يبرز في المحاورة التي دارت بين الإمام أمير المؤمنين المني والحبر اليهودي عندما جاء إلى الإمام يسأله

⁽١) نهج البلاغة: الخطبة الأولى، صبحي الصالح: ج١ ص١٤؛ وقد نقلها أكثر علمائنا في مجامعهم الحديثية.

قائلاً: «يا أمير المؤمنين متى كان ربك فقال له: ثكلتك أمك، ومتى لم يكن حتى يقال متى كان؟! كان ربي قبل القبل بلا قبل، وبعد البعد بلا بعد، ولا غاية له، ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنده، فهو منتهى كل غاية»، وهنا يبهت الرجل، وتبهره هذه الكلمات، فيبادر الإمام بقوله: «يا أمير المؤمنين أفنبي أنت؟! فقال ويلك أنا عبد من عبيد محمد...» (١) أي بمعنى التلميذ الذي أخذ عنه علمه ومعرفته في أمر دينه ودنياه.

⁽١) أصول الكافي: الكليني، ج١ ص٧٧ باب الكون والمكان: ح٥.

⁽٢) التوحيد، الصدوق: ص ١٨٠.

⁽٣) المصدر نفسه: ص٩٦.

⁽٤) بحار الأنوار، المجلسي: ج٣. ص٣.

سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَـرَ النَّـاسَ عَلَيْهَـا﴾، «قال: التوحيد» (١)، وما إلى ذلك من الروايات المتضافرة في هذا المجال، كل ذلك يكشف عن صرح بناء المعرفة التوحيدية عند الشيعة، ويكون ذلك ردًا قاصماً لأصحاب الأفكار المغلقة التي تكيل الاتهامات للآخرين من دون روية.

ثانيا: ترابط أصول الدين

إنّ الشيء الذي يسترعي الالتفات إلى أن المنظومة الدينية عبارة عن مركّب ذي حلقات مترابطة: التوحيد، النبوة، العدل، المعاد، الإمامة، فهي كالصلاة التي يُعبّر عنها بالمركّب الارتباطي، بتحققها مجتمعة يتحقق الكل.

وعلى هذا الأساس فإن التوحيد الحق والمطلوب المرضي عند الله تعالى لا يتحقق إلا إذا اعتقد الإنسان بهذه الأصول الخمسة، وأن الإخلال بأي حلقة من حلقات هذا المركب يؤدي إلى الإخلال بالتوحيد المطلوب المرضي عند الله تعالى، الذي هو غاية الغايات وليس وراءه غاية.

ومن هنا فإن الروايات المختلفة لدى السنة والشيعة تشير إلى أن كفر إبليس ليس كفر شرك؛ لأنه لم يعبد غير الله، وإنّما كان جحوده واستكباره على الله عزّ وجلّ في توحيده في مقام الطاعة، وقد ورد في بعض الروايات أنه طلب من الله تعالى إعفاءه من السجود لآدم الله الم

⁽١) بحار الأنوار المجلسي: ج٣ ص٧٧.

وسوف يعبده عبادة لا نظير لها، وما كان الجواب من الحق تعالى هو: «إنّي أحب أن أطاع من حيث أريد» (١)، وفي رواية أخرى: «إنما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تُريد» (٢).

وبناءً على ما سبق وتأسيساً عليه، فإن التوحيد الحق والمطلوب والمرضي عند الله تعالى لا يتحقق إلا من خلال الطريق الذي رسمه الله لنا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ اللَّهُ وَأَطِيعُواْ اللَّهُ وَأَطِيعُهُواْ الرَّسُولُ وَأَوْلِي الأَمْوِ لَنَا اللَّهُ وَاللَّهُ عَنْهُ فَالتَهُوا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَالتَهُوا﴾ (٤)، فأهمية الإمامة تكمن في دورها الأساسي في رسم معالم التوحيد المرضي عند الله عز وجل.

وبعد هذه الإطلالة السريعة اتضح لنا أهمية التوحيد عند الشيعة، وزيف قول صاحب الشبهة: إن الإمامة أهم من التوحيد لدى الشيعة.

ثالثا: الولاية فرع التوحيد

إن الروايات التي جاءت في تعظيم شأن الولاية جعلتها في قبال الصلاة والصوم والزكاة والحج، وذكرت أن الولاية أعظم منها، ولم تجعل الولاية في قبال التوحيد، فضلاً عن تفضيلها عليه، كما جاء ذلك:

١- عن أبي جعفر الله الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة

⁽١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢: ص٢٦٢، ج١١ ص١٤٥.

⁽٢) المصدر نفسه: ج١١ ص١٤١.

⁽٣) النساء: ٥٩.

⁽٤) الحشر: ٧.

والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»(١).

7- عنه أيضاً الله الإسلام على خمس: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربعة منها رخصة، ولم يجعل في الولاية رخصة» (٢).

وأين هذا من تفضيل الولاية على التوحيد؟ !!

بل لعل هذه الروايات صريحة في أن الولاية ليست بمستوى التوحيد، بل هي فرع هذه الشجرة الطيبة، وهي شجرة التوحيد.

الخلاصم:

1- إن التراث الشيعي الضخم يشهد على مكانة وعظمة التوحيد عند الشيعة، وهذا واضح لمن كان له أدنى إطلاع على روايات أهل البيت الملك وكيفية تعظيمهم وتقديسهم للذات الإلهية، كما قال أميسر المؤمنين الله الدين معرفته».

7- إنّ التوحيد المرضي عند الله تعالى إنّما يتحقق من حيث يريد هو عز وجل لا من حيث يريد العبد، وقد رسم الله تعالى الطريق في قوله: ﴿يَا أَيْهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهُ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْسِ مِسْكُمْ ﴾ وقد تضافرت الروايات عنه على وجوب مودة أهل البيت التي وموالاتهم واتباعهم والتمسك بهم، كما هو مقتضى حديث الثقلين والسفينة والغدير ونحوها.

⁽١) الكافي: الكليني: ج٢: ص١٨.

⁽٢) الخصال: الصدوق: ص٢٧٨.

إذن الجحود بحق أهل البيت الله وعدم موالاتهم ونصب العداوة لهم تعني عدم طاعة الله ورسوله، وبالتالي لا يتحقق التوحيد المرضي عنده تعالى.

٣- الروايات التي اعتنت بالولاية إنما جعلتها قبال الصلاة والصوم والحج ونحوها ولم تجعلها في قبال التوحيد.

علم أهل البيت الله بالغيب غلو

الشبهة:

إِنْ علم الغيب مختص بالله تعالى لقوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبِ لِلَّهِ لِلَّهِ لِلَّهِ اللهِ لَكِيبِ فَكَيف يدعى الشيعة أن أهل البيت يعلمون الغيب؟

تمهيد:

لكي تتضح الصورة في هذه المسألة، ينبغي أن نتوقف قليلاً عند حقيقة علم النبي على المعلم، وما هي نوع علم النبي الله الميت الله وبين النبي الله وهل توارث أهل البيت الله علمهم من النبي الله أم لا؟

وسوف نخوض في تحقيق هذه المعاني بشكل إجمالي مكتفين بالإشارة المفهمة، التي من خلالها يمكن إيصال المطلوب، وسيتجلى إن شاء الله تعالى، إن أهل البيت الملاي هم ورثة رسول الله الله تعالى، الله تعالى.

علم النبي عَلَيْهُ

ولكي نصل إلى معرفة علم النبي على الإجابة على تساؤل مسبق، يثار على ضفاف هذه المسألة يسهم في بناء الرؤية الفكرية الصحيحة حول العلم بالغيب.

والسؤال هو: ما هي حقيقة وجوهر علم النبي عَلَيْكُ ؟

وفي مقام الجواب على ذلك نقول:

إنّ علم النبي هو سنخ علم خاص يختلف عن علوم سائر البشر المتعارفة، التي تسمى بالاصطلاح العلمي بالعلوم الحصولية، وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة، كما في قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاء كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئكَة فَقَالَ أَنبتُوني بأَسْمَاء هَؤُلاء إن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) إلى أن قال تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ علْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إنَّك أنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢)، ثم انعطف بتوجيه الخطاب إلى آدم الله فقال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم، حيث نجد أن المشهد القرآني استبدل صيغة التعبير من «التعليم» الذي استخدمه مع آدم إلى التعبير «بالإنباء» الذي استخدمه مع الملائكة، وتغيّر التعبير لم يكن بسبب التفنن الأدبي فحسب، لأننا بإزاء كلام الله تعالى، الذي وصفه في قرآنه بأنه: ﴿كِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُـصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ ﴾ (٢)، إذن التعبير بهذه الصيغة يحمل في طياته مغزى يتمثل في أن ما حصل لآدم هو تعليم، وأنه الله كان فيه القابلية والاستعداد لتحمل هذا العلم الإلهي الذي لم يتحمله غيره، أما الملائكة فلم يتجاوز تحملهم سوى الإنباء لهم بالواسطة، لعدم استعدادهم لتلقي الفيض من الله تعالى بالمباشرة، لأنّ نشأتهم الوجودية لا تؤهلهم لتعلّم ذلك العلم وحمله بتمامه وبالمباشرة، وإنّما كلّ ما يمكنهم هو الإنباء والاطلاع على الواقعة بعد تمامها بالواسطة.

وتشير الآية المباركة الآنفة الذكر إلى نقطة بالغة الأهمية، تتمثل في

⁽١) البقرة: ٣١.

⁽٢) البقرة: ٣٢.

⁽٣) هود: ١.

موقع ومنزلة العلم الذي تعلمه آدم الله فلأهمية وعظمة هذا العلم، حاز الله به الموقع الوجودي الذي أهّله ليكون مسجوداً للملائكة فسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، ولا يخفى أن لفظة الملائكة المحلاة بالألف واللام تفيد العموم الشمول، ولفظة كلهم لزيادة التأكيد، ثم عاد ليؤكده بالمزيد في قوله تعالى: ﴿أَجْمَعُونَ » مما يفيد عدم تخلف أحد من الملائكة في السجود إلى هذا الخليفة الإلهي الأرضي، ولذا نجد الكثير من المفسرين ذهبوا لذلك، كما يومئ إليه قول الفخر الرازي في تفسيره: «قال الأكثرون إن جميع الملائكة مأمورون بالسجود لآدم» (١) ثم ذكر الأدلة التي احتجوا بها على رأيهم.

أفضلية نبينا على سائر الأنبياء

اتفقت كلمة المسلمين على أفضلية نبينا محمد الأنبياء من الأنبياء من الرسل وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، وجاء هذا الإجماع على ضوء أدلة قرآنية وروائية، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمَنكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مَنْهُم مّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿(٢) فمع أَن نبيّنا آخر النبيين مبعثاً، إلا أن القرآن الكريم يقدّمه في أخذ الميثاق على نوح الله الذي هو أول أنبياء أولي العزم، ثم يأتي من يليه من أولي العزم، ولم يأت هذا التقديم جزافاً؛ إذ لا موضع للجزاف في القرآن الكريم، الذي هو كتاب الله وكلماته وقد ذكر الآلوسي في تفسير الآية

⁽١) التفسير الكبير:، الفخر الرازي، مج١، ج٢ ص٢٥٩، دار الفكر ـ بيروت، ١٤١٥هـ.

⁽٢) الأحزاب: ٧.

قائلاً: «تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجاً بيّناً للإيذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع، واشتهر أنهم أولو العزم صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، وأخرج البزاز عن أبي هريرة أنهم خيار ولد آدم الله أنه أضاف: «وتقديم نبينا على مع أنه آخرهم بعثة للإيذان بمزيد خطره الجليل، أو لتقديمه في الخلق» (١).

والأحاديث المشهورة في هذا المضمار كثيرة، لا سيما الأحاديث التي تركز على حقيقة مهمة، وهي أن نبينا على هو أوّل مخلوق خلقه الله سبحانه وأنّه المصداق الأتم، والتجسيد الأكمل للخلافة الإلهية، وقد أشار الآلوسي لهذا المعنى بقوله: «فهو عليه الصلاة والسلام الكامل المكمل للخليقة، والواسطة في الإفاضة عليهم على الحقيقة، وكل من تقدمه عصراً من الأنبياء وتأخر عنه من الأقطاب والأولياء، نواب عنه مستمدون منه» (۱).

وقد جاء في العديد من الروايات أنه على أفضل الأولين والآخرين، ومن هنا نجد القرآن الكريم بين عظمة الرسول على في عدة من آيات أخرى، منها: قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿ ")، وقال القاضي عياض في ذيل هذه الآية: «اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد على وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف، قال ابن عباس: ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد على وما خيره، وقال أبو الجوزاء: ما أقسم الله بحياة أحد غير سمعت الله أقسم بحياة غيره، وقال أبو الجوزاء: ما أقسم الله بحياة أحد غير

⁽١) روح المعاني، الآلوسي: ج٢١ ص١٥٤،نشر: دار إحياء التراث العربي.

⁽٢) روح المعاني، الآلوسي: ج٢٢ ص ٢٠.

⁽٣) الحجر: ٧٢.

محمد عَلَيْ لأنه أكرم البرية عنده»(١).

وقد تضافرت الروايات في هذا المعنى:

منها: ما جاء عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله على «إن الله الصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفّع» (٢).

ومنها: ما روته عائشة عنه ﷺ قال: «أتاني جبرائيل فقال: قلّبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أرَ رجلاً أفضل من محمد ولم أرَ بني أب أفضل من بني هاشم»(٣).

ومنها: ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولـد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفّع» (1).

ونحوها من الروايات التي تؤكد وتثبت أفضلية نبينا محمد على على سائر الأنبياء المين وهذه الحقيقة مما لا خلاف فيها بين المسلمين، فهي محل اتفاق الجميع.

⁽١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض: ج١ ص ٣١ – ٣٢؛ فتح القدير، المسوكاني: +7 ص ١٣٨؛ وانظر: تفسير القرطبي: +1 ص ٢٩٨.

⁽۲) صحیح ابن حبان، ابن حبان: ج ۱۶ ص ۱۳۵

⁽٣) تفسير ابن كثير، ابن كثير: ج٢ ص١٧٩ - ١٨٠؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ج٢ ص٣١٧؛ الجامع الجامع الصغير، الطبراني: ج٢ ص٢٤٧؛ دلائل النبوة، البيهقي: ج١ ص١٧٦، الشفاء، القاضي عياض: ج١ ص١٦٦ الباب الثالث الفصل الأول.

⁽٤) تفسير ابن كثير، ابن كثير: ج٣ ص ٦٦؛ صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج٧ ص ٥٩؛ مسند احمد، أحمد بن حنبل: ج٢ ص ٥٤٠؛ سنن ابن ماجة: ج٢ ص ١٤٤٠، سير أعلام النبلاء: ج٨ ص ٢٩٤ و عيرها.

الرسول عظ أعلم الأنبياء على الإطلاق

اتضح مما تقدم آنفاً أنّ النبي الله أفضل الأولين والآخرين، وأفضل الأنبياء على الإطلاق، فمن البديهي أن يكون الله أعلم الأنبياء جميعاً؛ وإلا فلا يكون هناك معنى للأفضلية والقرب والرفعة والمقام المحمود عند الله تعالى.

وقد تبين أنّ علم الأنبياء والمرسلين سيما نبيّنا على هو سنخ علم خاص ليس من العلم الاكتسابي المتعارف عند سائر الناس، كما هو الحال في علم التلميذ الذي يأخذ علمه من المعلم، فعلم الأنبياء هو علم يلقيه الله سبحانه في قلب من يشاء، وهو مفاد قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عَبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عَندتا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنًا عِلْمًا ﴿ أَو كَذلك العلم الذي أفاضه تعالى على آدم الله وألقاه في قلبه مرة واحدة، بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأسْمَاء كُلّها ﴾ (١)

إذن علم الأنبياء هو علم خاص يلقيه الله تعالى في قلب مَن يشاء. وعلى هامش هذا المعنى تنبثق إثارة أخرى، محصلها: هل الأنبياء يعلمون الغيب أم لا؟

⁽١) الكهف: ٦٥.

⁽٢) البقرة: ٣١.

الأنبياء يعلمون الغيب

إنّ المتأمل في هذه الإثارة يجد أن منشأها من قبل البعض الذين يجمدون على ظواهر بعض الآيات القرآنية، التي تنفي العلم للغيب لغير الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿قُل مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندي حَزَآئِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندي حَزَآئِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندي حَزَآئِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْعَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندي خَزَآئِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْعَيْبَ وَلا أَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ صَراً إِلاَّ مَا شَاء الله وَلَو كُنتُ أَعْلَمُ الْعَيْبَ لاَسْتَكُثَوْتُ مِنَ الْحَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ (٢).

إذن على ضوء هذه الآية المباركة ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولِ ﴾ يتضح تخصيص الأنبياء والرسل المرضيين عند الله تعالى، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم، بأن الله تعالى أوصى إلى الأنبياء والرسل وأطلعهم على

⁽١) الأحقاف: ٩.

⁽٢) الأنعام: ٥٠.

⁽٣) الأعراف: ١٨٨.

⁽ع) الجن: ٢٦ - ٢٨.

⁽٥) البقرة: ٢٥٥.

مضافاً إلى ما صرحت به الروايات من اطلاع الأنبياء على الغيب، وبعبارة أخرى: إن الآيات التي تنفي بظاهرها علم الغيب عن الأنبياء واختصاصه بالله تعالى، إنما يكون المقصود منها هو نفي علم الغيب من الأنبياء بالاستقلال والأصالة ومن دون الإذن الإلهي، وليست هذه الآيات في مقام نفي العلم بالغيب عن الأنبياء إذا كان بنحو التبعية والتعليم من قبل الله وبإيحاء منه تعالى، كما قال تعالى حكاية عن النبي الأكرم على الله وبإيحاء منه تعالى، كما قال تعالى حكاية عن النبي الأكرم الله ولا أقُولُ لَكُمْ إِنِي مَلَكُ (١٤)، مضافاً الحكم العقل القاضي باستلزام موقع الخلافة الإحاطة والعلم بكل شيء.

إذن لا إشكال في علم الأنبياء بالمغيبات إذا كان بإذن الله تعالى، وإليك جملة من الشواهد القرآنية على ذلك:

شواهد من علم الأنبياء بالغيب

ثمة عدد من النصوص الأخرى القرآنية التي تشهد على علم الأنبياء بالغيب، منها:

١- ما قاله وبيّنه نبي الله صالح لقومه، كما في قوله تعـالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ

⁽١) النساء: ١٦٣.

⁽٢) هود: ٣١.

تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَاَئَةَ آيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْنُوبٍ ﴿ (١).

٢- كلام نبى الله عيسى الله وأخباره لنبي إسرائيل بما يأكلون وما يدخرون، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبُنكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُــوتِكُمْ إِنَّ يَدخرون، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْبُنكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُــوتِكُمْ إِنَّ فَي بُيــوتِكُمْ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢).

٣- ما ورد في القرآن من مواعيد الأنبياء بالملاحم والإخبار بالغيب، وقد وقع ذلك كله كوعيد نوح بحدوث الطوفان، وإنذار هود وشعيب ولوط بوقوع العذاب، وغير ذلك.

إخبار نبينا محمد عظ بالغيب

ونجد في هذا الحقل إخبارات غيبية كثيرة، سطرها القرآن الكريم منها:

١- إخباره ﷺ بانهزام الفرس على يد الروم، كما في قول تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرَّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَعْلِبُونَ في بضع سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْوُ مِن غُلْبَ الرَّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَعْلِبُونَ في بضع سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْوُ مِن فَي غُلْبَ المَّوْمِنُونَ﴾ (٣).

٢- إخباره لأصحابه بأنهم سيدخلون المسجد الحرام في مكة، كما في قوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَله تعالى: ﴿ وَقد تحقق الأمر بذلك الدخول كما أخبر به الله تعالى، ورسوله عَلَيْهُ.

⁽١) هود: ٦٥.

⁽٢) آل عمران: ٤٩.

⁽٣) الروم: ١– ٤.

⁽٤) الفتح: ٢٧.

٣- ما أخبر به عَلَيْ بالغيب في مقام التحدي وإعجاز القرآن وأنّه لم يستطع أحد أن يأتي ولو بسورة واحدة، كما قال تعالى: ﴿فَاتُواْ بِعَسْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ (١).

٤- إخباره بالفتوحات والمغانم الكثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَــدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ (٣).

٥- إخباره تعالى أنه يحفظ نبيه من أذى المنافقين، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿ (*). هذا وإن كان إخبار بالغيب من قبل الله تعالى على لسان رسوله عَلَيْهُ ولكن ذلك لا ينافي أن يكون النبي الأكرم عَلَيْهُ يعلم الغيب بالتبع عن طريق إعلام الله تعالى له.

علم أهل البيت الملكا

بعد أن تبين أن علم الأنبياء الله هو سنخ علم خاص يتلقاه النبي من الله تعالى سواء أكان عن طريق الإلهام أم التلقين، ينبغي الالتفات إلى أن الله سبحانه وتعالى هو العالم وحده بالاستقلال ولا يشاركه غيره، نعم قد يفيض الله تعالى من علمه على بعض المخلوقات كالأنبياء المله على وفق حكمته تعالى، ومَن ثم قد تتفاوت درجات إفاضة هذا العلم من قبله تعالى حسب ما تقتضيه حكمته.

⁽۱) يونس: ۳۸.

⁽۲) هود: ۱۳.

⁽٣) الفتح: ٢٠.

⁽٤) المائدة: ٧٧.

وعلى هذا الأساس نقول: إن الله تعالى خص أهل البيت المنظ أيضاً بهذا النوع من العلم، لكونهم ورثة رسول الله على وهم الثقل والعدل الآخر للقرآن الكريم، وسوف نلج في هذا المبحث من خلال بوابة العقل، وبوابة القرآن الكريم، والروايات الخاصة بذلك وبعض الشواهد الأخرى.

الدليل العقلي على علم الإمام

بما أنّه ثبت في محلّه أنّ الأئمة المين خلفاء الله في أرضه، ومقام الخلافة الإلهية في الأرض هو سنخ مقام لحكم الله في أرضه، وهو ما تسجله الأبحاث التفسيرية على هدي قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (١) ومن هنا نجد الآلوسي يقول: «ومعنى كونه خليفة أنه خليفة الله تعالى في أرضه، وكذا كل نبي، استخلفهم في عمارة الأرض وسياسة الناس، وتكميل نفوسهم، وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى، ولكن لقصور المستخلف عليه؛ لما أنه في غاية الكدورة والظلمة والجسمانية، وذاته تعالى في غاية التقدس، والمناسبة شرط في قبول الفيض على ما جرت به العادة الإلهية، فلابلة من متوسط ذي جهتي تجرد وتعلق؛ ليستفيض من جهة ويفيض بأخرى» (٢).

إذن تبين أنّ الخليفة موجود أرضي له بعدان: أحدهما روحي، والآخر معنوي وبشري يؤهله للنهوض بدوره في العالم ليمثل سلطان الله في أرضه، وعلى هذا الأساس فلابد من أن يتمتع بمواصفات ومزايا خاصة،

⁽١) البقرة: ٣٠.

⁽٢) روح المعاني، الآلوسي: ج ١ ص٢٢٠.

فينبغي أن يكون أعلم مما سواه ليمثل علم الله تعالى، وأن يكون قادراً على تحمل منصب الخلافة في القدرة والسمع والبصر الإلهي على هذه الأرض، ومن هنا نجد نصوصاً روائية وافرة تشهد على أن الرسول على وأهل بيته الله لهم هذه القدرة بإذن الله تعالى.

ففي الحديث، عن أبي هريرة أن رسول الله على قال: «هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم وإنبي لأراكم من وراء ظهري» (١).

وقد ذكر ابن حبان: «بأن المصطفى الله كان يرى من خلفه كما يرى بين يديه فرقاً بينه وبين أمته» (٢).

ولا غرابة في ذلك، كما يحدثنا القرآن عن كثير من الأنبياء بامتلاكهم مثل هذه القدرة، فهذا نبي الله عيسى المله لله قدرة على الخلق وإحياء البشر وشفاء المرضى، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْعَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُحُ فِيهِ فَيكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرِىءُ الأَكْمَةَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِبِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرِىءُ الأَكْمَةَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِبِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ فَأَبْرِى، اللَّه فَيكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّه وَأُبْرِىءُ الأَكْمَة والأَبْرَصَ وَأُحْيِبِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه فَاللَّهُ وَالْمُوكَانِ اللَّهُ وَأَبْرِى اللَّه وَأَبْرِى اللَّه وَالْمُوكَانِي اللَّه وَالْمُوكَانِ وَالْمُوكَانِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه وَأَبْرِى وَالْمُوكَانِ وَالْمُوكَانِ وَالْمُوكَانِي اللَّهُ وَالْمُوكَانِ وَالْمُوكَانِ وَاللَّهُ وَالْمُوكَانِ وَالْمَانِ وَاللَّهُ وَالْمُوكَانِ وَالْمُوكَانِ وَاللَّهُ وَالْمُوكَانِ وَالْمَانِ اللَّهِ وَالْمُوكَانِ وَالْمُوكَانِ وَاللَّهُ وَالْمُوكَانِ وَالْمُوكَانِ اللَّهُ وَالْمُوكَانِ وَالْمَانِ وَيُعَالِي اللَّهُ وَالْمُوكَانِ وَاللَّهُ وَالْمُوكَانِ وَاللَّهُ وَالْمُوكَانِ وَاللَّهُ وَالْمُوكَانِ وَلَيْ اللَّهُ وَلَهُ مِنْ وَلَا اللَّهُ وَلَيْمُ وَالْمُولِي وَالْمُولِي اللَّهُ وَلَيْمَالِهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَيْرِانِ اللَّهِ وَلَا لَا لَهُ وَالْمُؤْمِى وَالْمُؤْمِنَ وَالْمُؤْمِى الْمُولِي اللَّهُ وَلْمُ الْمُؤْمِى وَالْمُؤْمِنَ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْمِنَانِهُ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنِ اللَّهُ وَالْمُلْمُ وَالْمُؤْمِنُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُولِ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنِهُ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْمِنِ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْمِلِ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْمِ

ومن هنا نجد أن ابن كثير يقول في تفسيره في ذيل الآية: «وكذلك كان يفعل: يصور من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه، فيطير عياناً بإذن الله عزّ وجلّ الذي جعل هذا معجزة له تدل على أن الله أرسله» (٤).

⁽١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٢ ص٣٠٣؛ صحيح ابن حبان، ابن حبان ج١٤ ص ٢٥٠.

⁽۲) صحیح ابن حبان، ابن حبان: ج۱۶ ص ۲۵۰.

⁽٣) آل عمران: 29.

⁽٤) التفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ص ٤٨٥.

وقد جاء في روايات الخلفاء الاثني عشر «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق» ولا ريب أن من يعمل بالهدى لا بد أن يكون على علم خاص من الله سبحانه و تعالى، وإلا فوقوعه في الخطأ لا شك فيه.

إذن تبين أنّ الإمام (الخليفة) لابدّ أن يتوفر على علم خاص منه تعالى ليؤهله لإداء مسؤوليته وتمثيله في الأرض.

الأدلة القرآنية على علم الإمام

نستعرض فيما يلي جملة من الآيات القرآنية الواردة بشأن اختصاص أهل البيت الملاعظ بنوع خاص من العلم يختلف عن علم سائر الناس.

الدليل الأول:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أُوْرَثُنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُـوَ الْفَصَصْلُ الْكَـبِير ﴾ (١) وتقريب الاستدلال بهذه الآية يتطلب منا أن نمكث قليلاً لمعرفة حقيقة الوراثة القرآنية واختلافها عن الوراثة الترابية (المادية)، لا سيما مع ملاحظة أن أول ما يطالعنا القرآن به من الوراثة هي وراثة الإمامة المستمرة إلى يوم القيامة التي نلمسها بوضوح من خلال دعوة النبي إبراهيم لذريته.

دعوة النبي إبراهيم لذريته

إنّ منصب الإمامة وما يمثله من حالة تكاملية للإنسان الذي يعد من أرقى درجات التكامل الإنساني، شاء الله تعالى بلطفه وكرمه وفضله على

⁽١) فاطر: ٣٢.

44

الأنبياء، أن يجعل من ذريتهم أئمة وهداة يؤدون الواجب الإلهي تكريماً لهم ونعمة ومنة منه تعالى على أنبيائه اللهي الله المناه المنا

وفي الوقت نفسه كان هذا التكريم يمثل رغبة وأمنية من أمنيات الأنبياء، تفصح عن حالة فطرية عند الإنسان في الرغبة والبقاء والاستمرار من خلال ذريته الصالحة، وهذا بحث اجتماعي مهم يرتبط بدراسة علاقة الإنسان بذريته وشعوره بالبقاء من خلالها.

فالقضية إذاً ترتبط بكلا الجانبين: الجانب الإلهي، وهو تعالى الجواد المتفضل على أنبيائه المجيب لدعائهم، والجانب الإنساني العبودي المتمثل بهؤلاء الأنبياء الذين أخلصوا لله تعالى في العبودية.

وهذا ما نشاهده واضحاً على لسان نبي الله إبراهيم الله الذي هو شيخ الأنبياء، عندما امتحنه الله تعالى، ونجح في ذلك الابتلاء والاختبار، كان أول شيء طلبه من الله تعالى هو أن تكون هذه الإمامة التي حمّله الله مسؤوليتها، أن تكون في ذريته أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ مسؤوليتها، أن تكون في ذريته أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلَمَات فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ للنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُريَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالَمِينَ ﴿ أَنَّ وكذا وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْت وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلَمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُريَّتِنَا أُمَّةً مُسْلَمَةً لكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَثُبْ عَلَيْنَآ إِلَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ () حيث طلبا من الله تعالى لكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَثُبْ عَلَيْنَآ إِلَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ () حيث طلبا من الله تعالى في البداية قبول هذا العمل العظيم، شم دعيا أيضاً أن يشرك معهما في إسلامهما لله عز وجل ذريتهما من المسلمين المهتدين المقبولين لديه،

⁽١) البقرة: ١٢٤.

⁽٢) البقرة: ١٢٧–١٢٩.

ولم يقتصرا على ذلك وإنّما طلبا من الله تعالى أن تكون هذه الذرية ذرية تتحمل مسؤولية النبوة والرسالة أيضاً، كما بيّنته الآية الشريفة، حيث جاء فيها: ﴿رَبَّنَا وَابْعَتْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَة وَيُزكّيهمْ إِنّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الحَكيمُ﴾.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّذُنكَ وَلِيَّا يَرِثُنِي﴾.

ولـذلك نلاحـظ أن رسـول الله على كان يفتخر ويقـول: «أنّـا دعـوة إبراهيم» (١) أي في جعله من ذرية إبراهيم الله وأنـه الرسـول الـذي يتلـو الآيات، ويعلم الناس الكتاب والحكمة ويزكيهم.

الإمامة في الذرية سنة قرآنية

عندما نرجع إلى القرآن ومفاهيمه وتصويره لحركة الأنبياء والرسالات الإلهية، نجد أن هذا التكريم الإلهي للأنبياء، وهو أن يجعل من ذريتهم أنبياء وأئمة يقومون بالواجب الإلهي، فصار ذلك سنة من السنن الإلهية الواضحة في تاريخ الرسالات والأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا الواضحة في تاريخ الرسالات والأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا الله إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِه نَرْفَعُ دَرَجَات مَّن تَشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ، وَوَهَبَنَا لَهُ إِسْحَق وَيَعْقُوبَ كُلًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبَّلُ وَمِن ذُرِيَّتِه دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَيَعْشَى وَالْيَسَ كُلِّ مِّنَ الله عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمِسْ آلِياسَ كُلِّ مِّنَ الطَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمِسْ آلِسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمِسْ آلِيسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمِسْ آلِكَامُ وَدُرَيَّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ (٢).

⁽۱) الجامع الصغير، الطبراني: ج۱ ص٤١٤؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي: ج٣ ص٥٩؛ كنز العمال: ج ١١ ص٣٨٤ - ص٤٠٥.

⁽٢) الإنعام: ٨٣-٧٨

حيث يشير القرآن الكريم في الآيات المباركة إلى هذه السنة التاريخية وتعميمها لتشمل الآباء والإخوان، كما في قوله تعالى ومن آبائهم وذريتهم وإخوانهم، وكذلك ما ورد في سورة مريم عندما تحدث القرآن عن عدد من الأنبياء وهم إبراهيم وبعض ذريته، وإدريس من قبل إبراهيم، وبعد ذلك يذكر القانون العام في الذرية ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ هَمَانَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِيَّة إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَمَانَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِيَّة إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَمَانَا وَالْجَبَيْنَا إِذَا تُنْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَدًا وَبُكِيًّا ﴾ (١)، ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى عندما يتحدث عن نوح وإبراهيم، وأنه تعالى جعل الكريم إلى هذا المعنى عندما يتحدث عن نوح وإبراهيم، وأنه تعالى جعل في ذريتهما النبوة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرَيَّتِهِمَا النبوة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرَيَّتِهِمَا النبوة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرَيَّتِهِمَا النبوة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِيَّتِهِمَا النبوة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِيَّةٍ مِنْ أَنْ اللهُ وَالْكَتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدِ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٢).

وغيرها من الموارد الكثيرة التي لا يسع المجال لاستعراضها.

وبعد أن اتضح أن هذه سنة إلهية تحكم مسيرة وحركة الأنبياء، يبرز لنا عنوان آخر في عدد من الآيات القرآنية، ولعله يعد السبب الرئيس من وراء جعل هذه السنة في حركة الأنبياء وكونهم من ذرية واحدة، وهو ما تحدث عنه القرآن الكريم في مناسبات متعددة، ذلك هو الاصطفاء والاجتباء.

ما هو الاصطفاء؟

الاصطفاء لغة هو الاختيار والاجتباء، فمعنى اصطفاهم أي جعلهم

⁽١) مريم: ٥٨.

⁽٢) الحديد: ٢٦.

صفوة خلقه، كما في قوله تعالى لموسى الله الشاكرين السياكرين السياكرين السياكرين الله على الناس برسالاتي وبكالامي فنحذ ما آتيتك وكن من السياكرين الشهران، وقال في إبراهيم الله الموافقة والمؤتو والمؤتو والمؤتو والمؤتو والمؤتو والمؤتو والمؤتو والمؤتو والمؤتو المؤلوب المؤلوب

الاصطفاء والعدالة الإلهية

إنّ اصطفاء واختيار الله تعالى للأنبياء، إنّما جاء وفقاً للعدالة الإلهية ووفقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَن لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ (٤) و ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ وَوَفقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَن لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ (٤) و ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٥) إلاّ أن النقطة الجديرة بالالتفات، هي أن الكيفية والآلية التي اختارهم الله عز وجل على أساسها، إنّما جاءت نتيجة علمه تعالى بأن

⁽١) الأعراف: ١٤٤.

⁽٢) ص: ٤٥-٧٤.

⁽٣) آل عمران: ٣٣- ٣٤.

⁽٤) النجم: ٣٩.

⁽٥) الحجرات: ١٣.

هؤلاء الأنبياء مطيعون له طاعة لا نظير لها دون غيرهم، ويمتلكون إرادة واستعداداً خاصاً لتحمل المسؤولية، والفناء في ذات الله تعالى وإرادته، بحيث يعجز غيرهم عن الوصول لما وصلوا إليه.

إذن، لعلمه تعالى السابق بهم وبكفاءتهم في تحمل المسؤولية اصطفاهم واختارهم دون غيرهم من الناس؛ لأنه تعالى يعلم بأفعال المكلفين قبل حصولها، ولا ينافي ذلك اختيارهم كما هو واضح.

وعلى هذا الأساس، فإنَّ الله تعالى، بعد علمه السابق بهم، وأنهم يفوقون غيرهم سوف يوليهم عناية خاصة لكي يكونوا قادرين على تحقيق ما كانوا مستعدين لتحقيقه.

ولا ريب أن هذا المنطق هو منطق عقلائي، يمارسه العقلاء في حياتهم، ألا ترى لو وجد بين طلاب مدرسة، طالب يمتاز بنبوغ عالى، فهل من العدالة والإنصاف أن يترك مع بقية الطلبة، ويعامل بمستواهم العلمي الذي يقل عن مستواه بمراتب؟ طبعاً لا، وإنّما من العدالة أن يحضى برعاية استثنائية، ويُوفر له من الإمكانيات ما يجعله قادراً على الإنتاج وتحقيق الغايات المرجوة من نبوغه بحسب قابليته، بل لو كان لديك أولاد، وكان لأحدهم نبوغ وكفاءة، فالمنطق العقلائي يُحتم عليك أن توفر وتهيئ له الظروف وتهتم به وترعاه، ومن الظلم له أن تتركه وتساويه مع غيره في العناية، لأن قوام العدل وأساسه ليس التساوي، وإنّما هو إعطاء كل ذي حق حقه، فمن حق الذي تتوفر فيه القابلية والكفاءة أن تهيئ له ما يستلزم استثمار كفاءته واستعداده.

وعلى ضوء هذا نجد أن الله تعالى أولى عناية خاصة بالأنبياء والمرسلين، لعلمه السابق تعالى بهم وبقابليتهم على طاعته بتلك الدرجة دون غيرهم، بل نجد الآن في علم الهندسة الوراثية أنهم يدرسون جينة الشخص؛ ليتمكنوا من تشخيص قابلياته، ومعرفة كفاءته واستعداده ليضعوه في الموضع المناسب، وأنه هل له قدرة على القيادة والعطاء أم لا؟ وهذا هو منهج الاصطفاء.

الذرية الصالحة للأنبياء عناية إلهية

من الواضح أن الوراثة والأبوة والجدودة من الأمور التي لها نوع تأثير ومدخلية على تركيبة وشخصية الإنسان ومزاجه بما ينسجم مع عالم الدنيا المادي الذي نعيش فيه، ولذلك شاء الله تعالى لهؤلاء الأنبياء والمرسلين والأئمة الذين اصطفاهم واختارهم أن يجعلهم من ذرية صالحة وأرحام مطهرة، وهذا ما نلمسه في روايات متضافرة في هذا الصدد.

تقلبهم في الأرحام المطهرة

وهو ما يسمى بأخبار الطينة والأصلاب المطهرة، فقد أخرج بن مردويه عن ابن عباس، قال: سألت رسول الله على فقلت: بأبي أنت وأمي أين كنت و آدم في الجنة؟ فتبسم حتى بدت نواجذه، ثم قال: «إني كنت في صلبه وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، فقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفى مهذباً، لا

تتشعب شُعبتان إلا كنت في خيرهما، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي، وبالإسلام هداني، وبين في التوراة والإنجيل ذكري وبين كل شيء من صفتي في شرق الأرض وغربها، وعلمني كتابه في سمائه، وشق لي من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدني أن يحبوني بالحوض وأعطاني الكوثر، وأنا أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجني في خير قرون أمتي، وأمتى الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»(١).

وعن رسول الله على قال: «ما بال أقوام ينتقصون علياً، مَن تنقص علياً فقد تنقص علياً فقد تنقصني، ومن فارق عليا فقد فارقني وإن علياً مني وأنا منه، خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم، ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليهم» (١).

وعن رسول الأكرم على قال: «خلقت أنا وهارون ابن عمران ويحيى بن زكريا وعلي بن أبي طالب من طينة واحدة» (٣).

ابعاد اخرى

إذن ظاهرة اختيار واصطفاء الأنبياء والمرسلين والأئمة، وجعلهم في ذرية واحدة، لا ينحصر أثرها في عناية الله تعالى بهم وجعلهم في أصلاب وأرحام مطهرة فحسب، وإنما نجد لهذه الظاهرة أبعاداً وأهدافاً أخرى ذات أهمية فائقة، منها:

⁽۱) الدر المنثور، السيوطي: ج٦ ص٢٣٢؛ تاريخ مدينة دمشق ابن عـساكر: ج٣ص ٤٠٨، وكـذلك البداية والنهاية، ابن كثير: ج٢ ص٣١٨، وكذلك السيرة النبوية: ابن كثير: ج١ ص ١٩٦.

⁽٢) مجمع الزوائد، الهيثمي: ج ٩ ص ١٢٨.

⁽٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج٦ص٥٦؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٢٢ ص٦٣.

أولا: البعد التاريخي

وهذا واضح كما في اختيار الله تعالى أوصياء الأنبياء، حيث نجد أن اختياره تعالى للأوصياء يتركز على أولئك المقربين للأنبياء من أقاربهم أو ذراريهم ممن يرتبطون بالنبي أو الرسول القائد ارتباطاً نسبياً، كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرَيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَسابَ ﴾ (١) وغيرها من الآيات (٢).

ثانيا: البعد الرسالي

ونقصد بذلك ما يترتب على الذرية الصالحة للأنبياء من تحقيق مصالح الرسالة، وإعداد الأفراد المؤهّلين للقيام بمهامها وتحمّل أعبائها الثقيلة؛ وذلك لأنّ عُمْر الرسول عادة على يكون أقصر من عمر الرسالة، ومن ثم يحتاج إلى من يقوم بتحمل أعبائها ومسؤولياتها، وهذا إنّما يحتاج إلى إعداد يتناسب مع طبيعة وحكم هذه الأعباء والمسؤوليات الضخمة، ولا ريب أن الإعداد الأفضل والأكمل لا يتم إلا في داخل البيت الرسالي، ومن الأفراد الذين انحدروا من صاحب الرسالة الذين لم يروا النور إلا في كنفه وفي إطار تربيته، دون غيرهم من الأفراد الذين يفتقرون إلى الكفاءة والاستعداد وإن كانوا من نفس ذرية النبي على عما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَ اللّهُ مِنْ الْمُعْدِي الظّالمينَ اللّهُ اللّهُ مِنْ الْمُعْدِي الظّالمينَ الظّالمينَ الطّالمينَ الطّالمينَ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

⁽١) الحديد: ٢٦.

⁽٢) الأنعام: ٨٣ -٧٨

٣- البقرة: ١٢٤.

ما هي حقيقة وراثة الأنبياء؟

على ضوء ما سلف آنفاً يتضح أن وراثة الأنبياء أعم من الوراثة المتعارفة، فهي شاملة لوراثة العلم والنور والملك، ومن هنا نجد الفخر، الرازي يفسر آية ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (١) على أنها أعم من وراثة النبوة والمال حيث قال: «... الله تعالى جعل سبب الإرث فيمن يرث الموت على شرائط، وليس كذلك النبوة لأن الموت لا يكون سبباً لنبوة الولد فمن هذا الوجه يفترقان، وذلك لا يمنع من أن يوصف بأنه ورث النبوة لما قام به عند موته، كما يرث الولد المال إذا قام به عند موته»، ثم ذكر وجوها عديدة لـشمول الإرث للمال والنبوة والمقامات الرسالية، إلى أن قال: «فبطل بما ذكرنا قول من زعم أنه لم يرث إلا المال» (١).

فمن أبرز ما يورث في أسرة التوحيد بين الأنبياء والمرسلين والأئمة هو العلم، ولا يخفى ما في العلم من فضل ومزية، ولذا فإن الفخر الرازي في ذيل الآية المباركة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَصَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عَبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال: «في الآية دليل على علو مرتبة العلم؛ لأنهما أوتيا من الملك ما لم يؤت غيرهما،... إن تلك الفضيلة ليست إلا ذلك العلم » (٤٠).

وبهذا يتبيّن أنَّ الأنبياء والمرسلين والأئمة وراثتهم نورية فضلاً عن

⁽١) النمل: ١٦.

⁽٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي: المجلد الثاني عشر ج ٢٤ ص ١٨٧.

⁽٣) النمل: ١٥.

⁽٤) التفسير الكبير، الفخر الرازي: المجلد الثاني عشر: ج٢٤ ص١٨٦.

الوراثة المتعارفة، وأن أبرز شيء متوارث فيما بينهم هو العلم والنبوة والحكمة، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرُثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾. قال الثعلبي في مراثي المجالس في آية ﴿ وَورِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾: «يعني نبوته وحكمته وملكه».

أهل البيت الكاورثة الأنبياء

وحيث إن أهل البيت الله من تلك الشجرة المباركة، ومن أسرة التوحيد، ومن تلك الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة المصطفاة المجتباة المتمثلة بالأنبياء والمرسلين، وعلى رأسهم سيدهم وأفضلهم نبينا محمد عليه فهم الله ورثة الأنبياء وممن اصطفاهم واختارهم واجتباهم الله سبحانه وتعالى لسابق علمه بطاعتهم وحبهم وفنائهم في ذات الله تعالى.

وإليك نموذجاً من الشواهد الروائية المؤكّدة لوراثة أهل البيت الله للأنبياء:

١ - الإمام علي وذريته إلا وارثو رسول الله

ففي المناقب للخوارزمي عن رسول الله عند المؤاخاة أنه قال: «والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي فأنت عندي بمنزلة هارون من موسى ووارثي، فقال: يا رسول الله ما أرث منك؟ قال ما ورثت الأنبياء، قال وما أورثت الأنبياء قبلك؟ قال كتاب الله وسنة نبيهم» (١٠).

وفي ينابيع المودة، عن أمير المؤمنين علي الله علي الله علي الله علي الله علي الله علي الله عليه الله على الله على الله عليه الله على ا

⁽١) المعجم الكبير، الطبراني: ج٥ ص٢٢١؛ وذكره ابن حبان في الثقات: ج١ ص١٤٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٢١ ص٤١٥، ج٤٢ ص٥٣؛ مناقب الخورازمي، الخوارزمي: ص١٥٢.

على أنت أخي ووارثي ووصيي، محبّك محبي، ومبغضك مبغضي، يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة، يا على أنا وأنت والأئمة من ولدك سادات في الدنيا وملوك في الآخرة، من عرفنا فقد عرف الله عز وجلّ، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عز وجل» (١).

وعن أبي ذر را الله أنه قال: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذي، إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم، محمد الصفوة من نوح، فالأول من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمد، إنه شرف شريفهم، واستحقوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة وكالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونية أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمد وارث علم آدم وما فضل به النبيون، وعلى بن أبي طالب وصيّ محمد، ووارث علمه، أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها! أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوق رؤوسكم، ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه، فأما إذ فعلتم ما فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون $^{(7)}$.

⁽١) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص ٣٧٠.

⁽٢) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧١.

٧- الأنبياء يقرون بولاية علي وذريته الماليان

أخرج الحاكم الحسكاني في شواهده: «إن النبي عَلَيْهُ ليلة أسري به جمع الله تعالى بينه وبين الأنبياء، ثم قال: سلهم يا محمد على ماذا بُعثتم؟ [فسألهم] فقالوا: بُعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى الإقرار بنبوتك، والولاية لعلى بن أبى طالب»(١).

وأخرج أيضاً عن أنس أنه قال: «قلنا لسلمان: سل النبي من وصيّه فقال له سلمان: يا رسول الله من وصيك، قال: «يا سلمان من كان وصيّ موسى؟ فقال: يوشع بن نون. قال: فإن وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز موعودي على بن أبي طالب» (۲).

وعن الرسول الأكرم الله قال: «إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته فلا تذهب بكم الأباطيل» (٢)، ونحوها من الروايات الكثيرة.

٣- أهل البيت الله ورثة الكتاب

لقد وردت جملة من الروايات تؤكد على أن أهل البيت الله هم ورثة

⁽١) شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني: ج ٢ ص ٢٢٤.

⁽٢) المصدر نفسه: ج ١ ص ٩٩.

⁽٣) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٧٨.

الكتاب الكريم.

منها: ما أخرجه السيوطي في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُنْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قال: «هم أهل بيت طهرهم الله من السوء واختصهم برحمته، قال: وحدّث الضحاك بن مزاحم أن نبي الله عَيْنِ كان يقول: نحن أهل بيت طهرهم الله، من شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم» (١).

ومنها: ما أخرجه الحاكم الحسكاني في شواهده، عن الحرث، قال سألت أمير المؤمنين علي الله عن هذه الآية: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذّكْرِ ﴾ قال: «والله إنّا أهل الذكر، ونحن أهل العلم، ونحن معدن التأويل والتنزيل، وقد سمعت رسول الله عَلَيُ يقول: أنا مدينة العلم وعلي "بابها، فمن أراد العلم فليأت من بابه» (٢).

ومنها: ما ورد عن عبد الله بن أعين قال: سمعت جعفر الصادق الله يقول: «قد ولدني رسول الله على وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدأ الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر الجنة وخبر النار، وخبر ما كان وخبر ما يكون، وأنا أعلم ذلك كلّه كأنما أنظر إلى كفي، وأن الله يقول: ﴿تُينَانًا لَكُلِّ شَيْءٍ ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثُنَا الْكِتَابَ الله عِنانَ الله عِنانَ الله عنانَ الكُلُ شيء الله عنانَ عنانَ الله عنانَ عنانَ الله عنانَ الله عنانَ الله عنانَ الله عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ الله عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ الله عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ عنانَ الله عنانَ عنا

⁽١) الدر المنثور، السيوطى: ج٦ ص٦٠٦.

⁽٢) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٤٣٢.

⁽٣) ينابيع المودة، القندوزي: ج اص ٨١.

ومنها: ما جاء عن أمير المؤمنين علي الله أنه قال: «لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه من هذه الأمه أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله»(۱).

ومنها: ما في ينابيع المودة عن الإمام الباقر الله قال: «ونحن مستودع مواريث الأنبياء... ونحن العلم المرفوع للحق» (٢).

وغيرها من الروايات التي لا يسع المجال لذكرها، ولا يخفى ما في دلالتها على أن أهل البيت الميث ورثة علم رسول الله على أن أهل البيت الميث ورثة علم رسول الله على أن أهل البيت وفضلهم في الأمة، كما في رسول الله على بيان منزلة أهل البيت وفضلهم في الأمة، كما في قوله على الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل» (٢).

أعلمية أهل البيت في القرآن الكريم

من الأدلة االقرآنية على أعلمية أهل البيت المن مضافاً إلى ما تقدم: قوله تعالى: ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (1).

ففي هذه الآية المباركة يبيّن الله تعالى لرسوله الأكرم عَلَيْكُ كيفية الإجابة

⁽١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد: ج١ ص ٣٠.

⁽٢) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٧٧.

⁽٣) نظم درر السمطين، الزرندي: ص٢٠٨؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص٧٨، ج٢ ص٤٥، ٨٢، ٣٨٢.

⁽٤) الرعد: ٤٣.

والمحاججة مع الكفار الذين ينكرون نبوته ورسالته، بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿ اللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿ اللَّهِ مَا لَكِتَابُ فَي مَقَام إِثبات نبوته بأن يستشهد بشهادتين:

الشهادة الأولى: وهي شهادة الله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ وأنه تعالى هو الذي أوحى إليه القرآن الكريم، وأنه معجزة خالدة، وهذه شهادة إلهية عظيمة لا تعدلها شهادة، ولا ينضر معها جحود هؤلاء الكافرين.

الشهادة الثانية: شهادة من عنده علم الكتاب: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا يَيْنِي وَيَنْكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ فجعل شهادة الذي عنده علم الكتاب لإثبات رسالته وصحة دعوته، وكفى بهذه الشهادة كرامة وفضلاً، لاقترانها بشهادة الله تعالى. ولكي نقف على عظمة هذه الشهادة ينبغي التعرف على حقيقة علم الكتاب:

حقيقت علم الكتاب

لمعرفة حقيقة علم الكتاب ينبغي أن نقف متأملين قليلاً عند قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ أَيُّكُمْ يَأْتِنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَقَامِكَ وَإِنِي عَلَيْهِ لَقُويِّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذي عِندَهُ علْهِ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقُويٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذي عِندَهُ علْهِ الْجِنِّ أَن آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدُّ إِلَيْكَ طُونُكُ فَلَمًّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مَسِن مِّنَ الْكَتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدُّ إِلَيْكَ طُونُوكَ فَلَمًّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مَسِن فَضْ الْكَتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدُّ إِلَيْكَ طُونُوكَ فَلَمًّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مَسِن فَضْلُ رَبِّي لَيْنُلُونِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِي كَنُولُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِي كَنَالِ رَبِّي لِيَنْلُونِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِي كَنُونُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِي كَرَيْمَ الْمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِي كُولُ الْمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِي

⁽١) النمل: ٣٨ – ٤٠.

فإن هذه الآية المباركة تبين أن وصي سليمان الله كان عنده بعض علم الكتاب وليس علم الكتاب كله، كما هو واضح من قوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ حِيث إن (من) في الآية الكريمة تبعيضية، أي عنده بعض علم الكتاب، وبهذا البعض من العلم من الكتاب كان لوصي سليمان (آصف بن برخيا) القدرة على الإتيان بعرش بلقيس من سبأ في اليمن إلى بيت المقدس في أقل من طرفة عين، فكيف بمن عنده علم الكتاب كله؟!

حدود علم الكتاب

وُصِف الكتاب في القرآن الكريم بأنه يحتوي على كل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَوَّانُنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لَّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

وكلمه (شيء) في الآية مفهوم مطلق لا يوجد أعم منه، فلا يخرج من هذا التعميم مخلوق من الأزل إلى الأبد، لا سيما مع ملاحظة أن الشيء في الآية جاء مشفوعاً بكلمة (كل) التي تؤكد العموم، إذن الكتاب بيان لكل شيء.

ومن البديهي أن هذا الضرب من العلم بالكتاب الذي تشير إليه الآية الكريمة آنفة الذكر: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ والآية المباركة: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ ﴾ (٢) أن هذا العلم ليس هو العلم المتعارف بين الناس المسمّى بالعلم الحصولي، بل هو سنخ آخر من العلم ميزته أن لصاحبه القدرة على التصرف بنظام التكوين، وبواسطته

⁽١) النحل: ٨٩

⁽٢) الرعد: ٤٣.

استطاع وصي سليمان -الذي عنده علم من الكتاب- أن يأتي بعرش بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس في أقل من طرفة عين.

من الذي عنده علم الكتاب؟

استفاضت الروايات، واحتشدت دلالاتها على أن المراد بمن عنده علم الكتاب في الآية: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ أنه الكتاب في الآية: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ أنه الإمام علي بن أبي طالب الله فقد جاءت هذه الشواهد الروائية بألسنة مختلفة ملتقية في نقطة واحدة، وهي أن الذي عنده علم الكتاب في الآية هو علي بن أبي طالب الله منها:

الإمام علي الله أحصى علم كل شيء

١- أخرج القندوزي في ينابيع المودة بسنده عن الحسين بن على الله هو لما نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ قالوا يا رسول الله هو التوراة أو الإنجيل أو القرآن؟ قال: «لا، فأقبل أبي الله فقال عَلَيْهُ: هذا هو الإمام الذي أحصى الله فيه علم كل شيء» (١).

7- أخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، في هذا المجال ستة أحاديث عن ابن عباس، وأبي صالح، والإمام الباقر الله ومحمد بن الحنفية، وأبي سعيد الخدري، نكتفي بنقل حديث واحد منها، وهو ما جاء عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: «سألت رسول الله عن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب» (٢).

⁽١) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص ٢٣٠.

⁽٢) شوآهد التنزيل، الحسكاني عبد الله بن أحمد: ج ١ ص ٤٠٥-٤٠٥.

٣- أخرج أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره حديثين، الأول عن ابن عبد الله بن عطاء أنه قال: (كنتُ جالسا مع أبي جعفر في المسجد فرأيت ابن عبد الله بن سلام جالساً في ناحية، فقلت: لأبي جعفر: زعموا أن الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام، فقال: إنما ذلك علي بن أبي طالب الله والثاني؛ عن أبي عمر زاذان، عن أبن الحنفية: ((وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)، قال: هو علي بن أبي طالب) (١).

3- أخرج القرطبي في تفسيره، عن عبد الله بن عطاء أنه قال: «قلت: لأبي جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الله وعموا أن الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام، فقال: «إنما ذلك علي بن أبي طالب الله»، وكذلك قال محمد بن الحنفية» (٢٠).

٥- أخرج الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في كتابه «ما نزل من القرآن في علي علي علي عن إسماعيل بن سليمان: عن [محمد] بن الحنفية في قوله عز وجلّ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ قال: (هو علي بن أبي طَالبَ عَلِي).

7- قال الآلوسي في تفسيره: «قال محمد بن الحنفية، والباقر كما في البحر: المراد بـ (من)، علي (كرم الله تعالى وجهه)، الظاهر أن المراد بالكتاب حينئذ القرآن، ولعمري إن عنده (رضي الله تعالى عنه) علم

⁽١) الكشف والبيان، الثعلبي أبو إسحاق أحمد: ج٥ ص٣٠٣- ٣٠٢.

⁽٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي محمد بن أحمد: ج٩ ص٢٣٩.

⁽٣) النور المشتعل من كتاب ما نزل من القرآن في على الله ، الإصبهاني؛ أحمد بن عبد الله بن أحمد (أبو نعيم): ص١٢٥؛ تحقيق محمد باقر المحمودي.

الكتاب كملاً»(١)!.

٧- ابن مردويه (٢٠ روى في كتابه (مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال:

«هو علي بن أبي طالب» (٣).

اختصاص أهل البيت الله بعلم الكتاب

بعد أن اتضح أن الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله بمقتضى الروايات الآنفة الذكر، فهنالك عدة آيات قرآنية تشير إلى اختصاص رسول الله الله وأهل البيت الله بعلم الكتاب فضلاً عن الروايات الصحيحة، ومن جملة هذه الآيات ما يلى:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ''، وقوله تعالى ﴿مَّا فَي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ حيث دلت هاتان الآيتان على أن القرآن فيه تبيان كل شيء، ثم إننا لو سألنا القرآن الكريم عن سبب وجود الاختلافات الكثيرة بين المسلمين مع أن القرآن الكريم موجود بين أيديهم؟ لأجابنا بأن هذا الكتاب الذي فيه تبيان لكل شيء يحمله ثلة

⁽١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي: ج١٣ ص١٧٦.

⁽٢) قال الذهبي في حقه: ابن مردويه الحافظ، المجود، العلامة، محدّث أصبهان، كان من فرسان الحديث، فهما يقظاً متقياً كثير الحديث جداً، ومن نظر في تواليفه عرف محله من الحفظ، راجع: الذهبى: سير أعلام النبلاء: ج١٧: ص٣٠٨-٣٠٩.

⁽٣) مناقب علي بن أبي طالب عليه الأصبهاني؛ ابن مردويه أحمد بن موسى: ص ٢٦٨؛ جمعه وقدم له عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين.

⁽٤) النحل: ٨٩

مطهرة من الأمة، وهم الثقل الآخر للقرآن الكريم بتعبير حديث الثقلين وهو: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» وهذا الحديث متواتر سنداً ومضموناً، وصريح من حيث الدلالة على أن أهل البيت على هم الثقل الآخر في الأمة، وأنهم عدل للقرآن، وهذا المعنى يلتقي مع قوله تعالى -الذي يدلنا على مكان وموضع علم الكتاب - ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بيّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ القرآن إلا الظّالمُونَ ﴿() ولم يدّع أحدٌ من المسلمين أنه عنده علم ما في القرآن إلا الظّالمُونَ ﴿() ولم يدّع أحدٌ من المسلمين أنه عنده علم ما في القرآن إلا هم على لا يفترقون عنه إلى قيام الساعة، فقد ورد عن عمر أنه قال: «سمعت رسول الله على يقرأ قوله تعالى ﴿وَمَنْ عِنسكهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾، وقد أثبتنا أن وسمعته يقول: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيّنَاتٌ فِي صُدُورِ الّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾، وقد أثبتنا أن الذي عند علم الكتاب هو الإمام علي وولده الله وهذه دلالة واضحة على أن المراد بـ ﴿صُدُورِ الّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ هم أهل بيت النبي على وفي مقدمتهم أمير المؤمنين الله المؤمنين الله المؤمنين ا

ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَّكُنُونٍ، لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾. ولأجل أن نتفهم الآية المباركة ينبغي بيان مقدمة تساهم في الوصول إلى المطلوب: وملخص هذه المقدمة: هي أن لكل شيء أربعة وجودات: الوجود الأول: وهو الوجود الكتبي مثل كتابة (زيد).

الوجود الثاني: الوجود اللفظي كما لو تلفظنا بكلمة (زيد) فقط. الوجود الثالث: الوجود الذهني كوجود صورة زيد في ذهننا.

⁽١) العنكبوت: ٤٩.

الوجود الرابع: الوجود الخارجي وهو وجود زيد حقيقة في الخارج. والقرآن الكريم لا يخرج عن هذه الحقيقة التكوينية، فهو له أربعة وجودات أيضاً، فوجوده اللفظي هو القرآن المصوت به، وكذا له وجود كتبي وهو هذه النسخة الشريفة الموجودة والتي لها أحكام شرعية خاصة بها.

ووجوده الذهني الذي هو عبارة عن تدبر معانيه السامية، والتأمل فيها، وهي ما دعانا الباري تعالى إلى التدبر والتأمل فيها.

ووجوده الخارجي هو نفس حقيقة القرآن الكريم، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتُهُ خَاشِعًا مُتُصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، فتصدع الجبل لا يحصل بوجود القرآن اللفظي أو الكتبي بتلاوته أو كتابته أو وضعه على الجبل، ولا بوجود القرآن الذهني بل تصدع الجبل فيما إذا نزلت حقيقة القرآن الخارجية على الجبل، وهذا هو ما نصّت عليه الآية المباركة.

وبعد أن اتضحت هذه المقدمة وهي أن للقرآن حقيقة خارجية تكوينية سامية، فإن هذه الحقيقة لا يمكن أن يصل إليها إلا المطهرون، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * في كتب مَّكُنُون * لاَ يَمَستُهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ومعنى (مكنون) أي محفوظ؛ ولذا قال الراغب الأصفهاني في مفرداته في معنى قوله تعالى: ﴿﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ أي لا يبلغ حقائق معرفته إلا من طهر نفسه وتنقى من درن الفساد» (١٠).

⁽١) المفردات في غريب القرآن، الراغب: ص ٣٠٨.

من هم المطهرون؟

1- ما ورد عن عبد الله بن جعفر لما نظر رسول الله على الرحمة هابطة قال: «ادعوا لي، ادعوا لي، فقالت صفية: من؟ قال على أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين، فجيء بهم فألقى عليهم كساءه، ثم رفع يديه، ثم قال: اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد، وأنزل الله عز وجل الله عرائما يُرِيدُ الله ليُذهب عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾»، [قال الحاكم]: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد صحت الرواية على شرط الشيخين، أنه علمهم الصلاة على أهل بيته كما علمهم الصلاة على آله» (١٠).

٢- ما ورد عن أبي سلمة: فدعا حسناً وحسيناً، وفاطمة، فأجلسهم بين يديه، ودعا علياً فأجلسه خلفه فتجلل هو وهم بالكساء، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» (٢).

ومنها: ما رواه ابن كثير في تفسيره قال: «... حدثنا شداد بن عمار قال دخلت على واثلة بن الأسقع رضي الله عنه وعنده قوم فذكروا علياً رضي

⁽١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣: ص١٤٨.

⁽٢) جامع البيان، الطبري: ج٢٢: ص١٢؛ المعجم الكبير، الطبراني: ج٩: ص٢٦؛ شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني: ج٢: ص١٤٥.

الله عنه فشتموه، فشتمته معهم، فلما قاموا قال لي شتمت هذا الرجل؟ قلت: قد شتموه فشتمته معهم، ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله على الله عنه، بلى، قال: أتيت فاطمة رضي الله عنها أسألها عن علي رضي الله عنه، فقالت توجه إلى رسول الله على فجلست أنتظره، حتى جاء رسول الله ومعه على وحسن وحسين رضي الله عنهم آخذاً كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم وأجلس حسناً وحسيناً رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم عليهم ثوبه، أو قال: كساءه، ثم تلى الله هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَلَيْهُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿ وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق ﴿ (۱).

٣- وعنه أيضاً في رواية أخرى عن أم سلمة قالت: «فأخذ على فضل الكساء فغطاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهر هم تطهيراً، قالت – أم سلمة –: فأدخلت رأسي البيت، فقلت وأنا معكم يا رسول الله؟ فقال على خير، إنك إلى خير، إنك إلى خير، ".

3- وفي رواية ثالثة عنها أيضاً قالت: «فلما رآهم مقبلين مدّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يده إلى كساء كان على منامه، فمده وبسطه، وأجلسهم عليهم، ثم أخذ بأطرف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم وأوماً به بيده اليمنى إلى ربه، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي

⁽١) تفسير ابن كثير، ابن كثير: ج٣: ص٤٩٢.

⁽٢) المصدر نفسه: ج٣ ص٤٩٢.

فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»(١).

٥- وفي رواية رابعة كذلك قالت: «... فاجتمعوا فجللهم رسول الله على اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط، قالت، فقلت: يا رسول الله وأنا؟ قالت: فو الله ما أنعم، وقال: إنك إلى خير» (٢).

٦-وفي رواية خامسة عن أم سلمة أيضاً: «... بينما رسول الله عَلَيْ في بيتي يوماً، إذ قالت: الخادم إن فاطمة وعلياً بالسدة، قالت: فقال لي رسول الله عَلَيْ قومي فتنحي عن أهل بيتي» (٣).

٧- وفي رواية سادسة عن أم سلمة: «قالت: إن هذه الآية نزلت في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُنْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت يا رسول الله: ألست من أهل البيت؟ فقال عَلَيْهُ: إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي...» (٤).

وهذه الروايات وغيرها صريحة في الدلالة على أن المراد بأهل البيت هم على فاطمة والحسن والحسين وتسعة من أولاد الحسين الملكاء

ومما يزيد هذه الحقيقة تأكيداً _وهي أن أهل البيت الله الديهم علم وحقيقة القرآن _قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»،

⁽۱) تفسير ابن كثير، ابن كثير: ج٣ ص٤٩٣؛ جامع البيان، الطبري: ج٢٢ ص١١؛ شواهد التنزيل، الحسكاني: ج٢ ص١٠٣.

⁽٢) تفسير ابن كثير، ابن كثير: ج٣ ص٤٩٣؛ وانظر: المعجم الأوسط، الطبراني: ج٤ ص١٣٤؛ وانظر: شواهد التنزيل، الحسكاني: ج٢ ص١٠٢.

⁽٣) تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٣.

⁽٤) تفسير ابن كثير، ابن كثير: ج٣ ص٤٦٦.

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي الله أنه خطب الناس قائلاً: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم» (١).

إذن تبين من هذه الروايات أنّ علم الكتاب إنما هو عند أهل البيت المليِّكِ بفضل الله تعالى واصطفائه لهم.

الروايات الخاصة في علم أهل البيت الملكا

وأما على صعيد البحث الروائي فقد تواترت الروايات المؤكّدة على أعلمية أهل البيت اللها فضلاً عن كونهم ورثة النبي اللها منها:

١- علم الأنبياء عند أهل البيت الملكان:

أخرج القندوزي الحنفي في الينابيع، عن عمر بن أذينة عن جعفر الصادق الله قال: قال أمير المؤمنين: «ألا إن العلم الذي هبط به آدم الله من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين» (٢).

٢- علم الكتاب كله عند أهل البيت التياني:

أخرج القندوزي الحنفي عن الإمام الصادق الله الله قال: «علم الكتاب والله عندنا وما أعطي وزير سليمان بن داود، إنما عنده حرف واحد من

⁽١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٧، ج ٩ ص ٨٤؛ ينابيع المودة، القندوزي: ج٣ ص ٢٩٣.

⁽٢) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص ٣٠٦.

الاسم الأعظم، وعلم بعض الكتاب كان عنده... وقال في على الله ومن عنده علم الكتاب»(١)، وعن الإمام على الله أنّه قال: «ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا»(١).

٣- أعطي أهل البيت سبعا لم يعطها أحد قبلهم

أخرج ابن المغازلي عن علي الله على الله

٤- الإمام على الله عيبة علم الرسول الله الله

أخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق عن ابن عباس قال: «علي عيبة علمي»(1).

0- الإمام علي الله يعلم ظاهر القرآن وباطنه

أخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة عن ابن مسعود أنه قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف له ظهر وبطن، وأن علياً الله علم القرآن ظاهره وباطنه» (°).

⁽١) ينابيع المودة، القندوزي: ج١ ص ٣٠٦.

⁽٢) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص٢٧٦؛ جواهر المطالب: أحمد بن محمد الدمشقي الشافعي: ج ١ ص ٩٠، ج٣ ص ٤٠٨.

⁽٣) مناقب على بن أبي طالب الله المغازلي ص ٢٩٥، ط٢.

⁽٤) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٤٢ ص ٣٨٥، وكذا جاء في الكامل: ج٤ ص ١٠١؛ ميزان الاعتدال: ج٢ ص ٣٢٧؛ فيظ القدير في شرح الجامع الصغير: ج٤ ص ٤٦٩.

⁽٥) ينابيع المودة، القندوزي ج ١ ص ٢١٥، ٢٢٣، ج٣ ص ١٤٦.

هل أن أهل البيت الشي يعلمون الغيب؟

إن جدلية العلم بالغيب من قبل الرسول الأكرم الله وأهل البيت الله من المحدليات التي اتخذها المناوئون ذريعة للنيل من مذهب الشيعة الاثني عشرية وهذه الجدلية قائمة على مغالطة واضحة.

وجهالمغالطت

محصل ومنشأ هذه المغالطة وجود بعض الآيات القرآنية التي تنفي علم الغيب عن الأنبياء، كما في الآية الكريمة: ﴿مَا كُنتُ بدْعًا مِّنْ الرُّسُلُ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ (١) وكذا قوله تعالى: ﴿قُلَ لاَّ أَقُولُ لَكُمْ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بَكُمْ ﴾ (١) وكذا قوله تعالى: ﴿قُلَ لاَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنِي مَلَكُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلَ لاَّ أَمْلِكُ لَنَفْسَي نَفْعًا وَلاَ ضَرَّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاَسْتَكْثَرُتُ مَنَ الْخَيْر وَمَا مَسَّنيَ السُّوء ﴾ (١).

إذن على ضوء هذه الآيات يتبين عدم اطّلاع الأنبياء مطلقاً على الغيب، وأن علم الغيب مختص بالله تعالى.

والمغالطة المخبوءة في هذا الاستدلال هو أن المستدل بالآيات على نفي علم الغيب عن الأنبياء كما تقدم اقتصر على بعض الآيات، بل في آية واحدة اقتصر على صدر الآية وطرح ذيلها، مع أن هذا الأسلوب من التعامل مع القرآن الكريم من الوقوف على آية واحدة فقط، أو صدر آية وطرح ذيلها، أو غض النظر عن الآيات الأخرى أسلوب يخالف حتى

⁽١) الأحقاف: ٩

⁽٢) الأنعام: ٥٠.

أسلوب المحاورات العرفية؛ فإن المتكلم لا يصح نسبة الكلام إليه إلا بعد ملاحظة مجموع كلامه، ولبيان ذلك نقول:

إن صدر الآية وإن كان يحكي قول النبي الله بأنه لا يعلم الغيب، إلا أنه ورد في ذيلها استثناء وهو الذي أغفله المستشكل وهو قوله تعالى: وإلا مَا يُوحَى إلَي المالي الله يَالَي يَا يُريد القول بأن علم بالغيب بنحو الاستقلال مختص بالله تعالى ولا يشاركه أحد في ذلك قط، بل يستحيل أن يشاركه فيه أحد، ولكن قد يفيض الله تعالى من علوم الغيب على بعض عباده كالأنبياء والمرسلين والأئمة المي ولا ينافي ذلك كونهم الله عملوقين، فقراء إلى الله تعالى، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، وهذا لا ينافي استقلاله تعالى بعلم الغيب، وهذا ما تكفلت ببيانه آيات كثيرة منها:

١ - قول ه تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (١).

⁽١) الجن: ٢٦ – ٢٧.

⁽٢) النساء: ١٦٣.

⁽٣) الأنعام: ٥٠.

كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُـتَّقِينَ (')، وغيرها هذه الآيات مما يشاركها في هذا المعنى، من هنا قال الآلوسي في تفسيره للآية المباركة ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّـهُ (''): «لعل الحق أن يقال إن نفي علم الغيب عن غيره جل وعلا، هو ما كان للشخص الحق أن يقال إن نفي علم الغيب عن غيره جل وعلا، هو ما كان للشخص بذاته أي بلا واسطة في ثبوته لهم، وما وقع للخواص ليس من هذا العلم المنفي في شيء، وإنما هو من الواجب عز وجل إفاضة منه عليهم بوجه من الوجوه، فلا يقال إنهم علموا بالغيب بذلك المعنى [يعني الاستقلال]، من الوجوه، فلا يقال إنهم أظهروا وأطلعوا على الغيب» (").

وهذا المعنى يلتقي مع ما أثر عن أهل البيت المنظي، فقد ورد عن الإمام الباقر المنظي أنه قال: «يبسط لنا العلم فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم» (٤) وهو عين معنى الآية، هي قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿ وَلا شَكَ أَن الرسول هو المرتضى، وأهل البيت المنظِ ورثته.

⁽١) هود: ٤٩.

⁽٢) النمل: ٦٥.

⁽٣) تفسير روح المعاني، الآلوسي: ص٩.

⁽٤) أصول الكافي، الكليني: ج١ ص٢٥٦، بصائر الدرجات، الصفار: ص٣٣٥.

⁽٥) الجن: ٢٦ – ٢٧.

وحاصل ما تقدم:

إنّ الآيات الدالة على اختصاص علم الغيب به سبحانه، هو ما يليق بساحة الواجب الذي لا يشاركه فيه أحد، وهو العلم الذاتي بالاستقلال والأصالة، بل هذا النوع من العلم يمتنع أن يشاركه أحد فيه، لاستلزامه الشرك و تعدد الواجب الغني، فإطلاع غير الله تعالى إنما يكون بالتبع، نظير قوله تعالى: ﴿اللّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَ ﴾ (١) الذي يكون ظاهراً في أن التوفي منحصر بالله تعالى، مع أنّه تعالى أسنده إلى ملك الموت في موارد، وإلى رسله في موارد أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنُهُ رُسُلُنَهُ الْمَوْتِ اللّهِ الذي وُكُلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ثُرْجَعُونَ ﴿ (١) وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنُهُ رُسُلُنَهُ (١).

إذن لا إشكال في علم النبي الله بالغيب بإذن الله تعالى وفضله، بل هنالك موارد لا يمكن التغاضي والتغافل عنها، كالتي أخبر النبي الله عن بعضها بما يتعلق بالمغيّبات، كما تقدمت الإشارة إليه.

أهل البيت الله يعلمون الغيب

بعد أن تبين أن المراد بعلم الغيب الممتنع هو العلم بالأصالة والاستقلال، وهو خاص بالله تعالى، وأمّا العلم بالغيب بإذن الله تعالى وبمشيئته وبإفاضته على من يرتضيه فلا إشكال فيه، يثبت على هذا الأساس أن النبي على العلم الغيب بإذن الله تعالى ومشيئته.

⁽١) الزمر: ٤٢.

⁽٢) السجدة: ١١.

⁽٣) الأنعام: ٦١.

وعلى ضوء ما تقدم من أن أهل البيت هم ورثة رسول الله على أن أهل البيت هم ورثة رسول الله على الله على أشرنا إليه _ يثبت علمهم الله بالغيب بإنباء الرسول على الله أمير المؤمنين على الله بالغيب في مواطن متعددة، منها:

أولاً: إخباره على بقتل «ذي الثدية» من الخوارج وعدم عبور الخوارج النهر، بعد أن قيل له قد عبروا(١).

ثانياً: إخباره بمقتل ولده الحسين الله لما اجتاز أرض كربلاء، حيث بكى الله وقال «ههنا مناخ ركابهم وههنا موضع رحالهم وها هنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد عليه يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض» (٢).

ثالثاً: قوله الله قبل قتاله الفرق الثلاث: «أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» والمقصود من هؤلاء هم أصحاب الجمل وأصحاب معاوية وخوارج النهروان، الذين قاتلهم في الجمل وصفين والنهروان، فقاتلهم الله وكان الأمر كما أخبر به الله (٦).

رابعاً: إخباره بملك معاوية من بعده، وإخباره بعدة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شخص لحرب البصرة، وإخباره بمن يقتل من أصحابه أو يصلب، وإخباره عن مقتل عبد الله بن الزبير، وإخباره عن هلاك أهل

⁽١) مروج الذهب، المسعودي: ج٢ ص ٤٢٥، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٣ ص ٣٤٧، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج١٩ ص ١١٩.

⁽٢) ذخائر العقبى: ص٩٧ ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص١٨٦؛ وانظر شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ج٣ ص ١٦٩ - ١٧١.

⁽٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الأمثير: ج٥ ص١١٤؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ج٧ ص٢٣٨؛ جواهر المطالب في مناقب الإمام على اللله الدمشقى: ج٢ ص٨١.

البصرة بالغرق، وإخباره عن النفس الزكية ونحوها(١).

خامساً: قال الحافظ الجويني في فرائد السمطين: «الإمام الثامن [علي بن موسى الرضا] مظهر خفيات الأسرار، ومبرز خبيات الأمور... والواقف على غوامض السر المكتوم والمخبر بما هو آت وعمّا غبر ومضى والمرضى عند الله..» (٢).

هل الاعتقاد بعلم النبي وأهل بيته بالغيب غلو؟

عرّفوا الغلو: بأنه مجاوزة الحد، يقال غلا فلان في الدين غلواً تشدد حتى تجاوز الحد^(۳)، وكل من تجاوز حد الاعتدال وغلا، يصح لغوياً تسميته بالمتطرف، جاء في المعجم الوسيط في معنى تطرف «تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط»⁽¹⁾.

وقد عرّف ابن تيمية الغلو شرعاً «بأنه مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق»(°).

وجاء في فتح الباري: «إذ أن الغلو هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد» (٦٠).

وبذلك تبين أن الغلو هو تجاوز الحد الذي حدده الله تعالى ورسوله

⁽١) شرح نهج البلاغة: ج٧ ص٤٧-٤٩.

⁽٢) فرائد السمطين: ج٢ ص١٨٧.

⁽٣) انظر: الصحاح للجوهري مادة (غلا) واللسان لابن منظور (غلو).

⁽٤) المعجم الوسيط: مادة (طرف).

⁽٥) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية: ج اص ١٠٦.

⁽٦) فتح الباري، ابن حجر: ج١٢ ص ٢٣٤.

للشيء، فالمغالي هو الذي يتجاوز ما حدده الله ورسوله لذلك الشيء اتباعاً للهوى، وخروجاً عن الحق إلى الباطل، بحيث يصفه بوصف لم يسبق أن يصفه الله ورسوله به من غير دليل عقلي عليه.

وعلى ضوء ما سلف هل يمكن إطلاق الغلو على مَن قال: إن النبي عَلَيْهُ أُعلم وأفضل أخبر بالمغيبات كما تقدم إثبات ذلك؟ وهل من الغلو أنه عَلَيْهُ أعلم وأفضل الأنبياء السابقين؟ وهل من الغلو أن نقول: إن الله تعالى اصطفاه واختاره؟

وهل من الغلو أن نقول: إن علم أهل البيت من علم النبي عَلَيْهُ ورّثهم إياه كما ثبت ذلك في جملة من الروايات المتضافرة؟

هل تعظيم الرسول الله وأهل بيته من الغلو؟

ولكي تكون الإجابة واضحة بعيدة عن الملابسات، ينبغي أن نعرض هذا السؤال على الشريعة الإسلامية:

وبدءاً نقول: إنّ الذي نلمسه من الشريعة هو أنه ليس كل تعظيم وإكبار واحترام يكون تأليهاً للشخص المعظّم، وغالباً ما نجد أن الأمر بتعظيم واحترام هذه المخلوقات مشفوع ببيان السبب من وراء ذلك التعظيم، وهو أن نفس الإعظام والإكبار بأمر من الله لمخلوق معين هو طاعة لله تعالى وتعظيم له، ومن استكبر وأبى ورفض تعظيم من أمر الله تعالى بتعظيمه يعد عصياناً لله تعالى وإنكاراً عليه.

وهذا ما يتجلى واضحاً من أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم، فهو إعظام لآدم بأمر منه تعالى، وحاشا لله تعالى أن يشرك أحداً في كبريائه.

إذن إعظام الملائكة لآدم إنما هو إعظام لله تعالى؛ لأنه متسبب عن أمره تعالى، ولذا نجد أن الله جعل مصير إبليس مرهوناً بإعظام آدم والسجود له، فرفض إبليس لإعظام آدم يعد استكباراً على الله تعالى، كما هو صريح قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

وهذا الأمر يكشف عن حقيقة مهمة جداً على صعيد العقيدة أو الإيمان، وهي أن تعظيم أولياء الله تعالى يعتبر طاعة وامتثالاً لأوامر الله عز وجل، وما إبليس إلا مثل ضربه الله تعالى للذين ينكرون ذلك؛ إذ لم يكن عصيان إبليس لربه إنكاراً لتوحيده تعالى.

ومن هنا فإن الروايات المختلفة لدى الشيعة والسنة تشير إلى أن كفر إبليس لم يكن كفر شرك كما تقدم؛ لأنه لم يعبد غير الله، وإنّما كان جحوده واستكباره على الله عزَّ وجلّ في توحيده في مقام الطاعة، وقد ورد في بعض الروايات أنه طلب من الله تعالى إعفاءه من السجود لآدم الله وسوف يعبده عبادة لا نظير لها، وكان الجواب من الحق تعالى هو: «إنّي أحب أن أطاع من حيث أريد» (أ، وفي رواية أخرى: «إنما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد» (أ).

ومن موارد أمر الله تعالى بتعظيم مخلوقاته، أمره تعالى بتعظيم النبي ﷺ وقد ورد ذلك في آيات عديدة:

⁽١) البقرة: ٣٤.

⁽٢) بحار الأنوار، المجلسي: ج٢ ص٢٦٢، وج١١ ص٤٥.

⁽٣)المصدر نفسه: ج١١ ص١٤١.

منها: قوله تعالى: ﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُسوَقِّرُوهُ وَتُسسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (١)، وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: تُعَزِّرُوهُ: تجُلوه، وقال المبرد: تُعَزِّرُوهُ: تبالغوا في تعظيمه (٢).

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ للتَقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقَلُونَ ﴿ (٣).

وليست هذه الأوامر من الله تعالى إلاّ لبيان وجوب احترام النبي على وتعظيمه، وقد نقل القاضي عياض أن هذه الآية نزلت في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي على واختلاف جرى بينهما، حتى ارتفعت أصواتهما أن فهنا يأمر الله تعالى بوجوب إعظام النبي على وتوقيره، وأن ترك الأدب بين يدي رسول الله على يؤدي إلى حبط العمل، والخروج عن ربقة الإيمان؛ ولذا ورد عن الفريقين أن الشاتم للنبي على أو الذي يستهزئ به على فيتل، ويحكم عليه بالكفر.

ومنها: قوله تعالى ﴿يَا آَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥) وهذه الآية صريحة في وجوب التعظيم والخضوع

⁽١) الفتح: ٩.

⁽٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض: ج٢ ص٣٥. ط بيروت _دار الفكر، ١٤٠٩هـ

⁽٣) الحجرات: ٢ – ٤.

⁽٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض: ج٢ ص٣٦.

⁽٥) الحجرات: ١.

بين يدي الرسول الأكرم عَلَيْهُ

ومنها: قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ ونقل القاضي عياض أن معنى ذلك: أن لا تسابقوه بالكلام، وتُغلظوا له بالخطاب، ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضاً، ولكن عظموه ووقروه بأشرف ما يحب أن ينادى به: يا رسول الله، يا نبى الله (۱).

وقد بلغ الأمر في شدة تعظيم الرسول الأكرم على من أهل البيت المن المالك بن أنس قال: «لقد كنت أرى جعفر بن محمد الصادق، وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي على السفر"، وما رأيته يحدث عن رسول الله على الله على طهارة، وقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إمّا مصلياً، وإمّا صامتاً، وإمّا يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل» (٢)، وكان مالك نفسه إذا ذكر النبي على يتغير لونه (٢)، إلى غير ذلك من إعظام المسلمين للنبي على والتبرك به بما لا يسع المقام ذكره.

تعظيم أهل البيت الله جذره قرآني

إنّ التعظيم الإلهي لأهل البيت الله يمكن أن نلمسه من خلال عدة إضاءات قرآنية في آيات متعددة كما في آية المباهلة التي أمر الله تعالى نبيه فيها بأن يباهل النصارى بهؤلاء الخمسة، فهم الله شركاء للنبي على في

⁽١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضى عياض: ج٢ ص٣٥ - ٣٦.

⁽٢) المصدر نفسه: ج٢ ص٤٢.

⁽٣) المصدر نفسه: ج٢ ص٤٢.

إثبات أحقية وصدق رسالته عَنَيْ وكذا آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُسَدُهِ السَّهُ لِيُسَدُهِ عَنَكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وآية المودة: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ونحوها.

إذن القرآن الكريم يعظم هؤلاء النخبة من البشر وهم الأئمة المطهرون.

فضلاً عن الروايات الكثيرة التي تعظم أهل البيت الله وتأمر المسلمين بذلك، وإليك بعضها:

منها: قوله ﷺ «إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم في أهل بيتي، أذكركم في أهل بيتي) ثلاث مرات يدل بوضوح على وجوب تعظيمهم الميلا.

ومنها: ما أخرجه الخوارزمي في مناقبه عن أمّ سلمة أن رسول الله عن قال لها: «قومي فافتحي له الباب، فقالت: يا رسول الله من هذا الذي بلغ من خطره ما أفتح له الباب فأتلقاه بمعاصمي، وقد نزلت في آية في كتاب الله بالأمس؟ فقال لها كالمغضب: إن طاعة الرسول طاعة [الله] ومن عصى الرسول فقد عصى [الله] إن بالباب رجلاً ليس بالنزق ولا بالخرق، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ففتحت له الباب، فأخذ بعضادتي الباب

⁽۱) صحیح مسلم، مسلم: جV صV1 مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل: جV صV1 وانظر: مجمع الزوائد، الهيثمي: جV صV1.

حتى إذا لم يسمع حساً ولا حركة وصرت إلى خدري استأذن فدخل، فقال رسول الله على أبي طالب، قال صدقت، سحنته من سحنتي، ولحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة علمي، اسمعى واشهدي» (١).

ومنها: قال الرسول الأكرم على فلا تقتلوهم ولا تقهروهم، ولا تقصروا عنهم، وإني سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني أن يردوا علي الحوض كهاتين، وأشار بالمسبحتين، ناصرهما إلي ناصر، وخاذلهما إلي خاذل، ووليهما إلي وعدوهما لي عدو» (٢).

ومنها: قول رسول الله ﷺ قال: «من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عنـ د الله عهداً» (٣).

ومنها: عن ابن عمر قال: كان آخر ما تكلم به رسول الله عَيَّالَيُّ: «اخلفوني في أهل بيتي» (٥٠).

ومنها: ما ورد في شرح نهج البلاغة عن أمير المؤمنين الإمام على الله أنه قال: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا،

⁽١) المناقب، الخوارزمي: ص ٨٧

⁽٢) نظم درر السمطين، الزرندي الحنفى: ص ٢٣٤.

⁽٣) ذخائر العقبي، أحمد بن عبد الله الطبري: ص ١٨.

⁽٤)المصدر نفسه: ص ۱۸.

⁽٥) المعجم الأوسط، الطبراني: ج ٤ ص ١٥٧؛ الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص ٥٠.

أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى، إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم»(١).

ومنها: ما أخرجه الحاكم الحسكاني أن الحسن بن علي الله خطب الناس حين قتل علي الله وأثنى عليه، ثم قال: «وساق كلامه عليه السلام إلى أن قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن الوصي وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال لنبيه: ﴿قُل لا السَّالُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الله مؤدتهم على كل مسلم، فقال لنبيه: ﴿قُل لا السَّالُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الله مؤدته مؤدتنا أهل البيت» (أنه والبيت) في المناه مؤدتنا أهل البيت) (٢).

ولا يخفى ما في هذه الروايات من دلالة واضحة وصريحة على عظمة ومكانة أهل البيت الله ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وتوقيرهم.

فلسفت هذا التعظيم

عند التأمل في السر" الذي يكمن وراء أمر الله بتعظيم بعض مخلوقاته، وما هي الحقيقة التي تنضوي تحت هذا الأمر، نجد أن هذا الأدب يصب في دائرة التوحيد، بحيث إن الاعتقاد بالنبي والإمام وتوقيرهما وتعظيمها هو إعظام لله تعالى، وتوحيد له عز" وجل"، وهو عين طاعة الله تعالى

⁽١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج ٩ ص ٨٤

⁽٢) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج ٢ ص ٢٠٦؛ وانظر: ذخائر العقبي، الطبري: ص١٣٨.

وتوحيده؛ لأنه نابع عن الانقياد للأوامر الإلهية، وهذا بنفسه يعد دليلاً عقلياً على وجوب إعظام الأنبياء لا سيما خاصتهم، وهو نبينا الأكرم على وأهل بيته الله بعدود ما أمرنا به الله تعالى.

ومن هنا نجد أن استكبار إبليس ـ كما مر سابقاً ـ وعدم سجوده لآدم الله كان سبباً لخروجه من رحمة الله، وموجباً لكفره، قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿(١) فَعُدَم إِعْظَامُه واحترامه لآدم الله كان موجباً لحبط عمله وخروجه من ربقة الإيمان بالله تعالى إلى الكفر.

ومما تقدم يتحصل أن تعظيم النبي الله وأهل بيته بما وصفهم الباري عز وجل ليس من الغلو بشيء، بل يعد امتثالاً لما أمرنا به الله ورسوله.

أهل البيت الله وظاهرة الغلو

لقد واجه أهل البيت المي ظاهرة الغلو بقوة وشدة، وعبّأوا كل إمكاناتهم وقدراتهم من أجل تقويض أركان الغلو، معتبرين الغلو أحد أقسام الكفر الذي يجب محاربته، ومحذرين شيعتهم وأتباعهم من مغبة الانخراط في مخاطر العقيدة الفاسدة، وقد ورد في هذا السياق جملة من الأخبار منها:

ما جاء عن رسول الله على أنه قال: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» (٢).

وعن أمير المؤمنين الله قال: «بني الكفر على أربع دعائم: الفسق والغلو

⁽١) البقرة: ٣٤.

⁽٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج١ ص٢١٥ وص٣٤٧.

والشك والشبهة»(١).

كذلك عن أمير المؤمنين الله قال: «لعن الله مَن قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، لعن الله مَن أزالنا من العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا» (٢).

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق الله قال: «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم، فإن الغلاة شرّ خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدّعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة شرّ من اليهود والنصارى والمجوس الذين أشركوا» (٣).

موقف علماء الشيعة من الغلاة

أما موقف ورأي علماء الشيعة في الغلاة، فقد كان موقفاً ورأياً مستمداً من بيانات أهل البيت الملاية، حيث كان موقفاً يتسم بالشدة والرفض لمثل هذه الظواهر الفاسدة.

فعلى سبيل المثال نجد الشيخ المفيد وسم الغلاة بالكفّار الضلاّل، حيث قال: «والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوّة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، وخرصوا عن القصد، وهم ضلاّل كفّار حكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم

⁽١) أصول الكافي، الكليني: ج٢ ص ٣٩١.

⁽٢) بحار الأنوار، المجلسي: ج٢٥ص٢٩٧.

⁽٣) الأمالي، الطوسي: ص ٦٥٠ ح ١٣٤٩/ ١٢.

بالكفر والخروج عن الإسلام»(١).

وقد وصف الشيخ الصدوق الغلاة بأنهم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس، حيث قال: «اعتقادنا في الغلاة والمفوضية أنهم كفار بالله تعالى، وإنهم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية، ومن جميع أهل البدع والأهواء المعتلة» (٢).

أما الشيخ كاشف الغطاء فقد براً الأئمة الملك والشيعة من هؤلاء الغلاة، حيث قال: «أما الشيعة الإمامية وأئمتهم فيبرأون من تلك الفرق براءة التحريم» (٣) وقال أيضاً «أما الشيعة الإمامية... ويبرأون من تلك المقالات ويعدونها من أشنع [اشكالات] الكفر والضلالات، وليس دينهم إلا التوحيد المحض، وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق» (٤).

الخلاصة:

١- اتضح أن حقيقة وجوهر علم النبي الله سنخ علم خاص يفترق عن علوم سائر البشر التي تسمى بالعلوم الحصولية.

وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة إلى جوار حقيقة أخرى، شاطرت الروايات الشريفة القرآن في النص عليها، وهي أفضلية نبينا على الأنبياء، وأنه أعلمهم على الإطلاق.

⁽١) تصحيح اعتقادات الإمامية، المفيد: ص ١٣١.

⁽٢) اعتقادات الإمامية، الصدوق: ص ٩٧.

⁽٣) أصل الشعة وأصولها، كاشف الغطاء: ص ١٧٣.

⁽٤)المصدر نفسه: ص١٧٧.

Y-وقد اتضح أيضاً أن علم الغيب وإن كان منحصراً بالله تعالى إلاّ أن هناك آيات عديدة تصرّح بأن الله تعالى يفيض هذا العلم على من ارتضى من عباده المنتجبين، وعلى هذا الأساس يتضح أن علم الله بالغيب بنحو الاستقلال لا يشاركه فيه غيره، أما علم الأنبياء فهو بالتبع، أي بإرادة الله تعالى وعطائه لهم، وقد تقدّمت عدّة شواهد قرآنية وروائية دلّت على علم الأنبياء بالغيب.

٣- كذلك ثبت أن علم أهل البيت الله المتداد لعلوم النبى الأكرم عَلَيْكُ الله ورثته بروايات متضافرة، فتكون حقيقة علمهم الله هي من سنخ علم النبي عَلَيْكُ وهو سنخ علم إفاضي خاص يفيضه الله تعالى على بعض عباده.

٤- ثبت أن الإمام هو خليفة الله تعالى في الأرض، فلا بد أن يتوفر على
 علم خاص يؤهله لأداء مسؤوليته، وتمثيل الله تعالى في الأرض.

٥- يتجلى في عدة من الآيات أن علم الكتاب إرث للمصطفين المنتجبين من الله تعالى، ولا ريب أن أهل البيت الله ورثة رسول الله على الله

وإن هذه الوراثة أعم من كونها وراثة مادية، أو وراثة نورية جعلها الله تعالى في صلب الأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّنَ مِن ذُرِيَّةٍ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِيَّةٍ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَلَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن حَرُّوا سُجَّدًا وَبُكيًا ﴾ (١).

⁽١) مريم: ٨٥

7- إن الاصطفاء والاختيار الإلهي إنما جاء وفقاً للعدالة الإلهية، ووفقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١) والسبب في ذلك هو أن الاصطفاء والاختيار ناشئ من علمه تعالى بحقائق الأشياء، وأن علمه محيط بكل شيء، فالله تعالى لعلمه السابق بما للمصطفين من قدرة على تحمّل المسؤولية، وإرادتهم لذلك وانصهارهم في ذات الله تعالى، اختارهم الله تعالى دون غيرهم من الناس، وهذا منطق عقلائي يمارسه العقلاء في حياتهم اليومية.

٧- إن الذرية من الآباء والأجداد من الأمور التي لها مدخلية وتأثير على شخصية الإنسان ومزاجه، ولذا شاء الله تعالى أن يجعل هؤلاء الأنبياء والمرسلين والأئمة المصطفين من ذرية واحدة، من أصلاب شامخة وأرحام مطهرة، وهذا ما نلمسه من أخبار الطينة الواردة في كتب الفريقين.

وذكرنا أن لظاهرة الاختيار والاصطفاء وجعلهم في ذرية واحدة أبعاداً مهمة لها أثر كبير في حفظ الرسالة، منها:

البعد التاريخي: حيث نجد أن اختيار الله للأوصياء يتركز على أولئك المقربين للأنبياء من أقاربهم أو ذرياتهم، أو ممن يرتبطون بالنبي والرسول ارتباطاً نَسَبياً.

البعد الرسالي: وهو ما يترتب على الذرية من تحقيق مصالح الرسالة، وإعداد أفراد صالحين يتحملون أعباءها الثقيلة؛ وذلك لأن عمر الرسول يكون أقصر من عمر الرسالة، فتحتاج لمن يقوم بأعبائها ومسؤولياتها،

⁽١) الحجرات: ١٣.

ومما لا شك فيه أن الإعداد الأفضل لا يتم إلا في داخل البيت الرسالي ومن الأفراد المقربين نَسَبياً من صاحب الرسالة.

- إن أهل البيت هم ورثة الأنبياء، واستدللنا على ذلك بأدلة متعددة.

٩- أثبتنا في الجواب عن هذه الشبهة أعلمية أهل البيت المن على سائر البشر، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ البشر، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمَ الْكِتَابِ هُو «الإمام علي بن الْكِتَابِ هُو «الإمام علي بن الْكِتَابِ هُو «الإمام علي بن أبي طالب» كما في الروايات الواردة من طرق الفريقين.

•١- قلنا إن حقيقة علم الكتاب عبارة عن سنخ علم خاص، يمنح لصاحبه القدرة على التصرف في الكون كما في تصرف آصف بن برخيا، حيث تمكن من نقل عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس بأقل من طرفة عين، مع أنه لم يكن عنده إلا بعض علم الكتاب، كما هو مقتضى نص الآية المباركة: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَوْتَدُ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (٢).

11- بينا أيضاً اختصاص أهل البيت الحِيْ بعلم الكتاب، وهو ما تشير إليه بعض الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيَّنَاتٌ فِي صُـدُورِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لّكُلُّ شَـيْء ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لّكُلُّ شَـيْء ﴾ اللَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْم ﴾ (أن فيه تبيان كل شيء يحمله ثلة مطهّرة من الأمة، وهم أهل فالقرآن فيه تبيان كل شيء يحمله ثلة مطهّرة من الأمة، وهم أهل

⁽١) الرعد: ٤٣.

⁽٢) النمل: ٤٠.

⁽٣) النحل: ٨٩

⁽٤) العنكبوت: ٤٩.

البيت التلاء كما هو مقتضى حديث الثقلين.

مضافاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كَتَابٍ مَّكُنُونٍ * لاَّ يَمَسُهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (١) وهذا يدلنا على حقيقة مهمة وهي أن حقيقة وكنه القرآن لا يمكن أن يصلها إلا المطهّرون، وهم أهل البيت الملا كما هو مقتضى جملة وافرة من الروايات.

أهل البيت الميق وعلمهم بالغيب

ذكرنا أن المراد بعلم الغيب هو علم خاص بالله تعالى بالأصالة والاستقلال، ولا مانع من إفاضته على غيره من عباده فيعلمون الغيب بإرادته ومشيئته تعالى، وهنالك روايات عديدة تشهد على أن أهل البيت أخبروا ببعض المغيّبات.

قلنا إن الغلو هو مجاوزة الحدّ الذي حدده الله تعالى ورسوله، وعلى هذا الأساس فلا يمكن إطلاق الغلو على من يعتقد أن النبي الله وأهل البيت يعلمون الغيب بإذن الله تعالى وتبعاً لإرادته، لأنه لا يعد تجاوزاً لحدود الله تعالى، بل موافقاً لها طبقاً للآيات والروايات.

هل التعظيم للرسول الله وأهل بيته غلو؟

اتضح أن تعظيم الرسول الأكرم على وأهل بيته الله ليس من الغلو، لأن احترام وتعظيم رسول الله وأهل بيته الله لا يعد تجاوزاً لحدود الله تعالى

⁽١) الو اقعة: ٧٧ – ٧٩.

أبداً؛ وذلك لأنه تعالى هو الذي أمرنا بتعظيم رسوله عَلَيْ وأهل بيته بنص القرآن الكريم والسنة الشريفة.

أما فلسفة هذا التعظيم، فهو أن الاحترام والتعظيم يعد من الأدب مع هذه الثلة الطاهرة، وتركه مع أمر الله به يوجب الكفر، كما هو الحال بالنسبة لإبليس حيث أدى به استكباره، وعدم تعظيمه لنبي الله آدم الله بعد الأمر الله بتعظيمه والسجود له – إلى حبط أعماله وخروجه من ربقة الإيمان بالله تعالى.

هذا وقد واجه أهل البيت الله ظاهرة الغلو بشدة وقوة وعبّاً وا جهدهم من أجل تقويض أركانه، معتبرين الغلو أحد أقسام الكفر الذي يجب محاربته، وفي هذا المقام يوجد عدد وافر من الروايات الواردة عنهم الله في التشديد والإنكار لهذه الظاهرة.

ووقف علماء الشيعة موقفاً صارماً من الغلاة، مستمدّين ذلك من توجيهات أهل البيت الله في محاربة هذه الظاهرة.

ميزان قبول الأعمال

الشبهت:

الأعمال لا تقبل إلا بولاية أهل البيت الملكا.

الجواب

تمهيد:

من المعالم البارزة في العقيدة الوهابية اتهام الكثير من الطوائف والمذاهب الإسلامية بالشرك والكفر، وهذا أشهر من نار على علم.

وصاحب الشبهة يريد أن يتهم المذهب الشيعي بذلك الداء العضال الذي ابتلى به المذهب الوهابي، فيقول: إن الشيعة يحكمون بكفر وهلاك جميع المسلمين؛ لعدم قبول أعمالهم.

مع أن كتب علماء الشيعة قد صرحت بإسلام من تشهد الشهادتين، ولم يحكموا إلا بهلاك المبغض لقربى النبي على وهم أهل البيت الملا تبعا للآيات، والروايات؛ كما هو مفاد آية المودة: ﴿قُلْ لا أَسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا المَودَة في القُرْبي ﴾.

الولاية في نظر أعلام السنة

لقد حكم أكثر مفسري أهل السنة بأن المودة الواجبة هي عدم البغض مع درجة من درجات الحب ولو أدنى درجاتها، ومع فقدانها يكون الشخص مجاهراً بالرد على الله ورسوله، وهذا أيضا ما يؤكده حديث الثقلين المتواتر، ولذا فإن جميع المسلمين هم من المحبين لأهل

البيت الله وهذه هي أدنى درجات الولاية، التي تحفظ للمسلم هويته الإسلامية، وترفع عنه حتمية الهلاك، بخلاف المبغض الذي نصت الروايات الكثيرة على هلاكه.

قبول الأعمال بالولايت

أمّا الحقانية والمقبولية التامّة للأعمال بالولاية، فهو حالة طبيعية ومنهجية يستدعيها نفس تعدد المذاهب، وكون هذا المذهب في قبال مذهب آخر، وهذا ما يقرّه علم المناهج قديماً وحديثاً، فصاحب كل منهج وعقيدة يرى أن النتائج الصحيحة والمقبولة لابد أن تكون ضمن بو تقة المنهج العقيدي والرؤية الكونية التي يرى أنها هي الحق، فالمنظومة الاعتقادية الصحيحة هي التي تحتوي على أسس وضروريات الاعتقاد، وهي الكلم الطيب الذي يرتفع بالعمل وتكون الأعمال مقبولة بسببه، وإلا فما هو سبب تعدد المذاهب الاعتقادية؟!!

وهذا هو مضمون ما جاء متواتراً عن النبي عَلَيْ من افتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها هي المحقّة (١)، وقد جاء في صحيح مسلم:

⁽۱) تفسير ابن كثير، ابن كثير: ج ١ ص ٣٥٤ و ٢ ص ١٤٨ وص ١٤٨؛ راجع تفسير القرطبي، القرطبي: ج ٢ ص ١٠٩ ع ص ١٦٠ ، ج ٧ ص ١٤١ ، ج ١١ ص ١٢٩ ، المستدرك ، الحاكم النيسابوري: ج ١ ص ٢ وص ١٢٨ قال: هذا حديث ج ١ ص ١ وص ١٢٨ قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وسنن الدارمي: ج ٢ ص ١٣٤ ، ج ٨ ص ٢٥١ ، و كتاب الأحاديث المختارة: ج ٧ ص ٢٠٥ و و ٢ ٢٥٠٠ و عبر عن الأول بأن إسناده صحيح، وعن الثاني أن إسناده حسن، ومجمع الزوائد: ج ١ ص ١٨٩ وقال: أن رواته رواة الصحيح إلا واحد وقد وققه ، مصباح الزجاجة: ج ٤ ص ١٠٨ ، وسنن البيهقي ج ١٠ ص ٢٠٨ ، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٩٠ ح ٢٥٠٥ و ٢٥٠٠ و مسند أبي يعلى، أبو يعلى

ونحن نعتقد أن الولاية الكاملة والحقّة، التي أمر الله تعالى ورسوله بها، من حب وطاعة وتسليم وانقياد، هي ميزان قبول الأعمال بنحو الاستحقاق.

والولاية في أدنى درجاتها وهي المحبة فقط، وعدم البغض موجودة عند جميع المسلمين وأما من كان مبغضاً لأهل البيت الحيث فلا يمكن الحكم بإسلامه لرفضه ورده لصريح القرآن، وتلك الولاية مقبولة بمقدار أن تحفظ للشخص إسلامه وتنجيه من حتمية الهلاك في النار، ولابد أن لا يرتجى منها أن ترتقي إلى مستوى المقبولية التامة الناتجة عن الولاية الكاملة والصحيحة التي هي جزء من الأصول الاعتقادية بحسب اعتقادنا.

وهذا هو معنى ما جاء في بعض الروايات كما في الخصال، عن أبي عبد الله الله عن جده عن علي الله قال: (إن للجنة ثمانية أبواب باب يدخل منه النبيّون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبيّ وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش، قد أجيبت دعوتك وشفعّت في شيعتك، ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو

الموصلي: ج ١٠ ص ٣١٧ وص ٥٠٢، ومسند الشاميين، الطبراني: ج ٢ ص ١٠٩ افتراق الأمة، محمد بن إسماعيل الصنعاني: ص ٤٤ المعجم الكبير، الطبراني: ج ٨ ص ٢٧٣ و ج ١٨ ص ٥١ وص ٧٠٠ سنن الترمذي، الترمذي: ج ٤ ص ١٣٤ – ١٣٥ ح ٢٧٧٨ ح ٢٧٧٩ باب افتراق هذه الأمة. (١) صحيح مسلم، النيسابوري: ج ٣ ص ١١٣.

قول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت»(١).

إذن، كما للولاية مراتب ودرجات أدناها الحب وعدم البغض، كذلك قبول الأعمال له مراتب مختلفة بحسب اختلاف درجات الولاية، فعامّة المسلمين الذين يحبون أهل البيت الملكي بمقتضى صريح آية المودة ولا يبغضونهم، لهم درجة من الولاية ودرجة من المقبولية، وأدنى درجات المقبولية كونهم مسلمين وغير محكوم عليهم بحتمية الهلاك الأبدي في النار بخلاف المبغض والمحارب الذي جزمت الروايات بخروجه عن ربقة الإسلام، وهلاكه الأبدي.

روايات الولاية في الكتب السنية

وقد جاء ذلك أيضاً في مجامع أحاديث أهل السنة:

1- أخرج الحاكم في المستدرك، وابن حبان في صحيحه: عن عطية عن أبي سعيد قال: قتل قتيل بالمدينة على عهد النبي على وصعد المنبر خطيباً، وقال: «والذي نفس محمد بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أكبّه الله عز وجل بالنار على وجهه، رواه جماعة عن إسحاق» (٢)، قال الحاكم

⁽١) الخصال: الشيخ الصدوق: ص ٤٠٨.

⁽٢) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٤ ص٣٥٢؛ ونحوه صحيح ابن حبان، ابن حبان: ج١٥ ص ٤٣٥؟ شـواهد التنـزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص ٥٤٩ وص ٥٥٠، ونحوه ترجمة أمير المؤمنين الله من تاريخ دمشق، ابن عساكر: ج١ ص ١٤٩ ح ١٨٣ - ط٢ وقد نقل روايات كثيرة بذلك المضمون فراجع.

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

٢- وأخرج الحاكم الحسكاني وغيره: عن أبي الزبير عن جابر قال رسول الله على الله الله على لو أن أمتى صاموا حتى صاروا كالأوتاد وصلوا حتى صاروا كالحنايا، ثم أبغضوك لأكبهم الله على مناخرهم في النار. رواه جماعة من أصحابنا عن عثمان» (١).

٣- وأيضاً عن جابر بن عبد الله وأنس بن مالك قالا: قال رسول الله على مناخرهم في الله على مناخرهم في النار»(٢).

3- وأيضاً عن أبي إمامة الباهلي، قال: قال رسول الله على الله على الله على الأنبياء من شجر شتى وخلقني وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلى فرعها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجى، ومن زاغ هوى، ولو أن عابداً عبد الله ألف عام، ثم أله على منخريه في النار، ثم تلا ﴿قُلْ لا أَسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلا المَودَة في القُرْبي﴾»(٣).

وهذه الروايات من طرقنا صحيحة ومتواترة ونؤمن بمضمونها، هذا بالنسبة للمبغض.

⁽١) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص ٥٥٠؛ ونحوه ترجمة الإمام علي من تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج١ ص ١٥٠ ح ١٨٤.

⁽٢) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص ٥٥١.

⁽٣) المصدر نفسه: ج ١ ص ٥٥٤، والآية ٢٣ من سورة الشورى.

رأي علماء الشيعة في قبول الأعمال

أمّا المحب غير المبغض لأهل البيت الميلان فله درجة من المقبولية لكنها لا تصل إلى حد ودرجة مقبولية الشيعي المتولّي الناصر لأهل البيت الميلان وهذا هو مقتضى اعتقادنا بحقّانية مذهبنا، وأن الولاية فيه بمعنى التولّي والنصرة والطاعة والاتباع والتسليم لهم الميلان وعلى طبق ذلك حكم محدثونا وفقهاؤنا ومتكلمونا.

قال المجلسي أله في البحار: «وأما غير الشيعة الإمامية من المخالفين وسائر فرق الشيعة ممن لم ينكر شيئاً من ضروريات دين الإسلام، فهم فرقتان: إحداهما المتعصبون المعاندون منهم ممن قد تمّت عليهم الحجة، فهم في النار خالدون، والأخرى المستضعفون منهم وهم الضعفاء العقول مثل النساء العاجزات، والبله وأمثالهم ومن لم يتم عليه الحجة ممن يموت في زمان الفترة أو كان في موضع لم يأت إليه خبر الحجة فهم المرجون لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، فيرجى لهم النجاة من النار» (١) وليس هذا إلا لدرجة من المقبولية لعدم البغض والعناد.

وذكر مراجعنا في كتبهم الفقهية: أن الإسلام هو الإقرار بوحدانية الله تعالى ونبوة محمد على ونبوة محمد الله وبما جاء به من عند الله تعالى، فالكافر هو الذي لا يتديّن بذلك، إما لعدم اعتقاده بدين أصلاً أو لتدينه بدين غير الإسلام بالمعنى المذكور، وأن إنكار الضروري من الدين إن رجع إلى عدم الإقرار به بعد العلم بإنزاله من قبل الله تعالى أو إلى تكذيب النبي النبي الله في

⁽١) بحار الأنوار، المجلسي: ج ٨ ص ٣٦٣.

تبليغه به بعد العلم بتبليغه له كان موجباً للكفر، وإن رجع إلى عدم العلم بثبوته في الدين أو تبليغ النبي الله لله للم يوجب الكفر، كما إذا نشأ من الجهل بتحريمه، أو من شبهة اعتقد معها عدم التحريم (١).

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: فمن اعتقد بالإمامة بالمعنى الذي ذكرناه فهو عندهم مؤمن بالمعنى الأخص وإذا اقتصر على ترك الأركان الأربعة فهو مسلم، ومؤمن بالمعنى الأعم وتترتب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه ووجوب حفظه وحرمة غيبته، وغير ذلك، لا أنه بعدم الاعتقاد يخرج عن كونه مسلماً معاذ الله نعم يظهر أثر التدين في منازل القرب والكرامة يوم القيامة، أما في الدنيا فالمسلمون بأجمعهم سواء، وبعضهم لبعض أكفاء وأما في الآخرة فلا شك أن المسلمين تتفاوت درجاتهم ومنازلهم، حسب نياتهم وأعمالهم، وأمر ذلك وعلمه إلى الله سبحانه، ولا مسوغ للبت به لأحد من الخلق (٢).

والحاصل: هو تفاوت الولاية ودرجاتها وتفاوت المقبولية ودرجاتها إلا المبغضين المعاندين فهم لا خلاق لهم، ولا يقام لهم يوم القيامة وزن، وفي النار هم خالدون.

ولا تعجب من ذلك فإن هذا مقتضى تعدد المذاهب واعتقاد الحقانية في واحد منها؛ ولذا حكم البعض بكفر الشيعة الاثني عشرية؛ لأنهم لا يقدّمون الشيخين، فضلا عمّن يبغضهما، كما جاء ذلك في صحيح سنن

⁽١) راجع كتبنا الفقهية في هذا المجال.

⁽٢) انظر: أصل الشيعة وأصولها، الشيخ كاشف الغطاء: ص ٩٩.

أبي داود بتعليق الألباني «عن سفيان قال: من زعم أن علياً كان أحق بالولاية، منهما فقد خطّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار ولا أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السماء»، وقد صححه الألباني (١).

فالمذهب الحق له الدرجات العالية من المقبولية، والمذاهب الباطلة بحسب اعتقادنا على فرقتين كما ذكر المجلسي، منهم من هو إلى جهنم وبئس المصير، ومنهم من يُرجى لهم النجاة من النار، وهذه درجة من المقبولية كما أسلفنا. وهذا شيء وحقّانية المذهب شيء آخر.

فالشيعة إذن يقولون بإسلام جميع الطوائف إلاّ النواصب مع أن الوهابية كفّروا الشيعة لكونهم شيعة !!

الخلاصة:

١- اعتماداً على القرآن وروايات نبينا على يتبين أن الولاية لأهل البيت الله واجبة على الجميع، وأدنى درجاتها هي المحبة.

٢- صرحت الروايات المتواترة عن النبي الله البيت الله البيت الله البيت الله الله على وجهه فى نار جهنم.

٣- أما الذي ليس في قلبه ذرة من بغض أهل البيت الملام وكان في قلبه درجة من درجات الولاية والمحبة لأهل البيت الملام ولم يكن على المذهب الحق فهو المرجى لأمر الله تعالى.

⁽١) سنن أبي داود، أبي داود: ج٣ ص١٢٦.

محتويات الكتاب

مقدمة الكتاب.......ه

الفصل الأول هل الإمامة مجعولة بالجعل الإلهي؟

11. A. S. 17. M. L. S. L	
الشبهة: إنّ الإمامة غير مجعولة من الله تعالى، وإن كانت الإمامة هي إمامة هدايــة فــأين آثــار	آثساره
وأقوالهم ؟	١٥
الجواب٥	١٥
· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	۱٦
الإمامة غير النبوة٧	۱۷
أهمية الإمامة واستمرارها٨	
عصمة الإمام	
دور الإمام في الأمة	
أقوال علماء السنة في حق أهل البيت المهملا	
الإمام علي بن أبي طالب اليِّك الله الله الله الله الله الله الله الل	
الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام	۲٤
الإمام زين العابدين لليِّللا	۲٥.
الإمام الباقر للبيُّك	۲۸.

٣١	الإمام الصادق الحين السيادة المستعلقة الإمام الصادق المستعلقة المستحدد المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلق المستعلقة المستعلق المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلق المستعلقة المستعلق المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلقة المستعلق المستعلم المستعلم المستعلق المستعلم المستعلق المستعلم المستعلق المستعلم المستعلم المستعلم المستعلم المستعلم ا
٣٤	الإمام الكاظم السيَّك الله الكاظم الكاظم الكاظم الكاظم الله الكاظم الله الله الله الله الله الله الله الل
٣٦	الإمام الرضا علينك
٣٧	الإمام الجواد للشِّك
٣٨	الإمام الهادي لليِّك
٤١	الإمام العسكري للسِّلا
٤٤	نراث زاخرن
٤٥	لخلاصة
	الإمامة في القرآن
وريفه٧٤	لشبهة: عدم وجود الإمامة في القرآن الكريم دعا الشيعة إلى القول بتح
٤٧	لجواب
٤٧	تمهيد
٤٩	أولاً: القرآن ينصٌ على الإمامة
٥٣	ثانياً: السنة النبوية تنصّ على الإمامة
٥٤	الخلاصة
	آية الولاية لا تختص بعلي للشياد
a successful to the first of the	ニュー・スプルティ ぶっぽっぽ メン・ボル かんしょん ストー・ロー・コート しょし

الْـشبهة: إنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُــمْ
رَاكِمُونَ﴾، لا تدل على ولاية وإمامة على بن أبي طالب اللّهِ؛ لأن الآية جاءت بصيغة الجمع (الذين) مــع
ان أقل الجمع ثلاثة، فكيف تدعى الشيعة أن المراد من الآية هو على الله ؟

TAV ///	محتويات الكتاب
22	
00	الجواب
المفرد في القرآن٥٥	أولاً: كثرة استعمال الجمع وإرادة ا
. سائغ في لغة العرب٧٥	ثانياً: استعمال الجمع وإرادة المفرد
، الروايات المتواترة٧c	ثالثاً: الاعتراض المذكور يتنافى مع
ن الصحابة ولا من التابعين ١١	رابعاً: الاعتراض غريب لم يعهد مز
77	خامساً: جواب الزمخشري
١٣	الخلاصة
الأولى بالتصرف	آية الولاية لا تعني
	الشبهة: إنَّ كلمة المولى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيْكُمُ
	الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ لا تعني الأولى بالتصرف، فلا
٠٥	الجواب
10	الاستدلال على المستوى اللغوي
	الاستدلال على المستوى القرآني.
w	- الاستدلال على المستوى الروائي
مة بشأن النزول؟	كيف تستدل الشير
: على الإمامة ؟٣/	الشبهة: الشيعة يستدلون بشأن نزول آية الولاية
/ "	الجواب

				~	9		
~	40 40		40.0	11.	. 1	•_	- 11
3	يتصدق	فجيف	فعبر	عليا	باق	وف	المعر
		•	40		•		

۷٥	الشبهة: إنْ علياً كان فقيراً فكيف يتصدق بالخاتم إيتاءً للزكاة ؟
٧٥	الجواب
VV	الخلاصة
	آية البلاغ تدل على أنه عَلَيْكُ لَمْ يبلغ سابعًا
ي يستدلون هِــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	الشبهة: إنّ استدلال الشيعة بآية البلاغ على الإمامة يبطل كل الاستدلالات السابقة الة
٧٩	آية البلاغ مدنية، فتدل على أنه ﷺ لم يبلغ سابقاً
٧٩	الجواب
۸۳	الخلاصة
	لا وجود لاسم علي في القرآن
۸٧	الشبهة: إن القرآن الكريم لم ينص على إمامة على اللَّهُ وإلاَّ لذكر اسمه فيه
۸٧	تمهيك
۸٧	الأولى: القرآن تبيان لكلّ شيء
۸۸	الثانية: يجب اتباع ما أمر به الله ورسوله عَلَيْظُهُ
۹۱	الجواب
۹۱	أولاً: عدم ذكر الاسم لحكمة إلهية
۹۱	ثانياً: الرسول الأكرم نص على إمامة على علي اللهِ
97	ثالثاً: ذكر الوصف أبلغ في التأثير من ذكر الاسم

TA9 ///	
1/11 // //	محتويات الكتاب
/_/	 •

رابعاً: ذكر علي في القرآن يدعو البعض لانتحال اسمه ٩٣
خامساً: لو ذكر اسم علي لحذفه المنافقون
سادساً: ذكر الاسم لا يعني حسم النزاع
سابعاً: ذكر الاسم في القرآن داعية لاتهام الشيعة ٩٤
ثامناً: لا ينبغى التشكيك في إمامة على المثلِّة
الخلاصة
آية التطهير لا تختص بأئمة الشيعة
لشبهة: إن أهل البيت في آية التطهير تعني كل من يلتقي بالنبي في هاشم
لجواب
لخلاصة
الفصلالثاني
حديث الخلفاء الاثني عشر في كتب أهل السنة
المدخل
الشبهة: إن فكرة الاثني عشر التي يدعيها الشيعة الإمامية، فكرة يهودية تعود إلى زعيم يهودي قــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
كتاب دانيال، وإن دعوى وجودها في صحيح البخاري، كذب!!
الجواب
حديث الاثني عشر في كتب أهل السنة
ه : ه . الخلفاء الأثناء شيء

171	محاولات أهل السنة في تفسير حديث الخلفاء
171	المحاولة الأولى: لابن العربي
٠, ٢٢	المحاولة الثانية: لابن المهلب
177	المحاولة الثالثة: للسيوطي
177	المحاولة الرابعة: لأبي الحسين ابن المنادي
177	المحاولة الخامسة: للقاضي عياض
١٢٣	المحاولة السادسة: لابن الجوزي
١٣٤ ٤٢١	المحاولة السابعة: للبيهقي
170	التفسير الواقعي لحديث الاثني عشر
177	جملة من الشواهد على المراد الواقعي
١٤٧	لأمة لم تجتمع على أهل البيت المِتَا اللهِ الله
١٤٨	لخلاصة

الفصلالثالث

غيبة الإمام المهدي

عة لا تقوم إلاّ بإمام، فكيف يتــــرك الإمامـــة	الـشبهة: ما الفائدة من وجود إمام غائب ؟ وإنَّ الحجة عند الشي
107	ويغيب ؟
104	الجواب
107	تمهيل
17.	هو ية الغبية

491			حتوبات الكتاب
		 	

17	دوام الإمامة واستمرارها لطف إلهي
177	لولاً الحجة لساخت الأرض بأهلها
١٦٤	الغَيبة لطف إلهي
فاء الشخصية	حقيقة الغيبة: خَفَاء الهوية والعنوان لإخ
م الغائب ؟	ما الفائدة من الإما
١٦٨	إدارة الإمام لليِّك في زمن الغيبة
هديعليهما السلام١٧١	وجه التشابه بين الخضر للسِّلا والإمام المه
١٧١	قصة الخضر
١٧٥	خصائص الحكم الإلهي
١٧٥	١- دوام الحاكمية الإلهية
1 VV	٧- شمولية الحاكمية الإلهية
۱۸۰	دور الإمام لليَنكُ في درء الفساد
ነለ٤	خلفيات وفوائد أخرى للغيبة
١٨٤	أولاً: حفظ شخصية الإمام لليَّك
1AA	ثانياً: التمحيص
حات الأخرى	ثالثاً: انكشاف عجز وبطلان الأطرو
ن الغيبة	رابعاً: تجلي مفهوم الانتظار في أحضا
في الأرض	خامساً: عدم انقطاع سلسلة حجج الله
ظالمظالم	سادساً: لكي لا تكون في عنقه بيعة لع

Y.Y	سابعاً: الغيبة سر الهي			
دعوى المهدوية والسفارة				
التاريخ الإسلامي	مدعي المهدوية والسفارة في			
۲۰۹	١- الرجل المعروف بالشريعي			
Y.V	٢_ محمد بن نصير النميري			
۲۰۷	٣ـ أحمد بن هلال الكرخي.			
ن بلال	٤ـ أبو طاهر محمد بن علي بـ			
۲۰۸	٥ـ الحسين بن منصور الحلاح			
راقر المعروف بالشلمغاني	٦ـ محمد بن علي بن أبي الع			
وية والسفارة في عصر الغيبة الكبرى ٢٠٨	الدليل على بطلان دعوى المهد			
۲۱۰	الفهم الصحيح لعلامات الظهو			
711	الخلاصة			
غصل الرابع	ये।			
لنص على خلافة أبي بكر	بطلان دعوی ا			
ع وجود النص عليها من قبل الرسول الأكرم المسترار	الشبهة: كيف يعترض على خلافة أبي بكر مِ			
Y10	الجواب			
وال الصحابة الصريحة الدالة على عدم	أولاً: الروايات الصحيحة وأق			
710	النص على أبي بكر			

494		محتويات الكتاب

لٌ على خلافة أبي بكر منها ٢١٧	وثانياً: إنكار علماء السنّة وجود نصّ دا
على أبي بكر، منها	ثالثاً: الشواهد القطعية على عدم النص
777	رابعاً: معالم تحرك الحزب القرشي
نف عن عدم الشرعية ٢٣٨	خامساً: سياسات السلطة الحاكمة يكث
727	الخلاصة
Y£0	من الشواهد الأخرى على هذا التنسيق.

الفصل الخامس

عصيان الصحابة

Y01	لشبهة: كيف أوصى الرسول وأشهد الصحابة على الولاية ثم عصوه؟
701	وكيف أجبر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الناس على البيعة؟
701	الجواب
701	تمهيك
704	خلفيات عدول بعض الصحابة عن وصية رسول الله عَلِيَالَهُ
Y04"	أولاً: الحرص على كرسي الزعامة
Y0£	ثانياً: دور المنافقين والذين في قلوبهم مرض
Y0£	ثالثاً: التنافس والنزاع بين القبائل
Υολ	رابعاً: التناحر والتحاسد بين المهاجرين والأنصار

•
سادساً: مخالفات الصحابة لرسول الله عَيْنَالُهُ
١- عصيان أوامر النبي عَلِيْوَالْهِ
٢- الفرار في معركة أحد
٣- الفرار في يوم حنين
٤- اعتراض الأصحاب على الرسول عَنْ الله في الحديبية٢٦٣
٥ - الإشفاق من التصدق
٣ - عدم انفاذ جيش أسامة
٧- الارتداد والانقلاب على الأعقاب
الخلاصة
الفصلالسادس
العصمة والغلو
الشبهة: عصمة أهل البيت من أبرز مظاهر الغلو
الجواب
العصمة لغة
العصمة اصطلاحاً

خامساً: سياسة الإرهاب في السقيفة

منشأ العصمة

الدليل العقلي على عصمة أهل البيت: المهلك الله العقلي على عصمة أهل البيت المهلك الله العقلي على المعلم المعل

الأدلة القرآنية على عصمة الأئمة: المبيلا الله القرآنية على عصمة الأئمة المبيلا الله القرآنية على المالية المبيلات المبيل

490	محتويات الكتاب
۲۸٥	الأدلة الروائية
٥٨٢	أولاً: حديث الثقلين
٢٨٢	دلالة الحديث على عصمة أهل البيت المتلك
۲۸٦	ثانياً: النص على العصمة والطهارة
۲۸۷	ثالثاً: طاعتهم طاعة لله ولرسوله عَيْنَالُهُ
۲۸۸	الخلاصة
۲۸۸	منشأ العصمة
۲۸۹	الدليل العقلي على عصمة أهل البيت المُقَلِّل
۲۸۹	الأدلة القرآنية على عصمة الأئمة الله الله الله الله القرآنية على عصمة الأئمة الله الله الله الله الله
۲۸۹	الأدلة الروائية على عصمة أهل البيت المِهَاكُ
	مقام الوصي
191	الشبهة: إنّ مترلة الوصي عند الشيعة تعادل مترل النبي ﷺ، وإن الوصي يوحى إليه
ran	الجوابا
	أقوال علماء الشيعة
190	الوحي انقطع بموت النبي لَيْكُمْ
	أقسام الوحيأقسام الوحي
	*

تأليه الإمام عند الشيعة

r. 1	الشبهه: الشيعة يؤلهون ائمتهم ويتخذوهم اربابا من دون الله
٣٠١	الجواب
٣٠١	تمهيد
٣٠٢	أولاً: نهي أهل البيت عن الغلو
٣٠٣	مواقف علمائنا من الغلاة
٣٠٧	وملخصها
٣٠٩	الخلاصة
لتوحيد	الولاية عند الشيعة أهم من ا
	الشبهة: ولاية أهل البيت الله عند الشيعة أهم من التوحيد
٣١١	الجوابا
٣١١	أولاً: التوحيد أساس الدّين
٣١٣	ثانياً: ترابط أصول الدين
٣١٤	ثالثاً: الولاية فرع التوحيد
٣١٥	الخلاصة
ب غلو	علم أهل البيت لَمِنَكُ بِالغيد
غَيْبُ لِلَّهِ ﴾ فكيف يدعي الـشيعة أن	الشبهة: إنَّ علم الغيب مختص بالله تعالى لقوله تعالى: ﴿فَقُلُ إِنَّمَا الْـ
٣١٧	أهل البيت يعلمون الغيب؟
٣١٧	الجوابا

٣١٧	تمهيد
۳۱۷	علم النبي عَيْرَالُهُعلم النبي عَيْرَالُهُ
۳۱۷	ما هي حقيقة وجوهر علم النبي الله الله الله النبي المام الله النبي المام الله الله الله الله الله الله الل
٣١٩	أفضلية نبينا عَلَيْكِاللهُ على سائر الأنبياء
YYY	الرسول عَلَيْنَا أُهُ أعلم الأنبياء على الإطلاق.
TTT	
YYE	
* ***********************************	
۳۲٦	
**YV	
٣٢٩	
rya	
rra	* **
	الإمامة في الذرية سنة قرآنية
	ما هو الاصطفاء؟
	الاصطفاء والعدالة الإلهية
" "o	الذرية الصالحة للأنبياء عناية إلهية
٣٥	تقلبهم في الأرحام المطهرة
~	أبعاد أخرى

٣٣٧	أولاً: البعد التاريخي
***	ثانياً: البعد الرسالي
۳۳۸	ما هي حقيقة وراثة الأنبياء؟
٣٣٩	أهل البيت الهَيْلِاُورِثة الأنبياء
٣٣٩	١- الإمام علي وذريته وارثو رسول الله
۳٤١	٢- الأنبياء يقرون بولاية على وذريته اليَّـٰكِ
۳٤١	٣- أهل البيت الميت الله ورثة الكتاب
۳٤٣	أعلمية أهل البيت في القرآن الكريم
۳٤٤	حقيقة علم الكتاب
۳٤٥	حدود علم الكتاب
۳٤٦	من الذي عنده علم الكتاب؟
٣٤٦	الإمام على الطلا أحصى علم كل شيء
٣٤٨	اختصاص أهل البيت المتلك بعلم الكتاب
٣٥١	مَن هم المطهّرون؟
٣٥٤	الروايات الخاصة في علم أهل البيت المُهَلِّكُ
٣٥٤	١- علم الأنبياء عند أهل البيت الملكِ الله الله المسالم
٣٥٤	٢- علم الكتاب كله عند أهل البيت الميكالي
٣٥٥	٣- أعطي أهل البيت سبعاً لم يُعطَها أحد قبلهم
r oo	٤- الإمام على النَّالِ عيبة علم الرسول مُتَكِّلُهُ

	•
779	q
, ,	١,

محتويات الكتاب

٥- الإمام علي عليه التي العلم ظاهر القرآن وباطنه
هل أن أهل البيت الهيك يعلمون الغيب؟
وجه المغالطة
وحاصل ما تقدّم
أهل البيت البيالي يعلمون الغيب
هل الاعتقاد بعلم النبي وأهل بيته بالغيب غلو؟
هل تعظيم الرسول عَلَيْظِهُ وأهل بيته من الغلو؟
تعظيم أُهل البيت المِيَلِاءُ جذره قرآني
فلسفة هذا التعظيم
أهل البيت للهيِّلاً وظاهرة الغلو
موقف علماء الشيعة من الغلاة
الخلاصة
أهل البيت المهلي وعلمهم بالغيب
هُلُّ التعظيم للرسول عَلَيْظُهُ وأهل بيته غلو؟
ميزان قبول الأعمال
الشبهة: الأعمال لا تقبل إلاّ بولاية أهل البيت للهيِّكِ الله الله الله الله الله الله الله الل
الجواب
تمهید
الولاية في نظر أعلام السنة

أجوبت شبهات قناة المستقلة

٣٧٨	قبول الأعمال بالولاية
۳۸۰	روايات الولاية في الكتب السنية
	رأي علماء الشيعة في قبول الأعمال
۳۸٤	الخلاصة
٣٨٥	محتويات الكتاب



الحوار والمناظرة من الفنون العريقة

وذات الجذور المتأصّلة في التاريخ، وقد أطلعنا القرآن الكريم على حوار جرى بين الله تعالى وبين ملائكته، حينما أراد أن يخلق الإنسان ويجعله خليفة في الأرض، وأنّه فسح المجال أمام الملائكة للإدلاء برأيهم في خلافة الإنسان، كما أعطى الحرية لإبليس عندما أمره تعالى بالسجود لآدم علينه فامتنع، فقال تعالى: (يَا إِبْلِيسٌ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمَ أَكُن لَّأُسَجُد لِبَشْرٍ خَلَقْتُهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَا مُسْتُونٍ * قَالَ لَمُ فَاحْرُجٌ مِنْهَا فَإِنْك رَجِيمٌ) الحجر: ٢٢. ٢٤.

فهذه الحرية في الحوار وإبداء الرأي تعطينا صورة واضحة عن أهمية هذا المبدأ الديني المقدّس الذي تقوم عليه ركائز العلاقة بين الله تعالى وبين مخلوقاته ، ولكن من المؤسف أنّ بعض القنوات الفضائية قد أساءت إلى هذا المقدّس الديني والبشري ، باستضافتها في الحوار أشخاصاً لا يؤمنون به ، بل يرفعون شعار التكفير والقتل والإرهاب بوجه كل من يخالفهم الرأي.

ومن منطلق الشعور بالمسؤولية كانت مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية نتابع ما يجري على تلك القنوات عن كثب وحرص شديدين ، لكي تكون هذه المؤسسة المباركة فاعلة في هذا الميدان ، ومؤثرة في أداء ما تشعر به من المسؤولية تجاه ما يجري في العالم الإسلامي ، فبادرت . من خلال قسم البحوث والدراسات - إلى دراسة أهم الشبهات العقائدية والإجابة عليها بأجوية محكمة ورصينة.



